

مجلة المجمع العلمي

فصلية محكمة أنشئت سنة ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م

الجزء الثالث / المجلد الثالث والستون

١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦م

(شروط النشر وضوابطه)

١- تنشر المجلة البحوث العلمية ذات السمة الفكرية والشمولية وبما يسهم في تحقيق اهداف المجمع .

٢- لغة المجلة هي اللغة العربية ويراعي الباحثون والكتاب في صياغتهم الوضوح وسلامة اللغة .

٣- يشترط في البحث أن لا يكون قد نشر أو قدم للنشر في مجلّة اخرى ورفض لعدم صلاحيته او انه مسروق .

٤- تعرض البحوث المقدّمة للنشر في المجلّة على محكمين من ذوي الاختصاص لبيان مدى أصالتها وجودتها وقيمة نتائجها وسلامة لغتها وصلاحيتها للنشر .

٥- هيئة تحرير المجلّة غير ملزمة برد البحوث الى أصحابها في حالة عدم قبولها للنشر.

٦- لاتنشر المجلة الدراسات السياسية التي تمس كيانا معينا اوتنظيما خاصا .

٧- لاتنشر المجلة البحوث الدينية التي تمس العقائد لان هذا مجال نشره المجلات الخاصة.

٨- لاتنشر المجلة بحوثا تتحدث عن الفساد لاي من الموسسات .

٩- لاتنشر المجلة بحوثا مضطربة اللغة والاسلوب ولايمكن اصلاحها .

١٠- يرسل البحث الى المجلة بالمواصفات الاتية :

أ. ان يكون مطبوعا على الحاسوب ومخزونا على قرص CD ومرفق بنسخة ورقية .

ب. ترسل نسخة واحدة من البحث تحمل إسم الكاتب وعنوانه كاملا باللغة العربية .

ت. يجب أن لايزيد عدد الصفحات على (٣٠) ثلاثين صفحة وبما لا يتجاوز (٧٥٠٠) سبعة الآف وخمسمائة كلمة.

ث. أن يكون مستوفيا للمصادر والمراجع ، موثقة توثيقا تاما حسب الاصول المعتمدة في التوثيق العلمي .

ج. يرفق بالبحث ما يلزمه من أشكال أو صور أو رسوم أو خرائط أو بيانات توضيحية أخرى ، على ان يوضح على كل ورقة مكانها من البحث ويشار إلى المصدر إذا كانت مقتبسة .

ح. يرفق بالبحث ملخص باللغتين العربية والانكليزية بحدود نصف صفحة لكل ملخص .

خ. تكتب الكلمات الدالة باللغة الإنكليزية .

د. ان تستخدم في البحث المصطلحات المقرة عربيا .

١١- يعطى صاحب البحث (عند نشره) ثلاث نسخ من المجلّة مع عشر مستلات من بحثِه ومكافأة تقديرية على وفق نظام المكافآت المعمول به في المجمع العلمي .

البحوث لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجمع العلمي

توجه البحوث والمراسلات الى رئيس تحرير مجلة المجمع العلمي

iraqacademy@yahoo.com
journalacademy@yahoo.com

الاشتراكات : داخل العراق (٢٠٠٠٠)الف دينار سنويا .

خارج العراق (١٠٠) دولار امريكي سنويا .

محتويـــات

الجزء الثالث / المجلد الثالث والسـتون

كتاب طبائع الحيوان لشرف الزمان طاهر المروزي

قراءة في كاتب وكتاب

(عرض ودراسة)

الدكتور احمد الحصناوي

المجمع العلمي العراقي

الملخص :

تتضمن هذه الدراسة مخطوطة (طبائع الحيوان) لشرف الزمان طاهر المروزي (من علماء المئة الخامسة للهجرة / القرن الثاني عشر للميلاد) ، جوهر مادة الكتاب في علم الحيوان ، وكذلك في الاقسام الثمينة التي تتحدث عن الجغرافية والسلوك البشري . والمؤلف من الكتب الكبيرة الحجم نسبيا ، فهو اصغر من كتاب (الحيوان) للجاحظ ، وأكبر من كتاب (حياة الحيوان الكبرى) للدميري . وأن تفوق المروزي على الجاحظ والدميري بقيمة معلوماته ودقتها . واما مكمن أهمية الكتاب الحقيقية فهو في حديثه عن الشرق الأقصى – الهند والتبت والصين وبلاد الترك – وكذلك حفظ عددا كبيرا من روايات الجيهاني ، وكبداية تفاصيل وضع المسلمين في الصين وبعض الحقائق عن عادات الصين ، والمستعمرات الاجنبية في الموانئ والمدن الصينية ، واسماء المدن التي افتقرت إليها مصادر الجغرافيين العرب والتي كانت مبهمة في رحلة أبي دلف ، وأسباب رحلة ابن فضلان وهي مادة غير معروفة لنا ، وإسلام الروس ، والروايات الأكثر أهمية على الإطلاق هي هجرات شعوب آسيا الوسطى والتي استعارها العوفي .

المقدمة :

تتضمن هذه الدراسة كتاب (طبائع الحيوان) لشرف الزمان طاهر المروزي (من علماء المئة الخامسة للهجرة / القرن الثاني عشر للميلاد) . ففي هذا البحث الذي أقدمه إلى الدوائر العلمية اليوم هو جزءٌ من عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين ، ونحن أمام نص متقدم ، عميق الأغوار ، يبحث في واقع الإنسان ، فما أنتجته تلك القرون من مرويات كبرى رسخت تصورات شبه ثابتة للأعراق والثقافات والعقائد ، وكانت تلك التصورات تمثل المعيار ، ولكن في هذا النص كان التصور للآخر يستند إلى المعاينة وليس السجال ، فالمؤلف أخترق الحاجز الذي وقف عنده المغامر العربي ؛ فوصل إلى حيث انتهت أرض المشرق ، وحسب المستشرق الروسي أغناطيوس كراتشكوفسكي فإن الكتاب (يعالج الكلام على الأجناس البشرية والجغرافيا)[1].

حياة المؤلف :

ليس من السهل على الباحث الخوض في حياة مؤلف لا يدرك من حياته إلا شذرات ، فمثل هذه البحوث تكون مخيفة لأكثر الباحثين حمية ونشاطا ، فالدخول في مثل هذا البحث كالدخول في غرفة مظلمة .

شرف الزمان طاهر المروزي[2] ، لا نعرف أكثر من هذا الاسم ، بل إن أسمه وصل إلينا متناثرا في بطون أسطر بعض الكتب التركية والفارسية ،

---

(1) تاريخ الأدب الجغرافي ٢٦٣/١ .

(2) له ترجمة في :

←

وكل ما حاولنا لملمته من حياة المروزي هو من كتابه (طبائع الحيوان) ، فقد صار فيما يخص بحثنا هذا حجر الزاوية ، ونحن تاركون للزمن ما يكشف عن خباياه ليضيف شيئا إلى منجم هذا الكاتب العظيم .

لم نعثر على إشارة لهذا الكاتب في صفحات كتابه أو كتب التراجم والببليوغرافيات الشائعة ، أو حتى في الكتب الجغرافية والبلدانية ، فلا أثر للمروزي في مؤلفات ياقوت الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ/١٢٢٩م) الذي سكن مرو ثلاثة أعوام وكان معجبا بها ، وعلى الرغم من أن ياقوت معروف بالتقصي لحركات القبائل والبلدان والعلماء في أواسط آسية ، بل أن مواطنه السمعاني (المتوفى: ٥٦٢هـ /١١٦٧م) ، الذي كان معاصرا للمروزي وأصغر منه سنا فأنه عندما يقف على تراجم المراوزة يقول : (فيهم كثرة ، فاستغنينا عن ذكرهم لشهرتهم)[٣] ، ولا ذكر له في أشهر معاجم الطب العربي لابن

• بروكلمان : تاريخ الأدب العربي م٤ / ج٩ / ص٢٩٦ (قسم العلوم الطبيعية والهندسة) .

• مؤيد عبد الستار : من آثار المستشرق الكبير مينورسكي .

• كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي ١/٢٦٣-٢٦٤.

. SHARAF AL-ZAMAN TAHIR MARVAZI : ON CHINA, THE TURKS AND INDIA p 1-12

LUIEN LECLERC: HISTOIRE PE LA MEDCINE ARABE . 2\709

. ZAKI KIRMANI AND N.K.SINGH: ENCYCLOPAEDIA OF ISLAMIC SCIENCE AND SCIENTISTS 2\625

[٣] السمعاني : الأنساب ٥ / ٣٦٦.

أبي أصيبعة (المتوفى : ٦٦٨هـ/١٢٦٩م) ، وكذلك الدميري (المتوفى : ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م) وهو أوسع من رجع للمصادر في كتابه (حياة الحيوان الكبرى) ، إذ يقول حاجي خليفة بأنه جمعه من (خمسمائة وستين كتابا ، ومائة وتسعة وتسعين ديوانا من دواوين شعراء العرب)[٤]، في حين يرى جوزيف سوموجي أن الدميري قد رجع إلى (٨٩٥) مصدرا[٥]، وهو يتجاهل كتاب المروزي .

ولكن يعود الفضل الأول في تعرفنا على المروزي إلى الكاتب الفارسي العوفي[٦] (القرن السابع الهجري / القرن الثالث عشر الميلادي) ، الذي

---

[٤] حاجي خليفة : كشف الظنون ٦٩٦/١.

[٥] العزي : الدميري وكتابه حياة الحيوان ص١٤٧.

[٦] العوفي : محمد بن محمد بن يحيى العوفي البخاري ، الملقب بسديد الدين أو نور الدين أو جمال الدين ، أديب ومؤرخ فارسي ، ولد في بخارى بين العامين (٥٦٧ و٥٧٢هـ /١١٧١ و١١٧٦م) ، كان يفخر بأن جده الأعلى هو الصحابي عبد الرحمن بن عوف ، زار معظم بلاد ما وراء النهر ، وكان يقام له مجالس وعظ وإرشاد ، أتصل بالأمير ناصر الدين قباجة (قتل عام : ٦٢٥هـ /١٢٢٨ م) ، فصنف له كتاب (جوامع الحكايات ولوامع الروايات) ، ويقال أنه صنفه لوزير ايلتتمش ، ثم ألتحق بالسلطان ايلتتمش سلطان دلهي عام (٦٣٣هـ /١٢٣٦م) ، توفي العوفي بين عامي (٦٣٠ و ٦٤٠هـ /١٢٣٢ و١٢٤٢م) . آقا بزرك : الذريعة ٤٥/٤ ، ٥٠/٥ ، ٢٤٩ ، بزوه : فهرست نسخة باي خطى (كتابخانه دانسكده حقوق وعلوم سياسى واقتصادت دانشكاه تهران) ٩٢/٢ ، كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ٣٢٦/١ .

أقتبس بثراء من كتاب (طبائع الحيوان) للمروزي[٧] ؛ في كتابه (جوامع الحكايات ولوامع الروايات)[٨]. فهو من ساعدنا على كشف نسبة كتاب (طبائع الحيوان) للمروزي ، وتعريفنا باسمه .

وشاعت الأقدار أن تكون الرسالة التي ترجمها المروزي بين الحاكمين (الصيني والتركي) وبين محمود الغزنوي[٩] (المتوفى : ٤٢١هـ /١٠٣٠م) ،

---

[٧] كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ٢٦٣/١.

[٨] كتاب (جوامع الحكايات ولوامع الروايات) أو (جامع الحكايات ولامع الروايات) ، للعوفي ، وهو فارسي جمعه للأمير ناصر الدين قباجة أو للوزير نظام الملك شمس الدين وزير ايلتتمش ، بينما يرى كراتشكوفسكي أنه صنفه إلى وزير ايلتتمش فبدأ تأليفه قبل عام (٦٢٥هـ/١٢٢٨م) وأتمه بعد عام (٦٣٣هـ/١٢٣٦م) ، نقله للغة التركية احمد بن محمد المعروف بابن عربشاه الحنفي (المتوفى : ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠م) ، بأمر السلطان مراد خان الثاني ، ونقله أيضا للتركية الشاعر نجاتي (المتوفى : ٩١٤هـ / ١٥٠٨م) للسلطان محمد خان ، وكذلك ترجمه صالح بن جلال (المتوفى : ٩٧٣هـ /١٥٦٥م) للتركية بأمر السلطان بايزيد بن سليمان خان ، وأنتخب منه محمد بن سعد بن عبد الله التستري الحنفي (المتوفى بعد :٧٣٠هـ / ١٢٢٩م) ، وكتب عنه محمد نظام الدين بحثا باللغة الإنكليزية ، يعتبر الكتاب من المصنفات المهمة للعصر السابق للغزو المغولي ، فالكتاب من طرز المجموعة الأدبية التي يقصد بها النصيحة والمواعظ الحسنة وأحيانا الإمتاع ، ينقسم الكتاب إلى أربعة أقسام، ويضم كل قسم خمسة وعشرين بابا ، توجد نسخه خطيه منه في طهران ، طبع الكتاب في الهند . آقا بزرك : الذريعة ٥/٥٠ ، ٢٤٩ ، بزوه : فهرست نسخة باي خطى ٩٢/٢ ، حاجي خليفة : كشف الظنون ٥٤٠/١ .

[٩] هو : محمد بن سبكتكين الغزنوى ، أبو القاسم ، السلطان يمين الدولة ، فاتح الهند ، وأحد كبار القادة ، ولد في غزنة – بين خراسان والهند – عام ←

عام (٤١٨هـ /١٠٢٧م)[١٠] ، هي سبب تعريفه في بقية المصادر وتحديدا المعاجم ، والمؤلف الوحيد الذي يذكر هذه الرسالة قبل المروزي هو الكرديزي[١١] ، الذي أعتمد في المقارنة بين الترجمة العربية للرسالة وأصلها

(٣٦١هـ/٩٧١م) ، امتدت سلطنته من أقاصي الهند إلى نيسابور ، وكانت عاصمته غزنة ، تركي الأصل ، مستعرب ، كان حازما ويجالس العلماء ، ويناظرهم ، وكان من أعيان الفقهاء ، فصيحا بليغا ، استعان بأهل العلم على تأليف كتب كثيرة في فنون مختلفة ، نسبت إليه منها كتاب (التفريد) في فقه الحنفية نحو ستين ألف مسألة ، وخطب ورسائل وشعر . توفي أبوه ناصر الدولة عام (٣٨٧هـ/٩٩٧م) ، وخلف ثلاثة أولاد جرت بينهم حروب ، حتى ظفر بها محمود ، واستولى على الإمارة عام (٣٨٩هـ/٩٩٨م) ، أرسل إليه القادر بالله العباسي خلعة السلطنة ، فقصد بلاد خراسان فاستلب ملكها من أيدي السامانية ، وصمد لقتال ملك الترك بما وراء النهر ، وجعل دأبه غزو الهند مرة في كل عام ، فافتتح بلادا شاسعة ، واستمر إلى أن أصيب بمرض عاناه مدة سنتين ، لم يضطجع فيهما على فراش بل كان يتكئ جالسا حتى مات عام (٤٢١ هـ/١٠٣٠م) ، وقبره في غزنة ، صنف له العتبي سيرته الذي سماه (اليميني). أبن الجوزي : المنتظم٥٢/٨ ، أبن الأثير : الكامل في التاريخ ٧٣١/٧،٥٠٣،٤٩٧،٤٨٩،٤٦٢. المنيني : الفتح الوهبي على تاريخ أبي نصر العتبي شرح التاريخ اليميني .

(١٠) المروزي : طبائع الحيوان : الباب الثامن ورقة (٤٨) ، ويرى و. بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ص١٠٥ . أن تلك الرسالة كانت عام (٤١٧هـ/١٠٢٦م) نقلا عن الكرديزي .

(١١) الكرديزي : عبد الحي بن الضحاك الكرديزي ، أبو سعيد ، مؤرخ فارسي ، عاصر بعضا من سلاطين الدولة الغزنوية ، له كتاب (زين الأخبار) ، بقي منه جزء تناول بشيء من التفصيل أحوال النفوذ الغزنوي في إيران ، ركز المؤلف فيه على أحوال الدولة الغزنوية في عهد السلطان عبد الرشيد الذي يبدو أن المؤلف ←

التركي على الكرديزي أبن المهنا[١٢] (القرن الثامن الهجري / القرن الرابع عشر الميلادي) والذي أشار إلى المروزي وكتابه في قاموس (حلية

قد أهداه هذا الكتاب ، وربما كان يعمل في بلاطه ، قال كراتشكوفسكي (وخبر هذه السفارة معروف لنا من كرديزي ولكن بصورة مبهمة) ، وقال مترجم الكتاب : (ولم يذكر الكرديزي في القسم التاريخي من مؤلفه مصدر النصوص التي اعتمد عليها ، ... أما في ذكره للسلطان محمود وفتوحاته ، فإن الكرديزي معتمد أساسا على معلوماته الشخصية وحكايات معارفه الخاصة الذين خدموا عند السلطان) (توفي في أواسط القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي) . الكرديزي : زين الأخبار (مقدمة المترجم) ص١٥٦-١٥٧ ، كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي ٢٦٣/١.

(١٢) أبن المهنا : هو أحمد بن على بن حسين بن مهنا الحلي العبيدلي ، جمال الدين ، ويعرف بجمال الدين بن المهنا ، مؤرخ ومصنف ، من أعلام أواخر القرن الثامن الهجري في العراق ، شيخ أبن الفوطي ، نقل عنه وعن مصنفاته كثيرا في كتابه (تلخيص مجمع الآداب) ويذكره بلقب (العلامة) ، كان مصنف مجود ، عنى بتاريخ بلاده في عصر الدولة المغولية ، وخالط رجال الدولة المغولية الإليخانية ، تمكن من دراسة اللغات الأعجمية التي شاعت في العراق على عهده ، له مصنفات ذكرها ابن الفواطى هي : (وزراء الزواء) و(لطائف المعاني في شعراء زماني) و(المشجر في الأنساب) ضاع جلها ، أما أهم كتاب وصل فهو (حلية الإنسان و حلبة اللسان) ، والكتاب مؤلف لغرض تعليم العرب اللغة التركية ، وهو على ثلاثة أقسام : القسم الأول في اللغة الفارسية ، والثاني في التركية ، والثالث في المغولية ، والغالب أن المؤلف اعتمد على بعض المراجع والكتب المعتبرة في تلك اللغات ، وهناك كتب أربعة ورد ذكرها في الكتاب ، أحدها كتاب (طبائع الحيوان) الذي صنفه (شرف الزمان الطيب المروزى) ، ذكر منه نواحي الترك والسلطان محمود والتقويم الصيني ، وهذه الأربعة من الكتب ذكرت في ←

الإنسان وحلبة اللسان) ، فذكر تقويم (الاثني عشر حيوانا) نقلا عن (طبائع الحيوان) (لشرف الزمان الطبيب المروزي) ؛ وأن رسالة وردت على محمود الغزنوي من صاحب الصين وصاحب الترك وتاريخها (الشهر الخامس من عام الفارة) ، ويذكر بعد ذلك أسماء السنوات الأخرى ، بل أنه يضيف إلى الموضوع مشكلة تاريخ ورود السفارة عند الكرديزي هو عام (٤١٧هـ/١٠٢٦م) وعند الطبيب المروزي هو عام (٤١٨هـ/١٠٢٧م) .

وكلا المصدرين السابقين لم يقدما أية فكرة عن حياة المؤلف أو قيمة الكتاب بوجه عام[١٣]، ولكن ما يحسب لهم من فضل هو نسبة الكتاب واسم المؤلف .

فشرف الزمان طاهر الطبيب المروزي ، تدل هذه النسبة على أن موطنه مرو Meru[١٤]، أو سليل لمثل هذا الموطن . فالنسبة إلى مَرْوُ مَروَزَيّ على

قسم اللغة التركية ، نشر الكتاب المستشرق الروسي موسيو ميليورانسكي القسم الثاني منه عام (١٣١٧هـ/١٩٠٠م) ، والقسم الثالث عام (١٣٢٠هـ/١٩٠٣م) في بتسبورغ ، وصحح الكتاب وطبع من قبل كليسلي رفعت أفندي بتوجيه من وزارة المعارف العثمانية باستانبول ، ثم نشره مجمع اللغة التركي بتحقيق عبد الله بطال في عام (١٣٩٠هـ/١٩٧١م) ، وأعيد طبعه عام (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م). أبن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ق٤/ج١/ص١٠٢ (الحاشية نقلا عن الأجزاء الأولى من المخطوطة) ، العزاوي : تاريخ الأدب التركي في العراق ورقة ١٨٥-١٨٨ ، و. بارتولد: تاريخ الترك ص١٠٦.

[١٣] و. بارتولد: تاريخ الترك ص١٠٥، كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي ٢٦٣/١.

[١٤] مرو : (Merv (Meru – Mary : مدينة تاريخية عريقة في جمهورية تركمانستان بآسيا الوسطى ، تقع في أقصى شمال نهر مورجاب في وسط شرق البلاد ، ←

غير قياس، فاللاحقة (زي) في مروزي لاحقة فارسية تفيد النسبة[١٥]، في حين يرى السمعاني : (إلحاق الزاي في هذه النسبة فيما أظن للفرق بين النسبة إلى المروي وهي الثياب المشهورة بالعراق منسوبة إلى قرية بالكوفة)[١٦].

وأهل مرو من أتراك آسيا الوسطى[١٧]، يصفهم اليعقوبي بقوله : (أهلها أشراف من دهاقين العجم)[١٨]، صهرت في بودقتها ثقافة أسيا الوسطى فنراها تستعمل اللسان الفارسي في المعاملات الرسمية والأدب مع استثناءات قليلة ، وكانت تستعمل كذلك اللغة التركية في محيطها واللغة العربية ،

وتبعد عن الحدود الإيرانية بحوالي ٢٠٠كم ، أهلها مسلمون من أصل تركي (أتراك وسط آسيا) ، دخلت الإسلام في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي ، كانت عاصمة إقليم خراسان ، اتخذتها الدولة الطاهرية عاصمة لها عام (٢٠٥ هـ/٨٢٠ م) ، شهدت عصور ازدهار تجاري وثقافي واسع النطاق في العهد السلجوقي ، ولعظم شأن هذه المدينة سماها العرب مرو العظمى (مرو الشاهجان) ، تحتوي المدينة على العديد من الآثار الإسلامية العريقة ، وفيها قبر السلطان السلجوقي سنجر . ياقوت الحموي : معجم البلدان ٢٥٣/٨، العفيفي : موسوعة ١٠٠٠مدينة إسلامية ص٤٥٦.

(١٥) السمعاني : الأنساب ٣٦٥/٥ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ٢٥٣/٨ ، أبن منظور لسان العرب ، مادة (مرا) ٢٧٦/١٥ ، ألتونجي : المعجم الذهبي فارسي عربي مادة (مروزي) ص٥٤٣ .

(١٦) الأنساب ٣٦٥/٥.

(١٧) البلاذري : فتوح البلدان ص٥٧٢.

(١٨) البلدان ص٢٧٩.

وأُضيفت لها في المائة السادسة اللغة المغولية[١٩]، ويذكر ياقوت الحموي أنه أقام في مرو ثلاثة أعوام يجمع مادة كتابه (معجم البلدان) ، لان مرو كانت قبل ورود التتر إليها مشهورة بخزائن كتبها[٢٠]. وفي تلك البودقة صهرت ثقافة المروزي ، فقضى فيها معظم حياته إذ بقي فيها إلى عام (٤٨٣هـ/١٠٩٠م)[٢١]، إي إلى بداية النصف الثاني من حياته على وجه التقدير . وخُبر من أهلها الذين هم أشراف الدهاقين كما يقول اليعقوبي ، فنراه يصف عيون نساء الدهاقين بعيون البقر[٢٢]، وينقل لنا صورا من قرى مرو عن الخلق غير الطبيعي من البشر[٢٣]، ويخبر عن نوع من الذباب يأكل العدس فيقول : (والعدس عندنا بمرو يصير ذبابا يأكله ويخرج من قشر العدس ...)[٢٤].

جاءت شهرة المروزي الرئيسة من كتابه (طبائع الحيوان) ؛ الذي شغلت المعلومات الطبية حيزا كبيرا من معظم الكتاب ؛ فإلى جانب الطب البيطري الذي مارسه المروزي في البلاط السلجوقي ؛ فإنه أهتم في جوهر الإنسان (الأنثروبولوجيا Anthropologie)[٢٥]؛ فشملت هذه المادة الجانب

---

[١٩] و. بارتوليد: تاريخ الترك ص١٦.

[٢٠] معجم البلدان ٢٥٤/٨ أطلب (مرو الشاهجان) .

[٢١] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثانية ورقة (١٣٩).

[٢٢] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثانية ورقة (١٥٢).

[٢٣] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الأولى ورقة (٩٥).

[٢٤] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الرابعة ورقة (٤٥٣).

[٢٥] أنثروبولوجيا : Anthropologie : العلم بالإنسان ، كلمة ليست منحدرة من اللغة اليونانية الكلاسيكية ، رغم استخدامها من قبل أرسطو (أنثروبولوجس) ، ←

الأكبر من مادة المقالة الأولى التي تعالج الكلام على الأجناس البشرية والتاريخ والجغرافية فيقول في ذلك : (الناس مختلفون اختلافا جنسيا ، ونوعيا ، وشخصيا ، وفصليا ، وخاصيا ... وإنا نريد أن نذكر في هذا الكتاب أوصاف جميع الحيوانات ، وأجناسها، وأنواعها ، وأشخاصها ، وفصولها ، وخواصها ، ومساكنها ، وأخلاقها ، ومنافعها ، ومضارها ؛ بحسب ما انتهى إلينا علمه . وقد بدأنا بذكر الأشرف منها رتبة ، وأعلاها منزلة ، وأقربها إلى الاعتدال الذي به قامت السموات والأرض وهو الإنسان ...)[٢٦].

فلا ينكر عليه أنه كان طبيبا أنثروبولوجين حاذقا ، متمكن من مادته بشكل جيد ، فللقارئ في كتابه يلاحظ تقصي المروزي في أدق التفاصيل عن ملامح ومعتقدات وأزياء وخصائص الجسمانية للبشر ، وأن كان تحديدا قد أبدع في المقارنة بين قبائل أواسط أسيا الترك مع غيرهم ، وهذا شيء لا ينكر عليه .

فكان معناها عنده (ثرثار كثير الكلام عن الناس) ، لكن بين القرن السادس عشر والثامن عشر للميلاد تطور معنى الكلمة إلى (علم النفس الإنسانية) ، فلم يقتصر على البحث في النفس الإنسانية وحدها بل يمتد إلى مسائل تتناول أحوال الجسم الإنسانية مثل : الجنس (ذكر وأنثى) ، العمر ، المزاج ، الأخلاق ، العرق ، الصفات الجسدية ، والمعتقدات ، والممارسات البشرية . بدوي: موسوعة الفلسفة مادة (أنثروبولوجيا)١/٢٣٠ .

[٢٦] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الأولى ورقة (٣).

وكان مهتما بجوهر الحيوان إلى جانب الإنسان ، فكونه طبيبا بيطريا شغلت هذه المادة بقية المقالات الأربع المتبقية من الكتاب فيقول : (قد ذكرنا في المقالة الأولى أحوال الإنسان ، واختلاف طبقاتهم ، وأخلاقهم ، وما يوجبه طبائع أمكنتهم ، وأهوية مساكنهم ، واختلاف الأمم الكبار في رسومهم ، وتعايشهم ، ودياناتهم ، ومقالاتهم وتعاديهم ، وتساليهم ، وذكرنا أحوال الذكران والإناث والولدان ، والتناسل ، وأحوال الجنين ، وكيفية حصوله ، وذكرنا أحوال الخصيان وأخلاقهم ، وذكرنا أمر العادات وتأثيرها في الأبدان ، وذكرنا منافع أعضاء الإنسان، فصرفنا القول إلى ذكر الحيوانات غير الناطقة من البهائم والأنعام والسباع والوحوش والطيور والحشرات ونبات الماء ...)[٢٧].

إلى جانب (الأنثروبولوجي) مارس المروزي الجراحة والتشريح بأدق تفاصيلها ، فخير من يصف لنا ذلك لسان حاله فيقول : (كان عندنا رجل من المتصرفين يقال له : محمد الجوهري ، وله غلام رومي صبيح الوجه ، وكان مشغوفا به والغلام راغب في الخدمة وفيما يراد منه ، فلما راهق ألتمس من مولاه أن يخصيه ، ففعل ذلك برضاه ، وجّبه وجعل يعالجه وأخطأ الجراحتي في العلاج ووضع على الموضع المقطوع المراهم الملحمة فاندمل الجرح وأنسد الإحليل وكاد يهلك ؛ فأمرت بإدخال ميل من الأسرب في موضع الإحليل وتركته فيه أياما مشدودا بالرباط ، فأنفتح المجرى وخرج البول وسلم الغلام)[٢٨].

---

[٢٧] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثانية ورقة (١٣٤) .

[٢٨] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الأولى ورقة (١١٩).

أما التشريح فهو من أعلى المستويات التي يصل اليها الطبيب في ذلك الوقت ، وهو القاعدة الوحيدة على الإطلاق لكل فنون الطب وعمدتها الأساسية ، ولما فيه من حرمة عند المسلمين ، وقد شغلت بال الأطباء واللغويين العرب وأخذت مأخذا كبيرا في تآليفهم وحياتهم الفكرية ، وسُمّيت فيما بعد بـ (أجزاء الإنسان) و(خلق الإنسان) ، وفي المقالة الأولى الباب الثامن عشر من الكتاب في الأقل هناك من الثوابت ما تظهر أن المروزي قد مارس التشريح . وبحسب تعريف حاجي خليفة للتشريح فأنه : (علم باحث عن كيفية أجزاء البدن وترتيبها من العروق والأعصاب والغضاريف والعظام واللحم وغيرها من أحوال كل عضو ، وموضوعه أعضاء بدن الإنسان والغرض والفائدة ظاهرة)[٢٩]. فيقول المروزي حول فسلجة Physiology رحم المرأة : (... كما بين ذلك في التشريح من هيئة الآلات التي لهن بدل أوعية المني للرجال ...)[٣٠]. فمن خلال هذا الباب وما قام به من التشريح فقد كانت له معرفة جيدة بوظائف الأعضاء في جسم الإنسان ، وذكر أن جسم الإنسان يشتمل على سوائل مهمة جدا كالدم والبلغم والمخاط والمني والصفاق (مراق البطن) ، وعرف من الأعضاء ما هو متشابه الأجزاء ، وهو ما نعرفه اليوم بالأنسجة ، وعرف الأعضاء المركبة مثل اليد التي تجمع عددا من الأنسجة المختلفة ، وعرف الأوتار والأربطة والدماغ ، وفرّقَ بين الأعصاب والأوتار وهو تفريق مهم وما يزال الرأي فيه صحيحا .

---

[٢٩] كشف الظنون ١/٤٠٨.

[٣٠] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الأولى ورقة (١٠٤).

ويقارن المروزي بين جلد الإنسان وجلد الخنزير فيقول : (... وليس للخنزير جلد ، كما أنه ليس للإنسان جلد إلى أن يقطع ما ظهر منه مما تحته ، وإنما الجلد ما يسلخ ويدخش (يمتلأ) فيبرأ مما كان بهم ملتزقا ، ولم يكن ملتحما)[٣١]، لقد أستوعب المروزي مادة التشريح استيعابا جيدا ، ولا تخفى آثار المدرسة اليونانية من خلال جالينوس في مادة التشريح .

عُرفت مؤلفات جالينوس باسم (منتخبات الاسكندرانيين) وهي جوامع لستة عشر كتابا ، ظلت فيما بعد أهم موسوعة طبية مدةً طويلة[٣٢]، وصلت عن طريق الأطباء الأسكندرانيين ، وكان لكتب هؤلاء العلماء تأثيرٌ خطيرٌ في دراسات العرب الأولى[٣٣]. وفي عام (٢٢هـ/٦٤٢م) دخلت الجيوش العربية الإسلامية إلى الإسكندرية ، وبذلك تنتهي مرحلة العصر الهلينيستية بمصر لتبدأ مرحلة أخرى للحضارة والعلوم وهي مرحلة الحضارة العربية الإسلامية لتعرف فيما بعد بمرحلة نقل العلوم (مرحلة الترجمة) ، فينقل

---

(٣١) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثانية ورقة (٢٥٢).

(٣٢) اشتهر من أهل اليونان اثنان من الأطباء المؤلَّفين : أبقراط وجالينوس ، وكلاهما كتب بإيجازٍ في مجالات الطب على اختلافها ، ثم جُمع المختلف ، فأتلف في المجموعة الأبقراطية (الاثني عشر كتابا) ، وفي (الستة عشر كتابا) لجالينوس ، التي جمعها الإسكندرانيون من رسائله ، فصارت تُعرف بعنوان : (منتخبات الإسكندرانيين لجالينوس)، وكلاهما أعني أبقراط وجالينوس سوف يُعرفان في الحضارة العربية الإسلامية من خلال تلك المؤلَّفات ، ويُشهد له بالفضل ، فلا يُذكر اسمه إلا مسبوقا بلقب : الفاضل . أبن النفيس : الشامل في الصناعة الطبية ، الأدوية والأغذية – كتاب الهمزة – ، ٤/١ (مقدمة المحقق) .

(٣٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ١٥٤/١ .

المروزي عن جالينوس مبادئ علم التشريح ، ويقول عنه في تشريحه للقرود (التشريح المقارن) : (وجالينوس كان يذبح القرود ويشرح أجوافها ؛ ليتعرف بها حال تشريح أعضاء الإنسان ، حتى وقف على كيفيتها وكميتها ومواضعها ، ولم يخفَ عليه شيءٌ)[٣٤].

وإذ أختم مبحث التشريح بطرفة من طرائف المروزي إذ يحكي عن صديق له : (إن رجلا من بلاد التتر الكبيرة أهدى إلى رجل من أصدقائي ثعبانين عظيمين مع غلام يطعمهما ويقوم عليهما ، فقال لي هذا الصديق وهو يهزأ بالهدية ، إذ لم يكن له وجه ينتفع بالثعبان ولا يستعمله : إن شئت آثرتك بهما لعلك تنتفع بهما في شيء من الطب ! فقلت : ما بي حاجة

---

[٣٤] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثانية ورقة (٢٤٦) . وفي حادثة يذكرها أبن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ٢/ ١٢٨ عن الطبيب يوحنا بن ماسويه (المتوفى : ٢٤٣هـ/٨٥٧م) ، وكان يجري التشريح على القردة لكثرة الشبه بينها ، فيقول : قدم عظيم النوبة عام (٢٢١هـ/٨٣٥م) إلى سر من رأى ، وأهدى إلى المعتصم هدايا فيها قردة ، وكان ليوحنا قردة يسميها حماحم ، فأرسل المعتصم ليوحنا مع رسول قرد من القرود المهداة عظيم الجثة ليزوجه مع قردته (حماحم) ، فقال يوحنا للرسول : (قل لأمير المؤمنين اتخاذي لهذه القردة غير ما توهمه أمير المؤمنين ، وإنما دبرت تشريحها ووضع كتاب على ما وضع جالينوس في التشريح يكون جمال وضعي إياه لأمير المؤمنين... فأما إذ قد وافى هذا القرد فسيعلم أمير المؤمنين أني سأضع له كتابا لم يوضع في الإسلام مثله) ، ثم فعل ذلك بالقرد فظهر له منه كتاب استحسنه أعداؤه فضلا عن أصدقائه ، فسماه كتاب التشريح ، واعتمد المروزي على أبن ماسويه في كتابه (طبائع الحيوان) كثيرا .

إليهما ، وما كان استعمالي لهما إلا بعد موتهما بلا مخاطرة ؛ كما أستعمل أشياءً من أبدان الأسد وغيره من السباع ...)[٣٥].

لم يثبت لنا أن المروزي مارس الطب السريري clinical medicine ، ولكن علمه وعمله في الطب ، والعلوم الطبيعية ، وحب الاستطلاع عنده ، يظهر جليا في جميع أجزاء عمله ، ففي الباب السابع عشر ، توجد في الأقل ستة أمثلة على الأنشطة غير الاعتيادية للإنسان والحيوان ، يصفها ويبينها استنادا إلى ملاحظاته الشخصية ؛ كمشاهدته (بقرة لها عند سنامها قريبا من رقبتها يد تامة مثل إحدى يديها ؛ بعضدها ومفاصلها وهي تحركه بإرادة)[٣٦]، ومشاهدته (واحدا من السُّوقِيَّةِ كان له بنت قد استكملت أربع سنين ، فتحركت يوما حركة عنيفة فانشق في فرجها شيء وخرج قضيب وخصيتان)[٣٧]، ورأى (امرأة أخرى لها عضدان وذراعان وكفان إلا أن كل واحدة من الكفين تتخرط وتدق إذا قارنت الزند حتى تنتهي إلى رأس دقيق يمتد ويصير أصبعا واحدا فقط ، وكذلك قدماها ، ولها بُنيّة في مثل خلقتها)[٣٨]، وله مواطنة من أهل قرية بمرو رآها (تسمى : ماخوان ، بلا يدين ، وكان في موضع اليدين شيء مثل أثداء النسوان معلقان في أكتافها ، وكانت تعمل برجليها جميع الأعمال حتى أنها كانت تغزل وتخيط خياطة

(٣٥) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثانية ورقة (٢٩٣) .
(٣٦) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الأولى ورقة (٩٣) .
(٣٧) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الأولى ورقة (٩٤) .
(٣٨) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الأولى ورقة (٩٥) .

جيدة ، وكانت تعجن وتخبز وتحلب البقر وتعمل غير ذلك)[٣٩]، ومواطن له آخر (له يد واحدة تامة ، ومكان اليد الأخرى شيء معلق كثدي المرأة، ثم ولد له إبن له في كل يد ستة أصابع وفي كل قدم سبعة أصابع ؛ فكان له ستة وعشرون إصبعا ، ولأبيه خمسة عشر إصبعا)[٤٠]، ورأى (رجلا إحدى رجليه تامة وفي الرجل الأخرى إصبعان ؛ الإبهام والخنصر ، وفي موضع الإصبع الثالث رجل أخرى بارزة من ذلك الموضع في عظم رجله ، وعلى رأسه ثلاثة أصابع)[٤١].

كما أنه تقصى عن تلك الأنشطة غير الاعتيادية فيقول : (وحكي بعض البغدادية أنه رأى فتى يقال له : محمد المرة ؛ ويعرف حاله ، ويحدث عنه ، ولد صبية ذات قبُل ورحم ، فلما بلغت زوجت ، فلما خلا بها الزوج وواقعها أنخرق الموضع وظهر فيه قضيب وخصيتان ، فنهض الرجل وصاح ، واستفاض خبره ، وصار رجلا تاما قد تزوج وأولد أولادا)[٤٢].

ورأى الحالات الجراحية ، فكانت ملاحظته دقيقة جدا كضربات مخالب الأسد فيصفها المروزي ويقول : (رأيت موضع آثار مخالبه في مقدار شرطة حجام أو أزيد قليلا ، إلا أنه من داخل أوسع كثيرا)[٤٣].

---

[٣٩] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الأولى ورقة (٩٥) .

[٤٠] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الأولى ورقة (٩٥) .

[٤١] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الأولى ورقة (٩٥) .

[٤٢] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الأولى ورقة (٩٤) .

[٤٣] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثانية ورقة (٢٢٢) .

وفي الموضع نفسه يخبرنا عن ملاحظاته في جراحات الأسد ، وهي ملاحظات ما تزال صحيحة ومعمولا بها في معالجة جروح الحيوانات لنفسها فيقول : (ولقد رأيت وأنا في قرية من قرى الصاغانية أسدا قتله الأتراك في المصيدة وسلخ أهابه [جلده] ؛ فوجدوا في أهابه أحد عشر نصلا قد عتقت فيه واندمل جرحها ؛ وهو يحتمل ذلك في جميع بدنه إلا من جهة مراق بطنه فإنه من هناك ضعيف جدا)[٤٤].

ومع كل ذلك من المشاهدات والملاحظات فإن المروزي كان يتقصى الحقائق بأسلوب علمي ، غير مكترث بالنقل والخبر ، وجاعل للميزة العلمية دائرته المحكمة في تلقي المعلومة كقوله : (وذكر بعض اليونانيين ومن بعدهم ؛ أن الضبع يكون سنة أنثى وسنة ذكرا ، يسفد أحيانا ويقبل التلقيح أحيانا ، وأنا أبرأ إلى الله من قبول هذا المعنى ، فمن شاء أن يقبل فليقبل)[٤٥].

عمل المروزي طبيبا بيطريا للسلطان السلجوقي ملكشاه[٤٦] الذي ذكره عدة مرات في الكتاب ، ومن المحتمل أن المروزي ظل طبيبا في البلاط

---

[٤٤] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثانية ورقة (٢٢٢) .

[٤٥] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثانية ورقة (٢٣٧) .

[٤٦] ملكشاه : من اشهر سلاطين السلاجقة ، خلف أباه ألب أرسلان (٤٦٥هـ/١٠٧٢م) ، بلغة الدولة في عهده أوج ازدهارها (توفي :٤٨٥هـ/١٠٩٢م). ابن الجوزي : المنتظم ٩/٦٢.

السلجوقي لخدمة من خلف ملكشاه في الحكم حتى عهد الحاكم سنجر[٤٧].

ونستدل على ذلك من خلال ما أورده من روايات عن ذلك فيذكر : (إنه حُمل إلى حضرة السلطان – ملك شاه – زرافة ، وقال أنه من أحسن جنسه ، فشاهدته بإصفهان في سنة (٤٧٤هـ/١٠٨١م) ، وأمرني الوزير نظام الملك بمشاهدته وتأمل شكله وصورته ، فرأيت منظرا عجبا ...)[٤٨].

ويذكر أنه عالج في كورة من كور مرو أنثى فيل للسلطان ملكشاه عام (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) كانت متقرحة وعالجها ، إلا أن سائسها (الفيال) ، أخطأ فظنها قد تماثلت للشفاء فضغط على موضع الجرح فنزفت (الفيلة) حتى هلكت[٤٩].

كما أنه يذكر حادثة أخرى لفيل السلطان ملكشاه ، قد وقعت في مرو عام (٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م) ، يظهر فيها اتجاه الفيلة وسلوكها في التعامل[٥٠].

ويروي أنه : (قد حُمل إلى حضرة السلطان ملكشاه – رحمه الله – حمار كان يقال له : حمار عتاب ، وكان عظيم الجثة عظيم الرأس مختلف اللون بالسواد والبياض ؛ عليه خط أسود ممتد من ناصيته إلى مغرز ذنبه ، تتصل به خطوط إلى أضلاعه متضايقة الوضع عند صهوته ... وكان

---

[٤٧] سنجر : (المتوفى:٥٥٢هـ/١١٥٧م) آخر سلاطين السلاجقة ، خسر بلاد ما وراء النهر وأسرته قبائل الغز فكانت نهاية عهده بداية الانحطاط . ابن الاثير : الكامل في التاريخ ٢٤١/٩.

[٤٨] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثانية ورقة (٣٠٣) .

[٤٩] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثانية ورقة (١٤١) .

[٥٠] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثانية ورقة (١٣٩) .

لا ينقـاد لأحـد ولا يطيـع إلا رجـلا واحـدا كـان سايسـه ومـدبر علفـه ، وتعهده ...)[٥١].

ويذكر عن نـوع من النمل حُمل قرنـه إلـى السلطان ملكشاه فيقول : (ومن فرسان النمل الكبار نوع له قرون كبار متشعبة شبيهة بقرون الأيائل ، سود اللون عظمى الجرم ، وكنا نستبعد ذلك حتى حُمل إلى حضرة السلطان ملكشاه قرنا واحدا من قرونها ، وكان على ما وصفناه ووزناه فكان وزنه ثلثي درهم ، فقضي منه العجب)[٥٢].

ولا نستبعد شغف السلطان ملكشاه بالحيوانات وتربيتها وصيدها ، فيذكر أنه بنى منارة القرون في الكوفة من صيده ؛ وبنى مثلها في ما وراء النهر ، ويذكر في رواية مبالغ بها أن ما اصطاده بنفسه كان عشرة آلاف حيوان ، فتصدق بعشرة آلاف دينار، وقال : (إني خائف من الله سبحانه من إزهاق روح لغير مأكله)[٥٣].

وعن الحوادث التي رآها المروزي في مرابي أحد سلاطين السلاجقة المعاصرين لتأليف الكتاب يقول : (كان لملكنا – خلد الله ملكه – أسد عظيم الجثة كأعظم ما يكون من الأسود ؛ وكان قد تعلم وأرتاض وأستأنس ، وكان له سايس يروضه ويتعهده ويستأنس به ، وكان للسايس صبيته قد عودها تعهد الأسد بالإطعام والسقي ، وكان الأسد قد ألفها ويعبث بها ، فغاب أبواها

---

(٥١) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثانية ورقة (٢١٥) .

(٥٢) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الرابعة ورقة (٤٧٢) .

(٥٣) أبن الجوزي : المنتظم ٩/٧٠، ياقوت الحموي : معجم البلدان ٨/٣٢٣.

يوما والصبية كانت تطعم الأسد فلحس الأسد وجهها تقربا إليها ؛ فأخدش وجهها لخشونة لسانه فوجد الأسد ذوق الدم ، وألتقم وجهها وأكلها واستغاث أبوها بالملك وأمر بإحضار الأسد وأمر الغلمان حتى قتلوه رشقا واقتسموا لحمه فيما بينهم)[٥٤].

ولم يكتفِ المروزي بالروايات التي ينقلها من داخل البلاط السلجوقي ، بل يمدنا بروايتين أحداهما من حاضرة مدينة غزنه والأخرى من بلاط ملك خراسان، فيقول: (وقد حُمل في هذه الأيام إلى حضرة [حاضرة] غزنه حيوان يشبه الثعلب لم يكن به الجلد المذكور بين يديه ورجليه ، وإذا خلى من العلو نزل على مهل لا على الشاقول، لكن بالبعد منه على هيئة مشابهة للطيران فكان ذلك له)[٥٥]، ومن بلاط خراسان يقول : (فقد رأينا فرسا تركيا بعثه والي سمرقند إلى ملك خراسان ، فكان يقضم في كل ليلة ثلاثين منا شعيرا ، ويسير كل ليلة على الدوام ثلاثين فرسخا من غير أن يلحقه كلل ولا فتور)[٥٦].

أعجب شرف الزمان طاهر المروزي باليونان أعجابا كبيرا ، فدفعه هذا الإعجاب إلى الاعتماد على المصادر اليونانية القديمة اعتمادا كبيرا ، ويلاحظ ذلك من خلال ثنايا كتابه ومصادره ، فيكاد لا يترك مصدرا من مصادر اليونان الطبية والطبيعية والجغرافية إلا كانت له مرجعا ، ونراه ينفي صفة العلوم عن الرومان وينسبها لليونان فيقول : (وأما ما ينسب إليهم [أي

[٥٤] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثانية ورقة (٢١٩) .
[٥٥] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثانية ورقة (٢٧٢) .
[٥٦] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثانية ورقة (٢٠٢) .

الروم] من العلوم ، والحكم الغامضة ، والأشياء الشريفة ، فليست هي لهم بالحقيقة ، بل هي لمن خالطهم من الحكماء اليونانيين الذين هم مخصوصون بلطف الفكر ، وحدة الأذهان ، واستنباط ما استنبطوه من العلوم ، واختراع ما اخترعوه من الحكم ، وذلك أن مملكة الروم تشتمل على أراضي يونان ، ولم يوجد لأمة من الأمم ما وجد لأهل يونان من الحظ المتوفر في أبواب الحكمة التي هي بالرياضيات التي تنقسم إلى العدد ، والهندسة ، والتنجيم ، وتأليف اللحون ، وكذلك علم الطبائع ، والعلم الآلهي ، وعلم المنطق ، وعلم الأخلاق ، والسير ، والسياسات ، وعلم الفراسة ، وغيره مما ينقسم إليه علم الفلسفة ولهم فيها كتب مشهورة قائمة في أصل تلك الصناعات ، وإليها مرجع أهلها ، وقد كانت الفلاسفة كثرت عندهم في بلد يقال له : ماقدونيه [مقدونيا] ، حتى سموها مدينة الحكماء ... فأما الصنائع المهنية ، فهي لهم مسلمة لا يربى فيها أحد عليهم ، إلا أهل الصين)[٥٧].

يرى المستشرق مينورسكي أن المروزي كان شيعيا ، (ففي ذكره لحكام مُلتان [مدينة في باكستان] يقول [أي المروزي] : (إنهم يقرأون الخطبة لإمام المسلمين) ؛ يقصد بهذا الخليفة الفاطمي ، وكما يبدو جليا فإن المروزي شديد الإعجاب بشجاعة الشيعة الاسماعيلية من الديلم)[٥٨].

أستند المستشرق الروسي مينورسكي إلى نص ورد في الباب السابع ، يتحدث فيه عن فضائل البلاد وتأثير الإقليم في الطبائع فذكر المقاتلين من

---

(٥٧) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الأولى ورقة (٦٨) .

(٥٨) SHARAF AL-ZAMAN TAHIR MARVAZI : ON CHINA, THE . TURKS AND INDIA p 3

الأقوام الأسيوية وانفرد بالديلم بقوله : (فأما الديلم فكانوا يجعلون بإزاء الواحد منهم واحدا ، لما عرفوه من شدة شوكتهم وبأسهم ونجدتهم)[٥٩]. ولا أرى أن لهذا النص أو الذي سبقه خاصية في تحديد المذهب ، فما اعتقده أن المستشرق الكبير مينورسكي لم يوفق في استنطاق النص ، فأن كان ضروريا من تحديد مذهب المروزي من خلال استنطاق نصوصه ؛ فأعتقد من غير جزم أنه كان (برغماتي Pragmatical)[٦٠] أقرب منه إلى مذهب من المذاهب ، فهو يشيد بحوادث تكاد تكون مستهجنه عند الشيعة ، وهذا ما نعول عليه من نصوص نناقشها في منهجيته .

غطى المروزي في كتابه معظم مناطق آسيا وبعض مناطق أفريقية ، وكان الكثير منها معتمدا على ملاحظاته الشخصية ؛ نتيجة أسفار المروزي في تلك البلاد .

وإذا ابتدأنا بالصين ، قد يلوح لنا أن المروزي كان على أطرافها ، لكننا غير متأكدين من أنه قد دخل الصين ، فهو يمدنا بمعلومات قد تكون من أهم معلومات الكتاب ، ويذكر لنا روايات لم يصل اليها كبار المغامرين من

---

(٥٩) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الأولى ورقة (٣٩) .

(٦٠) برغماتية : Pragmaticaism : وبرغماتي : Pragmatic, Pragmatical : لفظ قديم استعمله بيرس في أواخر القرن التاسع عشر ، وأرادبه : أن معيار الحقيقة هو العمل المنتج لا مجرد التأمل النظري ، ثم ظهر مذهب قريب منه يرى : أن معيار صدق الآراء والأفكار إنما هو في قيمة عواقبها عملا ، وأن المعرفة أداة لخدمة مطالب الحياة ، وأن صدق قضية ما هو كونها مفيدة . المعجم الفلسفي : ص٣٢ مادة (برجماتية) .

الجغرافيين العرب ، فيسد به شيئا من النقص في المعلومات التي يقول عنها البيروني : (وأما شهور سائر الأمم من الهند والصين والتبت والترك والخزر والحبشة والزنج ، فإنه وإن تقرر عندنا أسماء بعضها فإنا قد أعرضنا عن ذكرها إلى وقت يتفق لنا الإحاطة فيه بها ، إذ لا يليق بطريقتنا التي سلكناها أن نضيف الشك إلى اليقين ، والمجهول إلى المعلوم)[٦١] ، ويقول أبو الفداء : (وقد ذكر أصحاب كتب المسالك والممالك في كتبهم بلادا كثيرة ومواضع وأنهارا وغيرها في إقليم الصين ، ولم يقع لنا ضبط أسمائها ولا تحقيق أحوالها فصارت كالمجهولة لنا ولعدم من يصل من تلك النواحي من المسافرين إلينا لنستعلم منه أخبارها فأضربنا عن ذكرها)[٦٢].

أما بغداد – حاضرة العالم الإسلامي – فإن المؤلف قد دخلها ووصف عظائم مبانيها كالأبواب الحديدية على نهر المعلى ، ودار الخلافة (دار التاج) ، وباب النوبي وباب العامة الذي حمل من عمورية على العجلات في زمن الخليفة العباسي المعتصم بالله (ت ٢٢٧هـ/٨٤١م) ، ووصفها بأنها : (من أعظمها وأعجبها صنعة)[٦٣]. كما أنه عاصر بعض الشخصيات البغدادية كالكاتبة البغدادية ، التي هي مجهولة لنا[٦٤]، ولكن مع ذلك فنحن نجهل مدة إقامته فيها وعدد المرات التي دخلها وأهم معاملاته فيها .

---

[٦١] الآثار الباقية عن القرون الخالية ص٦٨.

[٦٢] تقويم البلدان ص٣٦٤.

[٦٣] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الأولى ورقة (١٢٩) .

[٦٤] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الأولى ورقة (١٠٠) .

أما مرو – موطن المؤلف – التي تحدثنا عنها سابقا ، فإن المروزي قد خبرها وأمعن في معالمها وضواحيها وقرّاها ، وذكر في كتابه أمثلة كثيرة عنها ، قد تقدم ذكرها .

دخل المؤلف خراسان ، وهو في البلاط الملكي[٦٥]، وجاب معظم بلاد أواسط آسيا كدخوله في بلاد ما وراء النهر إلى قرية من الصغانيان[٦٦]، وغزنه (مدينة في أفغانستان) عاصمة الغزنويين التي تقع جنوب غرب كابل ؛ وكانت مركزا من مراكز الثقافة والآداب في زمن المؤلف[٦٧]، وأصفهان وهي مبتدأ الدولة السلجوقية ، ومن الظاهر أنه لم يقم بها طويلا[٦٨]، كما جاب بخارى وطوس ونيسابور ، ودخل كورة بسرخس (مدينة في إيران قريبة من مرو) فيخبرنا : (ولقد رأيت بكورة سرخس رجلا صعد المنارة العظمى في المسجد الأعظم ، ثم صعد الميل الذي على رأس المنارة ، ثم صعد الدوارة الصفرية التي تُسمّى : ماه منارة [هلال المنارة] ، ثم نكس رأسه وقام على حافة الدوارة وجعل يحرك رجليه ويلعب)[٦٩]، ودخل بلدة من بلدات جرجانية خوارزم (جزء من جمهورية أوزبكستان وتركمانستان)[٧٠]. وكما يذكر عن مروره بطريق قرب طالقان (مدينة شمال

---

[٦٥] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثانية ورقة (٢٠٢) .

[٦٦] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثانية ورقة (٢٢٣) .

[٦٧] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثانية ورقة (٢٧٢) .

[٦٨] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الأولى ورقة (١٢٧) .

[٦٩] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الأولى ورقة (١٣٠) .

[٧٠] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثالثة ورقة (٣٨١-٣٨٢) .

إيران قرب قزوين) فيقول : (ولقد نزلت في بعض أسفاري في سفح جبل من نواحي طالقان ...)[٧١]. وفي رواية طارئة عن فلوات البلدان يقول : (وقد شاهدت في بعض الفلوات...)[٧٢].

وأما الهند ، فعلى الرغم من أن المؤلف أعطى معلومات مهمة ووفيرة في العقائد الهندية فقد دون المروزي بشيء من التفصيل الجديد والدراسة (الباب الثاني عشر) سبقت المعلومات التي ذكرها البيروني ، وما يعتقده مينورسكي في هذه المعلومات (فتعتمد على تقرير كُتب على ما يظهر نحو (١٨٣هـ/٨٠٠م) ، أي قبل أكثر من مئتي عام قبل البيروني)[٧٣]، فأنا أتفق مع المستشرق الكبير مينورسكي من أن المروزي قد أخذ المعلومات من مصادر سابقة للبيروني ، وكذلك من الروايات المحلية ، رغم أن المروزي رأى الحالات الخاصة من الهنود[٧٤]، وإشارته الى عدم ذبح البقر في الهند[٧٥]، والظاهر أن ذلك كان خارج الأراضي الهندية .

أما مصر فإن المؤلف قد دخلها وسمع من أهلها ورأى بها من الحيوانات ما حدثنا عنه قائلا : (وقد رأيت أنا بمصر فأرة جلبت من كورة في أرض الروم يقال لها : لسوى ، تطير في الهواء بلا جناحين بقوة طباعه

---

(٧١) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الرابعة ورقة (٤٥٤) .

(٧٢) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الرابعة ورقة (٤٦٤) .

(٧٣) SHARAF AL-ZAMAN TAHIR MARVAZI : ON CHINA, THE TURKS AND INDIA p 5

(٧٤) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الأولى ورقة (٦٦)

(٧٥) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثانية ورقة (١٥٤) .

في ذنبها)[٧٦]. وروى فيها عن علاء الدين أبي الفتح محمد بن محمد الخشاب والذي وصفه بالأجل[٧٧].

أما الوضع الاقتصادي للمروزي فما تقدم به يبين أن المروزي كان من الميسورين اقتصاديا ، متمكنا من إنجاز أبحاثه ومشاريعه العلمية ، فيخبرنا عن طبيعة وضعه الاقتصادي في روايتين لهما دلالة كبيرة ، فيقول : (إن واحدا من وكلائي حمل إلى داري عدة فراخ من ضيعة لي ، وسلمها إلى الطاهي فنظّفها وغسلها وعلقها في سفود (سلاسل) ليشف وينبت معلقا ، وأودعها بيتا مظلما لأن الوقت كان شاتيا ، فلما جن الليل دخل بعض الخدم ذلك البيت وخرج وقال : إني أرى في البيت شيئا يلمع كالسراج ! ودخل آخر فقال : مثل ذلك ! فقمت ودخلت البيت فرأيت واحدا من تلك الفراخ له بريق ولمعان . فأخذته ووضعته بين يدي في ضوء الشمع فكان كسائر الفراخ ، وإذا أدخلته بيتا مظلما لمع كالسراج . فتداولته الأيدي ، وتكلم الناس فيه على قدر عقولهم)[٧٨].

والرواية الثانية يقول فيها : (كان في دارنا ظبي مأنوس ، فكان يأكل كل ما يجد في البيت من خبيث وطيب ؛ فقدم إلي يوما طبقا عليه ألوان من الأطعمة ، فكنت أتناول منها وأطرح له من كل شيء ، فكان يأكله حتى

---

(٧٦) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثانية ورقة (٢٩٧) .

(٧٧) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثالثة ورقة (٣٦٨) .

(٧٨) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثالثة ورقة (٣٧٧) .

فرغت من الغذاء ، وجيء بالطست والماء والصابون فرميت إليه الصابون فأكله)[٧٩].

لم يتحفظ المروزي من انتقاد أهل زمانه ، ناعتهم بأقوى الألفاظ ، من دون أن نعرف مبررات ذلك ، فنراه يقول عن علماء الدين في زمانه : (وقد كانوا قبل زماننا يراقبون الله تعالى بعض المراقبة ، ويطلبون لما يتعاطون من المناكير تأويلا ومتعلقا . فأما في زماننا فقد هتكوا ستر الحياء ، ورفضوا أحكام الّدين ونبذوها وراء ظهورهم ، وجعلوا الدّين هزوا ولعبا ، وجاهروا بالظلم والعَسْفُ ، واستحلال أموال النّاس ، واتخذوا عباد الله خَوْلا (عبيد) يولونهم خَسْفا (جورا) وذلا ، ويتركون المكثرة مقلا)[٨٠].

وينتقد أخلاق أهل زمانه من كثرة البخل فيقول : (فأما الجود ؛ فهو في زماننا كالعَنْقَاءُ المُغْرِبٌ ، وكآوَى ، أو كحُبَاحِبَ ، أو قبَّان ، أو وَرْدَانَ ، فإنما نسمع أخبارها ولا نراها . وأما الشح : فقد يشمل أهل الزّمان ، وعمّهم . وهو في النساء أكثر وأعم)[٨١].

ولم يعفِ المروزي المتطفلين على العلم ، وهم يدمرون أبحاثه ، بتصرفاتهم الهوجاء فيصفهم بـ (السفهاء) و (وأصحاب الخرق)[٨٢].

---

(٧٩) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثانية ورقة (١٧٤) .

(٨٠) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الأولى ورقة (٢٥)

(٨١) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الأولى ورقة (٣٦) .

(٨٢) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثالثة ورقة (٣١١) .

المروزي عالم من علماء عصره ، الذين حكموا العقل والتجربة في مقياس العلم ، فلم يقنع بالرواية الدارجة ، وإنما كان في سبيل البحث العلمي يضع بين دوائرها آراءه ، فنحن إذن في وفاق عالِمٍ يقف في مصاف اليعقوبي والبيروني في النقد والتحليل ، ولسنا أمام حاطب ليلٍ ، وإن لم يعفِ الزمان هذا الرجل من غباره ، كما لم يعفِ أساطين التأليف كابن النديم من ضياع سيرهم ، ولا أستغرب من هذه الحالة ، فتجربتي مع الجغرافيين العرب أثبتت أنهم ليس ببعيدين عن المروزي ، إن لم يكن هو أفضل حالا منهم .

لم يترك لنا المروزي ، إشارة لشيوخه الذين أخذ عنهم العلوم الطبية والطبيعية والروايات الجغرافية ، بل كأننا أمام عالم في الجزء الأخير من حياته . ولم تحفظ لنا المصادر من أسماء تلامذة هذا الرجل ، أو مؤلفاته ، ولكن يشير المروزي إلى أنه أشار إلى معلومات سابقة ذكرها (في أخبار التبع الأكبر)[٨٣] الذي يعتقد بأنه (قهر الملك في الشرق والغرب) ، فمن المحتمل أن يكون للمؤلف هذا الكتاب قد ألفه قبل كتاب (طبائع الحيوان) ؛ وذلك لما عرفنا عن المروزي بأنه قد أهتم بتاريخ أواسط آسيا، ومن المعروف في الميثولوجيا العربية بأن تبع الأكبر قد توغل في آسيا وانتهى به المطاف إلى الصين .

غطى الكتاب أحداث حقبة طويلة من الزمن ، نستدل من خلالها على أهم السنين والحوادث التي مرت على المؤلف ، لعلنا في ذلك نستطيع أن نصل إلى مدة تقريبية لوفاة المؤلف . فمثلا يذكر المروزي أنه رأى : (رجلا

---

(٨٣) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الأولى ورقة (٧٣) .

من العرب وفد علينا في شهور سنة (٤٤٨هـ/١٠٥٦م) ، وكان خفيف البدن ، خفيف الحركات ، خفيف المنظر والمنطق ، فيسرع في الماء ليغتسل في نهر رَوْنَقُ...)[٨٤]، ويذكر أنه : (ظهر في زماننا واحد يقال له العلويّ الإيلاقي واسمه : محمود ، فأدّعى الحلول ... وكان ذلك بمرو ، والسلطان ملكشاه – رحمه الله – بها في شهور سنة (٤٧٢هـ/١٠٧٩م))[٨٥]، ويذكر : (إنه حُمل إلى حضرة السلطان – ملك شاه – زرافة ، وقال أنه من أحسن جنسه ، فشاهدته بأصفهان في سنة (٤٧٤هـ/١٠٨١م) ...)[٨٦]، ويذكر أنه عالج فيلة السلطان ملكشاه مرتين كانت إحداها في مرو عام (٤٧٨هـ/١٠٨٥م)[٨٧]، والثانية كانت في عام (٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م)[٨٨].

ثم أنه ذكر الوزير نظام الملك ، والسلطان ملكشاه ، فيترحم عليهم ، وبذلك نحن نتجاوز العام (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) .

ويذكر الأمير التركي (أكنجي بن قحقار) الذي ولاه السلطان السلجوقي بركيارق خوارزم ، والذي قُتل عام (٤٩٠هـ/ ١٠٩٦م)[٨٩].

---

(٨٤) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الأولى ورقة (٨٥) .

(٨٥) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الأولى ورقة (١٥) .

(٨٦) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثانية ورقة (٣٠٣) .

(٨٧) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثانية ورقة (١٤١) .

(٨٨) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثانية ورقة (١٣٩) .

(٨٩) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الأولى ورقة (٥٩) ، وينظر كذلك أبن الأثير : الكامل في التاريخ٨/٤١٠ .

ثم يذكر المروزي : (وقد رأيت جماعة من الضعفاء في القحط الواقع في سنة (٤٩٢هـ/١٠٩٨م) كانوا يأكلون الفأر)[٩٠]، وهي المجاعة التي ذكرها ابن الأثير : (وفيها [أي العام ٤٩٢هـ] كان بخراسان غلاء شديد ، تعذرت فيه الأقوات ، ودام سنتين ، وكان سببه أنّ البرد أهلك الزروع جميعها ، ولحق الناس بعده وباء جارف، فمات منهم خلق كثير ، وعجزوا عن دفنهم لكثرتهم)[٩١]. فامتدت هذه المجاعة إلى العراق فـ (زادت الأسعار ، ومنع القطر ، وبلغ الكر تسعين دينارا ببغداد وواسط ، ومات الناس على الطرقات ، واشتد أمر العيارين في المحال)[٩٢]. وكان هذا في زمن الحاكم السلجوقي بركيارق بن ملكشاه .

أما آخر تاريخ يذكره المروزي في كتابه (طبائع الحيوان) فيقول : (في شهور سنة (٥١٤هـ/١١٢٠م) وكثير من البلدان والقرى غلب عليها النمل ، فخلت عن أهلها وأصبحت خاوية على عروشها)[٩٣].

فنرجح أن المروزي قد توفي بعد عمر طويل ، فإذا اعتبرنا أن أول تاريخ ورد في الكتاب وهو رؤيته للعربي عند نهر رَوْنَقُ عام (٤٤٨ هـ/١٠٥٦م) على فرض أنه كان في العاشرة من عمره ، فسيكون عمره في العام الذي هجم النمل على القرى عام (٥١٤هـ/١١٢٠م) ، هو (٧٦) عاما ،

---

[٩٠] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الرابعة ورقة (٤٣٩) .

[٩١] الكامل في التاريخ ٤٣١/٨.

[٩٢] أبن الجوزي: المنتظم ١٠٩/٩.

[٩٣] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الخامسة ورقة (٤٧٢) .

إذ يكون في هذا العام قد وصل إلى آخر الشوط في مجال العلم والكتابة والبحث العلمي .

وصف كتاب طبائع الحيوان :

اسم الكتاب وسبب التأليف وتاريخه :

يعد موضوع كتاب (طبائع الحيوان) جوهر مادته في علم الحيوان ، ولكن في الأقسام الثمينة من الجغرافية والسلوك البشري ، وبمعنى آخر في الأجناس المختلفة للعالم ، فتجيء شهرة المروزي الرئيسة من كتابه .

ولم نقف على عنوان للكتاب إلا من خلال ما ذكره العوفي وابن المهنا في كتابيهما ، ومن خلال ما أجريت عليه من مقابلات للمعلومات الواردة في الكتابين .

أما المخطوطة فقد خلت من عنوانِ الكتاب ، إلا من عنوان كُتب لاحقا بخطٍ مغاير على المخطوطة وأحدث منه بعنوان (حيواة الحيوان) .

أما عنوان المؤلف (كتاب طبائع الحيوان) ونحن نركن له ، لطبيعة المادة في الكتاب ، التي شغلت معظم الكتاب إن لم يكن كله في تحديد الطبائع والسلوك البشري والحيواني . حتى أن المؤلف من خلال مقدمته أشار إلى تدرج الطبائع من الخالق إلى التراب .

ولا نستبعد على المروزي اختياره هذا العنوان ، فهو مطلع جيد على التراث اليوناني القديم ، فلأبقراط (كتاب طبائع الحيوان) ولارسطوطاليس

(كتاب طبائع الحيوان) ، كما أن لابن بختيشوع (كتاب طبائع الحيوان) الذي أطلع عليه المروزي ، كما أطلع على الكتابين السابقين .

ويبقى عنوان الكتاب (طبائع الحيوان) ، هو السائد لنا والمرجح ترجيحا واسعا، وهذا العنوان هو ما ذهب إليه معظم كبار المستشرقين كالطبيب الفرنسي لوسيان لوكليرك ، وآرري ، ومينورسكي ، وبروكلمان ، وكراتشكوفسكي .

أما سبب تأليف الكتاب ، فلا توجد إشارة في الكتاب توحي أنه قد أهدي تأليفه إلى شخص محدد ، ولكن يذكر المؤلف (ولما كان الحيوان أشرف موجود في العالم السفلي أحببنا أن نفرد له كتابا نذكر فيه أجناسها ، وأنواعها ، وأشخاصها ، وفصولها ، وأحوالها ، وأوصافها ، وأخلاقها ، ومساكنها ، ومنافعها ، ومضارها ، وتنافرها، وإتلافها ، وتعاديها ، وتصادقها . فجمعنا في هذا الكتاب منها بما انتهى إلينا علمه وتيسر لنا السبيل إلى معرفته ، مستعين بالله تعالى ، والله الموفق للصواب ، وجعلناه خمس مقالات)[٩٤]. فرغبته الخالصة في تأليف الكتاب كانت علمية مطلقة . ولم يخلُ الكتاب من تجارب المؤلف التي كانت على شكل مذكرات في السفر والحياة العملية في البلاط السلطاني للسلاجقة ، كما أن الكتاب أحتوى على آراء المؤلف وتجاربه الطويلة فالمروزي يكتب بأسلوب مراسل علمي في مؤسسة ناشيونال جيوغرافيك الكبرى National Geographic في أيامنا الذي يجتذبه كل ما هو مستغرب ، والذي يتفحص كل ما يقع تحت

[٩٤] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الأولى ورقة (٢) .

بصره ، ولا تفوته فرصة الاستفسار من الشخصيات العامة أو البارزة أو زيارة الذين يرددون الأقاويل والانتقادات .

كما أن من الأسباب التي دعت المؤلف إلى تأليفه ؛ هو النمط السائد في كتب الطبائع ، إذ يظل النمط المميز هو وصف طبائع البلدان والمسالك ، والذي يقابله في اليونانية تسمية (كوزموغرافيا) .

أما تأريخ تأليف الكتاب فلا يمكن تحديده إلا بصورة تقريبية ، فآخر تاريخ موجود في الكتاب يرجع إلى عام (٥١٤هـ/١١٢٠م) ، أي في العقد الأخير من حياة المؤلف ، ولكن غطى المؤلف أحداثا شهدها بنفسه في نهاية العقد الأول من القرن الخامس الهجري ، ومعظم حوادث العقد الثاني من هذا القرن .

ولكن ما اعتقده أن الكتاب قد أُلف على مراحل متفاوتة وطويلة ، امتدت من زمن السلطان ملكشاه وبركيارق وسنجر إلى أن جمع بعد العام (٥١٤هـ/١١٢٠م) في زمن حاكم مجهول لنا (ملكنا – خلد الله ملكه –) ، وهي أقرب للمذكرات والملاحظات كما ذكرنا .

وصف عام للكتاب :

يعد كتاب (طبائع الحيوان) للمروزي من الكتب الكبيرة الحجم نسبيا ، فتصل صفحاته المخطوطة إلى (٢٦٤) ورقة ، إي أنه أصغر من كتاب (الحيوان) للجاحظ ، وأكبر من كتاب (حياة الحيوان الكبرى) للدميري . وأن تفوق المروزي على الجاحظ والدميري بقيمة ودقة معلوماته .

وضع المؤلف مقدمة لكتابه أوضح فيها مدخله للبحث وأساسيات عمله وعلى ما أستند اليه من تدرج في البحث ، مبينا أهم الأسباب التي دعته لتأليف هذا الكتاب .

ثم قسم كتابه إلى خمسة أقسام سماها بـ (المقالات) وهي تسمية يغلب عليها الطابع اليوناني ومن ثم الفلسفة الإسلامية . فيذكر المؤلف : (وجعلناه خمس مقالات) .

فكانت المقالة الأولى قد خصصها في ذكر لإنسان وأنواعه وطبقاته من أعلى مراتبه إلى أدنى منازله ، وهذه المقالة هي أهم مقالة في الكتاب .

والمقالة الثانية خصصها لذكر البهائم والوحوش والسباع وذوات القوائم الأربع، واشتملت على خمسة وثلاثين بابا .

والمقالة الثالثة للطيور البرية والبحرية واشتملت على باب واحد .

والمقالة الرابعة للحشرات وهي في باب واحد .

والمقالة الخامسة والأخيرة للحيوانات البحرية ، وهي في باب واحد .

ونعود للمقالة الأولى فيذكر المؤلف أنها في أحدى وعشرين بابا ، ولكن فعليا كانت مقسمة على اثنين وعشرين بابا .

جمع المؤلف في هذا القسم (المقالة) معظم مادة كتابه في الطبائع والتاريخ والجغرافية .

مع أن هناك تقسيما غير منظور قسمه المؤلف لمواد هذه المقالة ، فإنه أعتمد على أن يقسم هذه المقالة على ثلاثة أقسام ، فالقسم الأول من الأبواب

عرض المؤلف للمصطلحات العامة التي سوف يستند عليها في تحليل مادته ، إي عرض لنا مادته النظرية كافة ، والتي تعرف في وقتنا الحاضر بكشاف الرموز أو مصطلحات البحث ، وشغلت هذه المادة الأبواب الستة الأولى من المقالة الأولى . أما القسم الثاني الموضوعي فقد أسقط المؤلف مصطلحاته على المادة التاريخية والجغرافية المتناولة في الكتاب ، فطبق ذلك على الملائكة والأنبياء والملوك والعلماء والصوفية والمتنبئين والمبتدعين وسفهاء القوم والحيوانات ، فشغلت هذه المادة معظم الأبواب بدءا من الأولى وانتهاءً إلى الباب السادس عشر . أما التقسيم الثالث فهو لتجارب المؤلف العملية والطبية على طبائع الأشخاص العوام من الناس ، وشغلت هذه المادة الأبواب الأخيرة من المقالة.

قسم المؤلف مباحثه إلى مقالات ، ثم أبواب ، وكما ذكرنا سابقا أن الأبواب كانت اثنين وعشرين بابا وهي :

الباب الأول خصصه المروزي لذكر الأنبياء ومراتبهم ، مُقسم على مرتبتين الأعلى مرتبةً وهو الإنسان ، والأدنى مرتبةً وهو النبات .

والباب الثاني ذكر فيه المتنبئين عبر التاريخ ، ومقسم هذا الباب على قسمين الأول أعلى الدرجات وهم الأنبياء ، والثاني أدنا الدرجات وهم المجانين . ثم هناك ما بينهم وهم المتشبهة بالأنبياء . أستعرض فيه المؤلف الدعاة الأسيويين من بلاد فارس والبلاد العربية .

والباب الثالث ذكر فيه الملوك وعدّهم الدرجة التالية للأنبياء لقوله : (لأن الملك لا يستقيم إلا بالدين ، والدين لا يستقيم إلا بالسياسة ، والسياسة

إلى الملوك)[٩٥]. وقسم الباب على قسمين : فمنهم من يقترن بالنبوة كداود وسليمان ويوسف ﷺ ، ومنه من ينفرد بالملك فقط . واستطرق المؤلف في هذا الباب بحديث طويل عن الإسكندر المقدوني ، كانت معظم معلوماته مقتبسة عن البيروني .

والباب الرابع ذكر فيه العلماء والعلوم ، مقسما هذا الباب على قسمين : العلوم العليا وصنفهم بورثة الأنبياء ، والثاني : أصحاب العلوم الدنيا وهم ذوو الحرف والمهن .

والباب الخامس ذكر فيه الصوفية ، مستعرضا أهم مراتب المتصوفة وطرقهم .

والباب السادس ذكر فيه أخلاق الناس معتمدا على الروايات من التراث العربي وقصص الإسكندر المقدوني .

ومن الباب السابع ينتقل المروزي إلى المادة التاريخية والجغرافية في مباحثه ، فيستعرض أهل فارس – سرة الأرض – متحدثا عن خط الاستواء وطبائع هذا الإقليم .

والباب الثامن والتاسع والثاني عشر (أي قبائل أواسط آسيا) ذكر فيه أهل الصين وقبائل الترك وبلاد الهند ، وهذه الأبواب الثلاثة تعد من أهم أبواب الكتاب التي تحدث فيها المؤلف عن حركة القبائل في الشرق الأقصى وقبائل أواسط آسيا ، فبدأ بذكر الأقاليم ، وموقع الصين منها ، وبذلك يكون قد أنتقل من وسط الأرض (بلاد فارس) إلى أقاصي آسيا (الصين) ثم

---

(٩٥) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الأولى ورقة (١٥) .

يتدرج في كتابه إلى البلاد والأمم الكبيرة، مستعرضا أهم القبائل التركية والبلاد الصينية والمعتقدات والأمم الهندية ، كما تطرق للوفادة بين حكام الصين والترك وبين محمود الغزنوي .

أما الباب العاشر فكان للروم إذ أظهر فيه المؤلف أعجابا كبيرا بالروم اليونان ، مستعرضا وصف رحالةٍ قد سبقه وهو هارون بن يحيى الذي أخذ أسيرا إلى القسطنطينية وأرض الصقالبة والبندقية ، وكانت هذه الحادثة عام (٢٨٨هـ / ٩٠٠م) على تقدير الوصف[٩٦] ، والمروزي أضاف أخبار التجار والرحالة والمغامرين لتلك البلاد .

وكان الباب الحادي عشر مُخصصا للعرب ، ناقش فيه المؤلف موضعهم من الأمم الكبيرة ، ومحددا الموقع الجغرافي ، والعمق التاريخي ، وما أبدعته العرب من العلوم النقلية ، والأخلاق والطبائع ، والأطعمة ، ذاكرا فيه المآثر العربية، محاكيا مؤلفات الجاحظ .

أما الأبواب الثالث عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر ، والسادس عشر ، فهي لذكر الحبشة ومعدل خط النهار وأصحاب الجزائر والأطراف ومساكن الجنوب، وهذه الأبواب كانت عبارة عن انطباعات للفكر العربي اتجاه البلاد ذات الأمزجة القريبة من (الاحتراق) ، ومع ذلك فالمؤلف أبدع في سرد الواقع الجغرافي لتلك البلاد النائية .

ثم ينتقل المؤلف إلى مباحث جديدة في المعطيات ، ففي البابين السابع عشر ، والثامن عشر ، يتجه إلى الطب والأنثروبولوجيا ، فيعطينا طبيعة

---

[٩٦] ينظر : ابن رسته : الأعلاق النفيسة ص١١٩-١٣٠ .

الإنسان ، والصفات الذكورية والأنوثة في طبيعة فسلجة الجسم ، ثم ينتقل إلى التشريح ومراحل تكوين الجنين ، وقد عمد إلى تقسيم الباب الثامن عشر إلى فصول لتطلب مواضيع المبحث ذلك الأمر .

أما الباب التاسع عشر فيستعرض الحالات غير الطبيعية في السلوك البشري وهم الخصيان والغلمان ، ومما يدل على أن هذا الباب كتب في زمن كثرت فيه هذه الطبيعة .

أما البابان العشرون ، والحادي والعشرون ، فيستكمل بهما المؤلف للطبيعة البشرية في طول الأعمار وقصرها ، والعادات المكتسبة للبشر .

أما الباب الثاني والعشرون فجاء في منافع أعضاء الإنسان ، ويمكن القول أنه مبحث طبي ، ختم به المؤلف المقالة الأولى لتكون مدخلا لمقالاته الجديدة من الكتاب .

والأبواب بعمومها مكمل بعضها بعضا في الترتيب وتسلسل الأفكار ، فلم يشذ المروزي في هذه المقالات عن السياق المنهجي لمقدمته ، ولم يستطرد خارج موضوعه المحدد له ، أو يتبع الأسلوب الجاحظي في كتاباته .

وكما ذكرنا فإن المؤلف كان قارئا جيدا للفكر اليوناني ، ويبدو من تقسيمه أنه أطلع على كتاب بلينيوس (بيلّيني) (التاريخ الطبيعي) والذي تكون من ٣٧ جزءا قسمه على مقالات : في البشر ، ثم الثديات ، والزواحف ، ثم الأسماك البحرية ، ثم الطيور ، والحشرات ، ثم مواضيع مختلفة شملت النبات والبلدان والفولكلور والأزياء وغيرها مما لم يصل

إلينا[٩٦]، فانتهج المؤلف في تقسيمه ما ذهب إليه بلينيوس ، ولا نستطيع المقارنة بين منهجية المروزي الداخلية مع بلينيوس لعدم اطلاعنا على كتاب (التاريخ الطبيعي) ، ولكن في التقسيم العام كانت الأفكار متقاربة نوعا ما ، وإن ذهب المروزي إلى ما أملاه عليه عصره وواقعه الطبيعي في التأليف.

أما المقالة الثانية فيتجه المروزي إلى التخصص في علم الحيوان وفوائدها الطبية والتي سماها (بغير الناطقة)[٩٧] من البهائم والأنعام والسباع والوحوش والطيور والحشرات ونبات الماء . حيث يستعرض (٤٩) حيوان فضلا عن (٤) حيوانات ذكرها ، اي ما مجموعهم (٥٣) حيوان مقسم إلى حيوانات عشبية ولاحمة معظمها من السنوريات وحيوانات أسطورية بينما ذكر المؤلف ان هذه المقالة من (٣٥) بابا . مفصل قيمتها الاجتماعية وما تدور حوله من حكايات ومنافعها الطبية ، ولكن ما يميز هذا المبحث انه يذكر انواع كل فصيلة من الحيوانات الموجودة في أسيا وأسماءها في اليونانية واللغات المحلية[٩٨] . يبتدئ تقسيمه لهذه المقالة بالحيوان الاكبر حجما والاكثر تقديرا عند الناس وهو (الفيل) فضلا عن قيمته الاجتماعية في اواسط اسيا كقيمة الفرس في الجزيرة العربية . ثم (الابل) و(بقر الوحش) وهو الجاموس و(البقر الأهلي) و(اليحمور) أو اليأمور أحد فصائل عائلة الأيليات و(الغنم) و(التيس) و(الظباء) و(الأيل) و(الخيل) وهو اطول مبحث

---

(٩٦) The New Encyclopaedia Britannica (Pliny)9\520

(٩٧) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثانية ورقة (١٣٤) .

(٩٨) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثانية ورقة (٢٩٣) .

في هذه المقالة ، و(البغل) و(الحمير) و(الأسد) و(النمر) و(الببر) و(الفهد) و(الذئب) و(الضبع) و(الدب) و(القرد) و(الخنزير) و(الكلاب) و(الثعلب) و(أبن آوى) و(عناق الارض) وهو الوشق و(خركوش) وهو الأرنب و(القنفذ) و(ابن عرس) و(ابن مقرض) و(الخز) وهو كلب البحر و(الوبار) وهو شبيه بجرذ الأرض أو خنزير غينيا و(السمندر) او السلمندر أو السمندل وهو من البرمائيات و(الثعبان) . ثم بدأ بتعداد مجموعة من الحيوانات التي لم يفرد لها مبحث كالسمور والفنك (ثعلب الصحراء) والقاقم (ابن عرس) والسنجاب ؛ معلل ذلك (فلم اجد لها ذكر في شيء من الكتب ، والسبب ذلك أم مساكنها ومنشأها بلاد كثيرة التباعد عن خط الاستواء ، ومسامة الكراكب ، حتى ان عروض بلادها قد تبلغ سنين جزوا)[٩٩]. ويعود لمنهجه فيذكر (الكركدن) و(السرو) و(الرخ) وهو غير الطائر الاسطوري و(الزرافة) و(مايطوعودون) و(القوط) و(العول) و(السعكمن) و(السفوروس) و(امطلس) و(افطربس) و(النمس) و(التامور) و(السمحل) و(اندريوس) و(نبير) و(نوش) ومعظم هذه الحيوانات الاخيرة المايطوعودون إلى النوش هي كائنات اسطورية اقتبسها المؤلف عن المصادر اليونانية القديمة باستثناء بعضها .

واما المقالة الثالثة فخصها المروزي لـ (٨٥) طائر من الطيور البرية والبحرية[١٠٠] بتفرعات واصناف تزيد عن هذا العدد فضلا عن الطيور الاسطورية التي تناقلها القدماء . ورتبها حسب حجم الطائر كالباب السابق حيث بدأ بأكبرها حجما وهي (النعامة) معتقدا انها تجمع الصفات ما بين

---

[٩٩] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثانية ورقة (٢٩٦) .

[١٠٠] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثالثة ورقة (٣٠٩) .

المقالة السابقة من الحيوانات ومقالة الطيور ، و(العقاب) و(النسر) و(الحواصل) و(همای) و(البزاة) و(الجرغ) و(الشاهين) و(الطفرى) و(الرمح) و(يؤيؤ) وهو نوع من الصقور و(الباشق) و(الصرد) و(الحداة) و(البوم) و(الرخم) و(الحباري) و(الكركي) و(الطاووس) و(اللقلق) و(البط والاوز وطيور الماء) بأنواعها المختلفة و(الغراب) و(العقعق) و(الببغاء) و(القطا) و(الديك والدجاج) و(القبج) و(الحجل) و(التدرج) ويقال له ايضا التذرج وهو من الدواجن و(الدراج) البحري و(الحمام) وهو اطول مبحث في هذه المقالة و(البرصل) و(كبوك) و(سار) ويقال له التاج و(السماني) وهو السلوى و(العصافير) بأنواعها و(البلبل) و(العندليب) و[عصفور الزرع][١٠١] و[نوع من العصافير] و[نوع من العصافير] و[نوع من العصافير] و[نوع من العصافير اكبر حجماً من العصفور العادي] و[نوع من العصافير يسمى بالفارسية سكيجه] و[طائر مثل البيوض] و(الخفاش) . ثم يذكر المروزي (وبقي منها اصناف لم يقف على حقيقة طباعها واوصافها الا ان الاوايل ذكروها ببعض صفاتها ودونوا ذكرها في الكتب فأحببنا ان لا يخلو هذا الكتاب من ذكرها ، وان كنا فيه مقلدين)[١٠٢]. ومعظم ما ينقله فهي من اساطير الطير كطائر (اذا نشر جناحيه ستر الشمس عن الارض ، وهو يغتذي بالفيلة..)[١٠٣] !! و(فوالحسنا) من طيور مصر الاسطورية ،

---

[١٠١] ترك الناسخ بعض أسماء الحيوانات والطيور فارغه ، وما وضع بين الاقواس المعقوفه هو من سياق شرح المؤلف .

[١٠٢] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثالثة ورقة (٣٩٦) .

[١٠٣] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثالثة ورقة (٣٩٧) .

و[طيطحوس] و[مرقدس] و[سقطورى] وهو من الزرازير و[قومس] وطائر يسمى بالفارسية [كوردسب] و(السلوى) وهو من طيور الماء و[فلوس] من طيور مصر ، وطائر من طيور الشام على خلقة البط ، وطائر غواص يأكل السمك ، و[المرسوم] من الطيور البحرية ، وطائر يصطاد الطيور ، و[الردبار] و[الدلم] ويسمى الحمام الجبلي ، وطائر مغرد ، و[ديلوس] و[تذرو مرغ] وهو طائر يشبه الدجاج هجين ، [المراكوس] من طيور الماء ، وطائر من طيور الماء المصرية و(الفرفور) من طيور الماء ، وطائر من طيور الماء ، وطائر يسمى (انيس) و(الاعلامي) و[نقار الخشب] و(قامو) و(قوسدس) و(قصا) و(ماروس) و(جلودس) و(اعسوليس) و(الفوارحة) ، وطائر يأكل عيون الطيور الاخرى ، و(انفسان) من طيور مصر ، و[ابولا نس] و(كحلى) و(طاطرمس) و(اعوسلاس) وتعني الذي يرضع المعزى ، و(كولس) و(اطوس) ، وطائر شبيه برأس العنزه ، و(محاون) و(البيصاى) ويقال له بالسريانية (قاقا) ، وطائر يقال له باليونانية (انعيقوس) ، وطائر يسكن الشجر ، وطائر التمساح وهو على انواع عديدة .

وأما المقالة الرابعة فخصصها للحشرات[١٠٤] ، وهي في مفهوم القدماء تضم الهوام من النمل والبعوض والجراد والنحل والذباب والزواحف والبرمائيات والقوارض والافاعي والقنفذ وتتعدى الى اكثر من ذلك كبعض السنوريات والثديات. ويذكر المروزي منها (٣٨) نوع بصنوفها واولها واكثرها اثارة عند الناس (الافعى) حيث شغل اطول مبحث في هذه المقالة فذكر

---

[١٠٤] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الرابعة ورقة (٤٠٦) .

مجموعة من اصناف الافاعي والحيات مما لا يخلو بعضها من المبالغة ، و(الضب) و(السلحفاة) و(العقرب) و(الحرباء) و(الحرذون) سحلية و(العظاية) و(شحمة الارض) و(الحلكا) ، ونوع من العظاءات، و(الفأر) و(اليربوع) ويسمى احيانا بالجربوع وهو من القوارض ، و(السنجاب) و(النحل) و(الزنابير) و(الذباب) بأصنافها المتعددة و(البعوض) و(الجراد) و(الظبوث) و(العنكبوت) بأصنافها و(الصورة) و(الخنفساء) و(الطرش) و(ابن وردان) ، ونوع من الحشرات يشبه الجراد له صرير ، و(الذراريح) و(النمل) بأصنافه العديدة و(الفراش) و(القراد) و(القمل) و(الحلم) وهو قمل الكلب و(الفساس) ويشبه القراد و(البراغيث) و(العدر) و(ابن طامر) و(الحمك) و(بقرة بني اسرائيل) و(الديدان) بأصنافها ومن ضمنها دود الامعاء التي تصيب الانسان ودود القز والدود الابيض الارضة ، و(الاربعة والاربعين) .

والمقالة الخامسة والأخيرة للحيوانات البحرية[١٠٥]. مبتدأ بمقارنة بين الحيوانات البرية والبحرية ، ولم يذكر فيه انواع الحيوانات البحرية وانما شرح طرق تزاوجها وبياضها وتوالدها والاصداف والقواقع منها واطعمتها واعمارها والبعض من طرق صيدها ولا سيما عجائبها واساطيرها كـ (التنين البحري) و(الحيتان) ، ومفصل لبعضها كـ (السرطان) و(السلحفاة) البحرية و(التمساح) و(فرس الماء) و(الضفادع) وعموم الاسماك واصداف اللؤلؤ والحلزون والقنفذ البحري .

---

[١٠٥] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الرابعة ورقة (٤٨٤) .

منهج المؤلف في الكتاب :

قسم المروزي كتابه إلى أقسام تضمنت مقالاتٍ ، ثم أبوابا .

تقدم المؤلف في افتتاحية مقدمته بالحمد والصلاة ، ثم أستعرض مجموعة من المصطلحات التي تتعلق بالتركيب البشري كالمكونات والعناصر ، ثم انتقل إلى أجناس الكائنات ، ومختتما مقدمته بفهرسة لموجوداته من مقالة وأبواب في الكتاب .

وأمتد التعريف بالمصطلح إلى أبواب لاحقة من المقالة الأولى ، وهي تعاريف كانت في زمن المؤلف تعبر عن إشكالية الدلالة في الفكر ، فناقش المؤلف تلك الإشكالية مناقشة موضوعية مسقطا الأمثلة على تركيبة الفرد ، إي ما يفهم أن المروزي أراد أن يسير بخطين النظري والعملي في دلالة المصطلح ، فمثلا يقول : (فالجنسيَ : مثل اختلاف الترك والزنج والروم والهند والصقالبة . والنوع : مثل الخراساني والعراقي والشامي . والشخص : مثل السهلي والجبلي والبوادي والبلدي ...)[١٠٦].

أما معظم الأبواب الأولى فإن المؤلف قد قسم جميع الأجناس على قسمين سماها بـ (المراتب) فذكر الحد الأعلى والحد الأدنى للمخلوقات كافة .

ولم تستمر هذه التقسيمات إلى بقية الأبواب ، وإنما شملت الباب السادس ولم تتعدَ إلى ما بعده ، ثم يبدأ من الباب السابع بمنهجية جديدة في التعامل مع البحث ، إذ يبدأ المروزي بالبحث التاريخي والجغرافي ، فنراه ينتقل من منظرّ إلى مستعرض ومحلل للمادة التاريخية والجغرافية ، فمثلا في

---

[١٠٦] المروزي : طبائع الحيوان : المقدمة ورقة (٣) .

الباب السابع يقول عن أهل فارس : (... ثم الأمم الساكنة في هذه المواضع المسكونة سبع وهي : الصينّ ، والترك ، والروم ، والفرس ، والعرب ، والهند ، والحبشة . فهذه الأمم المشهورة ، والممالك الفسيحة ، وإن كان يدخل في غمارهم جبال كثيرة ، ويضاف إليها ممالك كثيرة ، إلا أنها دونها في الشهرة . وهذه الممالك يفضل بعضها على بعض ، والأفضل من هذه المساكن ما لا يبعد موضعه عن وسط العالم الذّي هو خط الاعتدال في الشمال والجنوب بعدا مفرطا ، إذ كان من المعلوم أن المساكن التي تبعد عنه بُعدا كثيرا في الجهتين يؤدي بإفراط كيفيتي الحر والبرد فيه إلى الخراب وانقطاع الحرث والنسل ، وخروج أمزجة أهلها عن الاعتدال خروجا مفرطا ، كما يشاهد من ذلك فيمن أوغل في الجنوب من السودان الذّي هم كالشيء المنبسط المتحير لفرط الحرارة ، ومن أوغل في الشمال من البيضان مثل الصقالبة كالشيء الفج الذّي عُدم النضج لفرط البرودة...)[١٠٧].

ثم ينتقل المروزي إلى منهجية جديدة في التعامل على إكمال السوابق من المقالة ، فنراه يتجه في مادته إلى الواقع السردي من تجاربه الطبية والعملية والمشاهدات .

ولكن إذ نظرنا إلى عموم مباحث الكتاب (الأبواب) نجده جملة واحدة ، فمؤلِّفهُ يدخل إلى الموضوع بتعريف له ، معتمدا أحيانا على الآيات القرآنية أو الحديث النبوي ، ثم يتجه إلى طرح مادته باسطا مجموعة من آراء العلماء اليونان والعرب وأحاديث التراث العالمي والعربي ، ثم يبدأ بالخروج من

---

[١٠٧] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الاولى ورقة (٣٧-٣٨) .

الموضوع بتعليق أو رأي لما بدأ به ، ممهدا لما سيرد من مبحث جديد ، فمثلا في الباب الرابع (في ذكر العلماء) نراه يختم مبحث العلماء بتمهيد لمبحث الصوفية والزهاد فيقول : (وقال طائفة من المتصّوفة: معنى قوله ﷺ ((طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ)) ، هو علم الحَالُ . وقالوا : الحال هو الوقت الذي أنت فيه فتعلم فيما ذا أنت فيما يرضي الله تعالى أو فيما لا يرضي . ولهم في صفة الحال كلام يطول الكلام بذكره)[١٠٨] ، ثم يبتدئ بذكر الصوفية والزهاد . وأحيانا ينتهي من موضوع ، ويبدأ بموضوع جديد ولكن في نطاق واحد .

كان المروزي في لغته رفيع المعاني ، يتجه أحيانا للعلميات وهذا أمر طبيعي ، فنحن نتعامل مع رجل طبيب علمي مقتدر . كما أنه متمكن من اللغات الحية لعصره ، فهو يعطينا المصطلحات الفارسية واليونانية والتركية ، وبالتأكيد أنه قادر على ذلك، فحينما يترجم رسالة حاكم الصين والترك ، والشهور الصينية ، وأسماء الحيوانات في أواسط آسيا ، وأسماء العقاقير اليونانية . وأكثر ما نلاحظ مقدرته على الترجمة في مقالاته الأربع الأخيرة ، ففيها يتجه للبحث العلمي أكثر من مقالته الأولى التي يتجه فيها للنزعة الإنسانية .

كما أن أسلوبه لا يخلو من الطرافة ، والوقار ، وبساطة المعنى ، والقدرة على التعبير ، والانتقاد ، فيشبه أسلوبه برجل تمر الأحداث من أمامه وهو يصفها ويعلق عليها .

---

[١٠٨] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الاولى ورقة (٢٧) .

ونرى أن هذا الأسلوب قد هُذب باطلاع المروزي على التراث العربي ، فكمية الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والمأثورات العربية والعالمية ، ومجموعة الأشعار السلسة والخالية من التعقيدات اللغوية والجميلة في الكتاب كان لها الأثر والدلالة في صقل لغة المروزي ولاسيما هو قارئ متعمق لكتب الجاحظ .

في بعض الأحيان أثرت السردية في صعوبة معرفة بداية النص من الذي قبله ، فهو يتحدث ثم يدخل بآية قرآنية أو حديث أو قول مأثور ، ولا يدرك منه أنه من كلامه التعبيري أو من نقل نص ما ، ولاسيما وهو يستدل على المعنى أكثر من اهتمامه بالنص .

ومعظم الأحاديث النبوية التي أستند اليها هي أحاديث ضعيفة في نظر علماء الحديث ، وهذا أمر غير مستغرب على الجغرافيين والمؤرخين ، فما أقتبسه المروزي أراده شاهدا وليس حكما شرعيا ، ثم أن معظم ما أخذه من أحاديث نبوية كانت مبثوثة في كتب الأدب ولم ترقَ إلى كتب الصحاح والحديث إلا ما ندر ، ومع ذلك فهي سمة عامة في مثل هذه الكتب .

قسم المروزي مادته الجغرافية على أساس التقسيم العربي (الشرقي) في الأقاليم[١٠٩] ، ولم يتبع التقسيم اليوناني الذي يبتدئ بالأقاليم من الغرب

[١٠٩] الإقاليم : REGION : كلمة يونانية الأصل تعني : الميل ، وتفيد أيضا معنى : البلد أو القطر أو المنطقة (دائرة المعارف الإسلامية ، مادة (إقليم) ٤٨٢/٢ بقلم (فير)) ، وأول من قال بها الفلاسفة اليونانيون القدماء في القرن السادس قبل الميلاد ، وفسره بعض اللغويين العرب بأنه : كل إقليم معلوم المساحة وهو مقلوم عن الإقليم الذي يتاخمة أي : مقطوع (أبن منظور : لسان العرب ، ←

(جزر الكناري) ، فهو يذكر بلاد فارس (قلب الأقاليم) ، ثم الصين والتبت التي تشغل ثلاثة أقاليم ، وبلاد الترك التي تغطي أجناسها معظم

مادة (قلم) ١٢/٤٩٠) . وأعطى ياقوت الحموي : معجم البلدان ٣١/١ دلالات عدة عن مفهوم كلمة إقليم واصطلاحه الذي تعارف عليه . وفي الاصطلاح : منطقة من سطح الأرض تتميز عما يجاورها من مناطق بظاهرة أو ظاهرات أو خصائص معينة تبرز وحدتها أو شخصيتها، (توني : معجم المصطلحات الجغرافية، مادة (إقليم) ص٣٨) ، والإقليم : خطوط ليست طبيعية ولكنها خطوط وهمية ممدودة موجودة بعلم النجوم- والأبراج الفلكية- (الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ٩/١) ، ولا يخفى أن تقسيم كرة الأرض على هذا النحو لم يقم على أساس علمي ، ولكنه أتخذ الشكل العلمي بمرور الزمن ، وأوجه الخلاف في قسمة أقاليم الأرض كانت على نحويين أحداهما : في التقسيم والآخر: في المساحة ، وكان ذلك أمرا طبيعيا لان كل إمبراطورية كانت بابلية أو صينية أو هندية أو فارسية أو إغريقية تعتبر أن إقليمها هو قلب العالم المسكون (كونتينو: الحياة اليومية في بلاد بابل وأشور ص٣٧٥) ، فرسمت الهند الأقاليم السبعة فجعلتها كأنها حلقة مستديرة تحيطها ست دوائر، واعتقدت الحضارة الفارسية أن إقليمها هو متوسط الأقاليم ، ويرد تقسيم آخر للأقاليم على شكل أحزمة عريضة مرتبة من الجنوب إلى الشمال في موازاة خط الاستواء ، وهذا التقسيم وضعه اليونانيون وهو مختلف الطول والعرض (كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ٢٣/١) وتصوروا إن كل إقليم مستقل بحاله ووديانه وعيونه وأنهاره ومعادنه ونباته وحيواناته مما لا يشبه بعضها البعض ، وأول من أخذ بهذا التقسيم من الجغرافيين العرب البتاني (محمد بن جابر بن سنان الحراني الصابئ، المتوفى : ٣١٧هـ /٩٢٩م) ، وانتقد بعض الجغرافيين العرب هذه النظرية الوهمية (احمد سوسة : الشريف الإدريسي في الجغرافيا العربية ٢٢٩/١-٢٣٠) .

أواسط آسيا من الإقليم الرابع والسادس والسابع ، والروم في الإقليم الخامس ، وبلاد العرب في الإقليم الثاني والرابع ، والهند في الإقليم الأول ، والحبشة في الإقليم الأول والثالث ، والجزر في الإقليم الأول .

ثم أستعرض أهم المدن والأديان والمعتقدات وعادات تلك الشعوب والقبائل ، بسرد واقعي بعيد عن المبالغة والأساطير التي خاض فيها البلدانيين .

لقد كان المروزي مناقشا جيدا في طروحاته ، فهو يدافع بالوثائق الملموسة للموضوع ، فمثلا في الباب الحادي عشر ، يذكر أن من الناس من أنكر على العرب أن يكونوا في الأمم الكبار ، ولكن المروزي يعطي الواقع الجغرافي والعلمي للعرب بما يجعلها في مضمار الأمم الكبار ، ويقول : (فإذا كانت جزيرة العرب التي هي خطة بلادهم هذا القدر في الطول والعرض ذاهبا شرقا وغربا ؛ فلا يخفى كثرة عددهم ، على أن من تفرق منهم عن جزيرتهم وفارقوا أوطانهم وانتشروا في ممالك الإسلام وكورها أضعاف من لزموا جزيرتهم ، فإن كورة من كور الإسلام لا تخلُ عن بشر كثير من العرب الذين صاروا من ثناياها ، وشاركوا أهلها في العقد ، وأنواع المكاسب والمعايش ، فإذا اعتبر هذا وجب إلحاقهم بالأمم الكبار ، على أنهم وإن قصّروا عنهم في الكمية ؛ فقد فضلوهم في الكيفية ...)[١١٠] .

وكذلك انتقاده للروايات الخرافية كانتقاده قصة الزاغ التي قال عنها : (وإن صدق هذا فهوا عجب من كل عجب ، غير أن العقل يأبى

---

[١١٠] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الاولى ورقة (٧٣) .

قبولـه)[111]. ولهذه التعليقات الانتقاديـة أمثـال كثيرة كـان معظمهـا فـي بقيـة المقالات .

أعتقد المروزي بنظرية النشوء والارتقاء ، وهو مذهب قديم يرجع تاريخه إلى ألاف السنين ، وإذا رجعنا إلى العرب وجدنا أن أخوان الصفاء (القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) أول من تكلموا فيه بأسلوب علمي في عصور المدنية العربية[112] ، وللباحث في مذهب النشوء والارتقاء فإنه من الهين عليه أن يستخلص من أقوال المروزي كثيرا من المبادئ التي تعُد الآن من الدعامات الأولية في مذهب النشوء عامة ، فحينما يذكر المروزي (... ثم إن الإنسان له مراتب ومنازل كأنها لا تحصى كثرة ؛ ولها طرفان : الطرف الأعلى والطرف الأدنى . فأما الطرف الأعلى : فينتهي إلى الملائكة . والطرف الأدنى : ينتهي إلى النبات)[113]. وذلك شأن كثير من مباحث حكماء العرب وعلمائهم[114] ، وفي ما استعرضناه من هذه النبذة فهو

---

(111) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الاولى ورقة (٩٤) .

(112) أخوان الصفاء : الرسائل (العلوم الناموسية) ٤/٢٢٤-٢٣٢ الرسالة العاشرة : في كيفية نضد العالم بأسره .

(113) المروزي : طبائع الحيوان : المقدمة ورقة (٤) .

(114) في تصور بعض علماء المسلمين لتطور الكائنات من الأجسام غير العضوية إلى النبات إلى الحيوان إلى الإنسان ينظر : الفارابي : كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة ص٦٢-٦٤، إخوان الصفاء : الرسائل(العلوم الناموسية) ٤/٢٢٤-٢٣٢الرسالة العاشرة ، في كيفية نضد العالم بأسره ، القزويني : عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات ؛ ص٢٥٠ وما بعدها ، ابن الكتبي : ما لا يسع الطبيب جهله ، فيقول عن طبائع القرد إن القرد عند ←

تلميح إلى أن الحد بين عالمي النبات والحيوان قد بلغ دور الانقلاب الذي يظهر أثره في الحيوانات الدنيا . فهو يقارن بين القرد والإنسان فيقول : (فأما القرود المعروفة فهي مشترك الطبيعة فيما بين طبيعة الإنسان وذوات الأربعة الأرجل ؛ وفي وجوهها مشابه كثيرة من وجه الإنسان من الأنف والأذان والأسنان ...)[115] ويكمل المروزي مقارنة القرد بالإنسان ، ثم يقول : (... فأما المحاكات التي في طبيعة القرد فهو شيء يختص به القرد ولا يشاركه فيه شيء من الحيوانات بل يقصر عنه الإنسان أيضا...)[116].

وهذا المبحث يعيدنا إلى مذهب المروزي الذي تحدثنا عنه في حياته من أنه كان (برغماتيا) ، فما يهمه هو المعلومة أينما كانت ، وكيفما كانت على أن لا تخرج عن نطاق العقل ، ومع أنه أستند إلى العديد من الآيات القرآنية والحديث ، الا أن ضالته كانت في منهج البحث العملي ، فلو تتبعنا معطيات ألفاظ المروزي ندرك ذلك ، فنراه يركن عملية الجوهر الروحي إلى الطبيعة فيقول : (... وتكون الروح أسهل من تكون العضو والحاجة إلى نمو الروح لانبعاث القوة واستعدادها أمس من الحاجة إلى تكوّن الأعضاء التامة ، ولأن أصل الروح هو ما أنفدت من المني إلى الرحم مخالطا له وذلك لا يخفى ، أما أن يكون المني كله كالمكان الأول أو يكون هناك مجمع

المتكلمين في الطبائع مركب من إنسان وبهيمة وهو من تدريج الطبيعة من البهيمة إلي الإنسان . وغيرها من المصادر القديمة ، أما أهم مرجع حديث لداروين: أصل الأنواع ص٣-٣٢ مقدمة المترجم .

[115] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثانية ورقة (٢٤٥) .

[116] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثانية ورقة (٢٤٦) .

خاص ، عنه يتفرق ، ويستحيل أن تكون الطبيعة تهمل أمر هذه الروح حتى تجعله ينمو حيث أتفق ، ويتحرك من حيث أتفق بل يجب أول شيء أن يتميز الجوهر الروحي وينفرد...)[١١٧].

وكذلك يشير إلى تأثير الطبيعة في دخول الروح للجنين فيقول : (... ثم ذلك الريح يطلب المخلص فيثقب في الجهات ، وليس الأمر كذلك وليس ذلك المتولد ريحا فضليا بل هو شيء مقصود من الطبيعة ومطلوب ، ويتحرك على الجهة المطلوبة للنفس لا على الجهة التي توجبه الطبيعة الريحية ولولا أن موضع اتصال السرة بالرحم من فوق أوفق لكان حركته تكون إلى جهة أخرى حيث تحركه النفس لا حيث يقتضيه حركته التي له بالطبع ...)[١١٨].

وعن تأثير الطبيعة في ولادة الجنين يقول : (... وأيضا قالوا من جهة الطبيعة : أن الولد في هذا الشهر يكون ضعيفا لأنه لما تحرك في الشهر السابع وعجز عن الخروج ناله تعب وضعف وكلال ، فإن مكث إلى الشهر التاسع ثابت أليه قوته ، وأن خرج في الثامن كان مريضا فلا يعيش إلا نادرا ، ثم في الشهر التاسع يصير التدبير إلى المشتري فيقوى الجنين ويتكامل فيخرج صحيحا ؛ وهذا الزمن هو الغالب في الناس للولادة ...)[١١٩].
وعلى هذه أمثلة كثيرة ذكرت في الكتاب .

---

[١١٧] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الاولى ورقة (١١٠) .
[١١٨] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الاولى ورقة (١١١) .
[١١٩] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الاولى ورقة (١١٤) .

وتشير عادة كلمة (طبيعة) إلى العالم المادي في حالته الطبيعية . فيكون الشيء (طبيعيا) إذا لم يتم تعديله بواسطة أعمال بشرية . ولكن بإضافة كلمة (المذهب) ، نحصل على معنى ذات صلة ، وإنما مختلف ، فيكمن (المذهب الطبيعي) في المفهوم أن الطبيعة في التحليل النهائي : هي كل ما هو موجود ، وأنها بشكل أساسي ، لا تُعدّل بأي عامل خارج عنها . وبمعنى آخر ، تُعد الطبيعة الحقيقة القصوى ، والطبيعة ديناميكية ونشيطة ، ولكن وفقا للنظرية العالمية المعروفة بـ (المذهب الطبيعي) ، فما من أمرٍ خارج عن الطبيعة له تأثير سببي عليها . فأما أنه لا إله موجود ، وأما أن الله لا يتمتع بأي تأثير أو نفوذ على الطبيعة . وقد يقترح بعضهم أنه يمكن اعتبار الطبيعة كائنا مبدعا . ويؤكد المذهب الطبيعي أن الحياة على الأرض نشأت عن مواد جوهرية طبيعية ، من خلال اختيار طبيعي للنهايات الطبيعية . وما من حقيقة يمكن إطلاق عليها صفة (خارقة للطبيعة) . وعلى أساس للمذهب الطبيعي ، فإن الحقائق الروحية إما تكون أوهاما ، وإما تكون فقط حقائق طبيعية معقدة أو غير عادية . فمصطلح الطبيعة نفسه يُعد من الألفاظ المشتركة المعاني الغامضة جدا ، مما دعا بعض علماء الطبيعة إلى تجنب استعماله ، وإن أستعمله علماء الطبيعة فبمعنى (كل ما هو مشاهد)[١٢٠].

فالمروزي في اصطلاحه للطبيعة يعني أنه ليس الطبيعة خالقه ، ولكن هي كل ما هو مشاهد ، وإن تجنب حكماء الإسلام الدخول في ذلك المصطلح واستعماله في مؤلفاتهم .

---

[١٢٠] بدوي : موسوعة الفلسفة ٥٧/٢ مادة (الطبيعة) .

إذَنْ نحن أمام كاتب ، كان همه المعلومة ، ولم تؤثر فيه الحياة الدينية ، مع العلم أنه ليس بملحد ، فهو يكتب على وفق سياق (الطبيعة) ، وأختم هذه النقطة بمثل مما ساقه المروزي وللقارئ حق التقدير فيه : (وذكروا أن البزاة في قديم الدهر كانت تفرخ بناحية قزوين قبل الإسلام ، وأنها تنحت عنها عند فتحها إلى أرض الجبل والديلم ، فلما فتحت تلك الأراضي تحولت البزاة منها إلى أرض الترك، وإن كان ذلك حقا فالسبب فيه أصوات الاذان من المنارات والمواضع المشرفة ، لأنها رأت شيئا وسمعت شيئا لم تعهده ولا ألفته فنفرت)[١٢١].

أما وصفه للبلاد ، فأبدع المروزي في وصف آسيا ، فنراه أخترق الحواجز بالوصول إلى معلومات في غاية الأهمية ، فُعدت رواياته الأكثر قيمة هي تلك التي يرد فيها الحديث عن الشرق الأقصى – الهند والتبت والصين وحركة القبائل التركية – ولكن لم ترتقِ إلى مستوى معلوماته في الجنوب والغرب مثل ما أرتقت في المشرق ، فالمؤلف هو جغرافي آسيوي بامتياز .

ولم يخلُ الكتاب من متعة القراءة الجميلة ، وسمة التشويق ، فكنت حينما اقرأ في الكتاب تتملكني سعادة الرحلة ، فأغوص في وصف المروزي للبلاد والمعرفة ، وكأنه ينقل لنا واقعا مصورا بأوثق المعاني ، ويبدو لي بأنه جدير بأن يكون ممتعا في ظل واقع بحثي نفتقده ، وكأنه يقول لنا بأن : (للحياة خيال أوسع مما تحمله أحلامنا) .

---

[١٢١] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثالثة ورقة (٣٢٦) .

مصادره :

نتيجة عمق ثقافة المروزي واطلاعه على تراث الحضارات السالفة ، فقد تنوعت مصادره في شتى المواضيع والفنون ، وقد قسَّم مصادره إلى ثلاثة أقسام: المشاهدات الحية ، والروايات ، والكتب .

فأما مشاهداته فمعظمها استعرضناها في مبحث حياته ، وكان أكثرها في وصف الحيوانات ، والأمور الطبية ، والحالات الشاذة للمخلوقات ، وحركة الأقوام التركية ، كما أن المؤلف يحدد المشاهدة بذكرها صريحة من غير لبس .

وأما رواياته فكانت دقيقة غاية الدقة في نقل الخبر ، فقد أطلع على أخبار البلاد وسئل عن أحوالها ، فيقول : (وقد رأيت رجلا ذا حُبكة قد دخل الصين ، وعامل أهله في المتاجر ، فُحكي : أن بلدهم الذي هو دار الملك ...)[١٢٢].

ويذكر ان بعض التجار من مصر قد حمل اليه تمساحا يزيد عن العشرين رطل[١٢٣] .

ويحدث عن بعض من دخل بلاد الهند فيقول : (وحدّث بعض من دخل بلاد الهند قال ...)[١٢٤].

---

[١٢٢] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الاولى ورقة (٤٤) .

[١٢٣] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الخامسة ورقة (٥١٦) .

[١٢٤] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الاولى ورقة (٧٨) .

كما ينقل عن طبائع البلدان من الروايات الشفوية فيذكر أنه : (حكي بعض القافلين من الحجاز ...)[١٢٥].

ومن طبيعة اللفظ عند المروزي أنه عندما يقول (ويُحكى) أو (وحُكي) فإنه يستند إلى رواية حية

كما أنه حدث عن شخصيات كانت معاصرة له كـ (علاء الدين أبو الفتح محمد بن محمد الخشاب) والذي سماه بـ (الآجل) في مصر[١٢٦].

وأما مصادره المدونة ، فأن المروزي لم يراعِ نقل النص حرفيا ، وإنما نقل معظم نصوصه بالمعنى ، مما صعب نسبة النص لمؤلفه ، وقسمة مصادره المدونة على ثلاثة أقسام :

- **المصادر الأجنبية والمترجمة :**

كتاب (الأهوية والمياه والبلدان) الذي سماه المروزي بكتاب (الأهوية والبلدان)[١٢٧]، ونسبه لجالينوس (١٣١-٢٠١م) ، ويعود هذا الكتاب في الأصل إلى الطبيب اليوناني أبقراط (نحو:٤٦٠-٣٧٧ق . م) ، وهو كتاب في الطب وأُدخل عليه علم النجوم الذي أمتاز به المصنف ، ودار المصنف بنفسه جميع مدن اليونان حتى وضع هذا الكتاب ، فوصف البلدان ومياهها وخواصها ، قسمه إلى أقول في المدن وهي أربعة مدائن ، الأولى : على سمت الاستواء ، والثانية : على سمت الفرقدين، والثالثة : بإزاء المشرق ،

---

(١٢٥) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الاولى ورقة (٨٥) .

(١٢٦) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثالثة ورقة (٣٦٨) .

(١٢٧) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الاولى ورقة (٤٠) .

والرابعة : بإزاء المغرب ، وأشتهر الكتاب على يد شارحه جالينوس ، الذي قال فيه أبن أبي أصيبعة بأنه لم يتمه[١٢٨]. وأعتمد المروزي اعتمادا كبيرا عليه في تحديد الطبائع والمقارنات بين الشعوب ، حتى أنه أنتهج في كتابه وفقا لنهج كتاب (الاهوية والمياه والبلدان) ، ومن المهم أن المروزي كان يقتبس من هذا الكتاب أهم النصوص التي لم تصل إلينا كاملة ، وما وصل فقد بعضّ منه[١٢٩]، إلا أن المروزي نقل لنا نصوص كاملة ، وبعضا وأختزل بعضها.

وأقتبس من كتب جالينوس ايضا كتاب (الترياق)[١٣٠] وهو جوهر الصيدلة في نتاج السموم ومضادات السموم ، حيث اخذ مادة الخفاش والفأر وغيرها في مضادات السموم . وكتاب (الاغذية)[١٣١] اخذ منه العلاج بسرطان البحر .

كتاب (الحيوان) لارسطوطاليس (٣٨٤ـ٣٢٢ ق. م) ، إذ أستعرض المروزي آراءه في معظم صفحات الكتاب .

كتاب (زين الأخبار) للكرديزي (المتوفى في أواسط القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي) ، وهو كتاب فارسي نقل عنه المروزي أهم مادته عن الرسالة بين الحاكمين (الصيني والتركي) وبين محمود

---

(١٢٨) ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء ٤٦/١ ، ١٦٣/٢ .

(١٢٩) ابقراط : الأهوية والمياه والبلدان ، معظم صفحات الكتاب .

(١٣٠) المروزي : المقالة الثالثة ورقة (٣٩٥) ، المقالة الرابعة ورقة (٤٤٠) (٤٦٨) .

(١٣١) المروزي : طبائع الحيوان المقالة الخامسة ورقة (٥١١) و(٥٢٠) .

الغزنوي (المتوفى : ٤٢١هـ /١٠٣٠م) ، والمؤرخة في عام (٤١٨هـ / ١٠٢٧م) ، والتي ترجمها المروزي للغة العربية[١٣٢].

كتاب (استنباط المياه) لأقليمون الحكيم صاحب الفراسة[١٣٣].

• **المصادر العربية :**

كتاب (الحر والبرد والشمس والقمر والليل والنهار) لأبي حاتم السجستاني (المتوفى: ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)[١٣٤]، وهو كتاب لم يصل إلينا ، نقل منه المروزي رواية عن جزيرة الواق واق[١٣٥].

كتاب (الحيوان) للجاحظ (المتوفى:٢٥٥هـ/٨٦٩م) ، وهو أهم كتاب أعتمد عليه المؤلف في كثير من مواده العلمية والأدبية ، ورد عليه المروزي في كثير من المواضع ، ومعظمها في المقالات الأربع الأخيرة من الكتاب .

وكتاب (البخلاء) أيضا للجاحظ ، الذي أقتبس منه المؤلف في أطعمة العرب[١٣٦].

كما أطلع المروزي على وصف كنيسة آيا صوفيا عن طريق هارون بن يحيى الذي وقع أسيرا لقراصنة إيطاليين في آسيا الصغرى ، فساقوه بحرا وبرا إلى القسطنطينية نحو عام (٢٨٨هـ/ ٩٠٠م) على تقدير الوصف ، وكتب

---

(١٣٢) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الاولى ورقة (٤٨-٤٩) ٠

(١٣٣) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الخامسة ورقة (٥٠٦) .

(١٣٤) أبن النديم : الفهرست ص٨٧ ، البغدادي : أيضاح المكنون ٢٨٩/٤.

(١٣٥) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الاولى ورقة (٩٢) .

(١٣٦) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الاولى ورقة (٦٠) .

وصفه في رسالة لم تصل إلينا منها سوى قطعة كبيرة نقلها ابن رستة في كتابه (الأعلاق النفيسة) ، وأبن القاص في (دلائل القبلة)[١٣٧]، ولا نعلم من أي مصدر أخذ المروزي مادته[١٣٨] .

كتاب (ترويح الأرواح ومفتاح السرور والأفراح) لجراب الدولة (القرن الثالث الهجري) ، وهو كتاب في النوادر والضحك ، تصدى لتحقيقه المرحوم بهجة الأثري ولم ينجزه ، أخذ منه المروزي قصة الزاغ وأنتقدها[١٣٩].

وأقتبس المروزي من كتاب (المسالك والممالك) لأبن خرداذبه (المتوفى حوالي :٣٠٠هـ /٩١٣م)، الذي سماه بـ (صاحب كتاب المسالك)[١٤٠] في معظم صفحات الكتاب ، فذكره صراحة وأحيانا لم يذكره ، والذي توصلنا الى معرفة نصوصه من خلال مقابلتنا للكتابين . وما يلاحظ له أن النسخة التي كان يقرأ بها المروزي أكمل من النسخة التي اعتمدنا عليها . والتي كان يُعتقد أن النسخة التي تحت يدنا والتي نشرها المستشرق الهولندي الكبير دي غويه (المتوفى : ١٩٠٩م) ، ضمن مجموعته في (مكتبة الجغرافيين العرب) ما بين الأعوام (١٨٧٠-١٨٩٤م) أن هذه النسخة هي المسودة الأخيرة لكتاب المسالك ، ولكن يبدو أن المروزي كان يقرأ من مسوده متأخرة عن التي بيدنا .

---

[١٣٧] الاعلاق النفيسة ص١١٩، دلائل القبلة ص٢٨٢.

[١٣٨] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الاولى ورقة (٦٩) .

[١٣٩] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الاولى ورقة (٩٣) .

[١٤٠] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الاولى ورقة (٥٥) .

كما أخذ المروزي من سنان بن ثابت بن قرة الحراني الطبيب (المتوفى : ٣٣١هـ/٩٤٣م) ، معلومات طبية من أحدى كتبه ، ولم يذكر المصدر ، وكان معظم اقتباساته في مبحث الطبيعة[١٤١].

كتاب (الشباب والشيب) للمرزباني (المتوفى : ٣٨٤هـ /٩٩٤م) ، أخذ منه المروزي روايات المعمرين ، ولم نقف على هذا الكتاب ، بل رجعنا في المقابلة إلى كتاب المعمرين من العرب لأبي حاتم السجستاني (المتوفى: ٢٥٥هـ / ٨٦٨م) ، فوجدنا النصوص متطابقة كليا[١٤٢]. وهنا اشارة الى انه من المحتمل ان يكون كتاب (المعمرين) نسب لابي حاتم السجستاني كما ذهب الى هذا الرأي استاذنا الفاضل الدكتور داود الزبيدي[١٤٣].

كتاب (القانون في الطب) للشيخ الرئيس ابن سينا (المتوفى : ٤٢٨هـ/ ١٠٣٧م) ، سماه المروزي بـ (الفيلسوف)[١٤٤]، وأكثر ما أخذ عنه المروزي في الباب الثامن عشر ، وبقية المعلومات الطبية المتناثرة في الكتاب ، ويبدو أنه كان معجبا أشد الإعجاب بابن سينا لكثرة ما ذكره وما بجله به .

---

[١٤١] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الاولى ورقة (٩٤) .

[١٤٢] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الاولى ورقة (١٢٤) .

[١٤٣] الزبيدي : كتاب المعمرين لأبي حاتم السجستاني (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م) (قراءة تاريخية في المؤلف والمؤلَف) .

[١٤٤] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الاولى ورقة (١٠٢) و(١٠٦) و(١١٥) .

كتاب (الترتيب في الكيمياء) لمحمد بن زكريا الرازي (٢٥١هـ/٩٢٥م) ، ألفه للمجربين وسماه ايضاً كتاب (الراحة)[١٤٥]، سماه المروزي بـ (الكيمياء) ، اخذ عنه في مبحث سموم الافاعي[١٤٦].

كتاب (المسالك والممالك) لمحمد بن موسى بن شاكر المنجم (المتوفى : ٢٥٩هـ/ ٨٧٣م) وهو احد الاخوة الثلاثة الذين ينسب إليهم حيل بني موسى ، ذكر العجائب من الحيتان في (البحر الكبير الشرقي الذي علية الزنج والحبشة)[١٤٧].

كتاب (المسالك والممالك) للجيهاني (كان حيا :٣٦٧هـ/٩٧٨م) ، وزير الدولة السامانية ، أفاد المروزي من هذا الكتاب بشكل جيد في معظم صفحاته[١٤٨]، وذلك بسبب وجود الجيهاني في بُخارى إذ توفرت له الفرصة للفحص والتأليف عن آسيا الوسطى والشرق الأقصى ، مما لم يكن متاحا للجغرافيين العرب المعاصرين له . ومن المعروف أن ابن فضلان قابل الجيهاني عام (٣٠٩هـ/٩٢١م) وكان حينذاك ما يزال كاتب أمير خرسان وله مكانة كبيرة ، وكان يدعى في خراسان الشيخ العميد[١٤٩]. ابن فضلان حافظ على صلته بالجيهاني ، فهو راعيه ، وكان ابن فضلان يطلعه على تجربته في رحلته إلى بلاد البلغار ، وربما أطلعه على ذلك بالمكاتبة الشخصية

---

(١٤٥) ابن النديم : الفهرست ص ٥٠٤ ، حاجي خليفة : كشف الظنون ١٤٠٣/٢ .

(١٤٦) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الرابعة ورقة (٤٠٦) .

(١٤٧) المروزي : طبائع الحيوان المقالة الخامسة ورقة (٥٠٥)

(١٤٨) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثانية ورقة (١٥٠) .

(١٤٩) ابن فضلان : الرسالة ص٧٦ .

أو المشافهة ، وقد وجدت تلك المعلومات التي أطلعه عليها طريقها إلى كتاب الجيهاني ، ومنه انتقلت إلى كتاب المروزي[١٥٠] .

كتاب (الآثار الباقية عن القرون الخالية) للبيروني (المتوفى : ٤٤٠هـ / ١٠٤٧م) ، أخذ منه المروزي أخبار المتنبئين ، وقصص الاسكندر الأكبر . ولم يذكره صريحا[١٥١].

وكتاب (تحقيق ما للهند من مقالة مقبولة في العقل أو مرذولة) للبيروني أيضا، أخذ منه المروزي في مبحث الهند[١٥٢].

المروزي اتخذ مصادر أبي الريحان البيروني مراجع له ، والتي استقاها البيروني عن بعض السياح من دون تحديد المصدر[١٥٣].

كتاب (طبائع الحيوان وخواصها ومنافع أعضائها) لأبن بختيشوع (المتوفى نحو٤٥٣هـ/١٠٦١م)، أخذ منه المروزي قصة الرجل المعوق[١٥٤].

- **المصادر المجهولة :**

كتاب (أخبار الاسكندر) أخذ منه رواية دخول الظلمات[١٥٥] .

---

[١٥٠] كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي ١/١٨٧.

[١٥١] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الاولى ورقة (٦) .

[١٥٢] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الاولى ورقة (٦٦) .

[١٥٣] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثالثة ورقة (٣٩٦) .

[١٥٤] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثالثة ورقة (٩٦) .

[١٥٥] المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الاولى ورقة (٩٢) .

كتاب (أخبار الصين) أخذ منه مجموعة من الروايات عن الصين ، وذكره في المقالة الثانية للكتاب[١٥٦].

كتاب (البزاة) في انواع الصقور[١٥٧].

كتاب (تاريخ ملوك الترك) ، أخذ المروزي منه رواية (قراخاقان)[١٥٨].

كما أعتمد المروزي على كتب غير محدده كما يقول : (وقد حُكي في التواريخ...)[١٥٩].

وصف النسخة :

أول من أشار إلىٰ كتاب (طبائع الحيوان) للمروزي في العصر الحديث (١٢٩٦هـ/١٨٧٩م) ؛ هو الطبيب الفرنسي لوسيان لوكليرك Leclerc Lucien [١٦٠] في كتابه الموسوعي (تاريخ الطب العربي)

---

(١٥٦) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثانية ورقة (١٧٢) .

(١٥٧) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الثالثة ورقة (٣٣٠) .

(١٥٨) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الاولى ورقة (٨٣) .

(١٥٩) المروزي : طبائع الحيوان : المقالة الاولى ورقة (٨٣) .

(١٦٠) لوسيان لوكليرك: Lucien Leclerc طبيب ومستشرق فرنسي ، ترجم أمهات كتب الطب العربية إلى الفرنسية ، وأهمها كتاب (الجامع لمفردات الأدوية) لأبن البيطار ، ألف لوسيان كتابه الموسوعي (تاريخ الطب العربي) (Histore Pe La Medecine Arabe) ، عام (١٢٩٦هـ/١٨٧٩م) باللغة الفرنسية ، والكتاب غير مترجم إلى العربية ، وهو موسوعة في التعريف بعلماء الطب العربي عامة ، ودورهم التاريخي في التقدم العلمي المعاصر، أعادت وزارت الأوقاف والشؤون ⟵

.[١٦١](Medecine Arabe Histore Pe La)

فإلى أوائل القرن العشرين يُعد كتاب (طبائع الحيوان) من الكتب المفقودة ، فيذكر المستشرق الروسي و . بارتولد (١٢٨٥-١٣٤٨هـ/١٨٦٩-١٩٣٠م)[١٦٢] ، في محاضراته التي ألقاها باللغة التركية في جامعة إسطنبول عام (١٣٤٤-١٣٤٥هـ/١٩٢٦-١٩٢٧م)[١٦٣] : (... ويذكر أبن المهنا أثناء حديثه عن تقويم (الاثني عشر حيوانا) نقلا عن (طبائع الحيوان) لشرف الزمان المروزي – وهو كتاب لم يصلنا – ...)[١٦٤].

الإسلامية في المغرب بطبع الكتاب في بداية عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) بأمر الملك الحسن الثاني ملك المغرب .

(١٦١) LUIEN LECLERC: HISTOIRE PE LA MEDCINE ARABE .2\709

(١٦٢) فاسيلي فلاديميروفتش بارتولد : Vasili Vaslievitch Barthold : مستشرق روسي بارز ، ولد عام (١٢٨٥هـ /١٨٦٩م) أشتهر في مجالات تاريخ الحضارة الإسلامية ، كان أستاذا في جامعة بطرسبرغ ، وقف حياته على التدريس والبحث المقرونين بالدراسات الميدانية والرحلات الطويلة إلى المواقع ، وتتناول أبحاثه الدراسات الشاملة للتاريخ الثقافي والاجتماعي والدراسات المتخصصة في التاريخ ، وتستند أبحاثه إلى إحاطة واسعة بلغات كثيرة مثل اللغتين اللاتينية واليونانية ولغات أوربا الغربية الرئيسة ، ومعرفة جيدة باللغات العربية والفارسية والتركية والتترية ، توفي عام (١٣٤٨هـ/١٩٣٠م) . و. باتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى (مقدمة المحقق).

(١٦٣) و . بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ص١٣ (مقدمة المحقق) .

(١٦٤) و . بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ص١٠٦ .

وبينما كان المستشرق الانكليزي آربري Arberry (١٣٢٢-١٣٨٨هـ/١٩٠٥-١٩٦٩)[١٦٥] ، يعد كتاب (فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الديوان الهندي) عام (١٣٥٤هـ/١٩٣٦م) ، والذي شغل منصب مساعد محافظ مكتبة في مكتبة (الديوان الهندي) في لندن Office India – وهي مؤسسة إدارية تمثل إدارة مستعمرة الهند آنذاك –[١٦٦] أعلن عن اكتشافه نسخة غير مكتملة النهاية من كتاب (طبائع الحيوان) لشرف الزمان طاهر المروزي .

---

[١٦٥] آرثر جون آربري : ARTHUR JOHN ARBERRY : مستشرق إنجليزي ، ولد عام (١٣٢٢هـ/١٩٠٥م) في فراتون (جنوب إنجلترة) ، حصل على منحة دراسية لدراسة الكلاسيكيات (اليونانية واللاتينية) في جامعة كمبردج ، أمضى سنته الأولى من الزمالة في القاهرة ، ثم عين رئيسا لقسم الدراسات القديمة (اليوناني واللاتيني) في كلية الآداب بالجامعة المصرية ، زار فلسطين ولبنان وسوريا ليجمع مواد لأبحاثه ، وعين أمينا لمكتبة ديوان الهند (١٣٥٢-١٣٥٧هـ/١٩٣٤-١٩٣٩م) واختير وزيرا للأنباء في الهند (١٣٥٨-١٣٦٣هـ/١٩٤٠- ١٩٤٤م) ثم كان أستاذا للعربية في جامعة لندن . ونشر كتبا عربية ووضع (فهارس) لمكتبة شستربتي العربية في دوبلن (بايرلندة) ، و(فهرس المخطوطات الإسلامية في مكتبة ديوان الهند) ، و(ملحق ثان للمخطوطات الإسلامية في جامعة كمبردج) ، وكتب أبحاثا ودراسات عن بعض أعلام العرب ومصنفاتهم في دائرة المعارف والمجلات العلمية بالإنكليزية ، توفي عام (١٣٨٨هـ/١٩٦٩م) . بدوي : موسوعة المستشرقين ص ٥-٨ .

[١٦٦] بدوي : موسوعة المستشرقين ص ٥-٨ .

وبعدها عثر آربري على النسخة الثانية من الكتاب في المتحف البريطاني ، ولكن كانت متضررة تضرّرا كبيرا يصعب الاطلاع عليها ، وقد أكلت الديدان شيئا منها ، وتعرضت للرطوبة ، وافتقدت التنقيط .

عند إعلان آربري عن كتاب (طبائع الحيوان) ، شُكك فيه أول الأمر ، معتقدين أنه ليس كتاب (طبائع الحيوان) للمروزي ، بل هو كتاب (الحيوان) لشرف الزمان محمد الايلاقي[١٦٧]، أحد طلاب أبن سينا .

نشر آربري ملاحظاته عن الكتاب ، ولخص محتوياته العامة مع وجهة نظره ، ووصف للكتابات الموجودة على المخطوطة في نسبة الكتاب ، وأرسل هذا الملخص عام (١٣٥٥هـ/١٩٣٧م) إلى المستشرق الكبير بروكلمان Brocklmann (١٢٨٤-١٣٧٥هـ/١٨٦٨-١٩٥٦م)[١٦٨]، الذي

---

[١٦٧] هو: محمد بن يوسف الايلاقي ، شريف النسب ، أبو عبد الله ، شرف الزمان (الدين) ، حكيم ، من الأطباء ، من تلاميذ ابن سينا وعمر الخيام ، أصله من (إيلاق) بنواحي نيسابور ، أقام بباخرز ثم ببلخ ، له تصانيف ، منها (اللواحق) و(أعداد الوفق) و(الحيوان) و(الفصول الايلاقية) في الطب ، و(الأسباب والعلامات) ، أختصر كتاب (القانون) لابن سينا ، وقتل بمعركة في بقطوان - من قرى سمرقند - في المعركة التي وقعت بين سنجر وقراخِطى عام (٥٣٦هـ / ١١٤١م) . أبن أبي أصيبعة : عيون الانباء ٢٩/٣، حاجي خليفة: كشف الظنون ٧٧/١، ١٢٦٦/٢، ١٢٦٧، بروكلمان : تاريخ الادب العربي م٤/ج٩/ص٢٤٤، البغدادي : هدية العارفين ٧١/٢ .

[١٦٨] بروكلمان (بروكلمن) : كارل بروكلمن Carl Brocklmann ، مستشرق ألماني ، عالم بتاريخ الأدب ، ولد في روستوك (بألمانيا) عام (١٢٨٥هـ/١٨٦٨م) ، نال شهادة الدكتوراه في الفلسفة واللاهوت ، درس العربية واللغات السامية ، ←

يقول : (تفضل آربري مشكورا في خطاب لي بذكر مخطوطة المتحف البريطاني)[١٦٩].

قام المستشرق الروسي مينورسكي Minorsky (١٢٩٣-١٣٨٥هـ / ١٨٧٧-١٩٦٦م)[١٧٠]، الذي كان من المهتمين بدراسة تاريخ إيران وآسيا الوسطى الإسلامية ، عام (١٣٦٠هـ/١٩٤٢م) بنشر ثلاثة فصول مصورة

درس العربية في معهد اللغات الشرقية ببرلين عام (١٣١٧هـ/١٩٠٠م) وتنقل في التدريس ، تقاعد عام (١٣٥٣هـ/١٩٣٥م) وعمل في الجامعة متعاقدا عام (١٣٥٥هـ/١٩٣٧م) ، ثم كان أمينا لمكتبة الجمعية الألمانية للمستشرقين ، أمضى أعوامه الأخيرة في مدينة هالة Halle، وكان من أعضاء المجمع العلمي العربي وكثير من المجامع والجمعيات العلمية في ألمانيا وغيرها ، صنف (تاريخ الأدب العربي) بالألمانية ، Geschichte) der Arabischen) في مجلدين ، وأتبعهما بملحق Supplementband في ثلاثة مجلدات ، وكلفته جامعة الدول العربية أن يدخل الملحق في الأصل وينقلهما إلى العربية فباشر ذلك وترجم نحو ثلاثين ورقة ، ولم ينجز عمله بسبب المرض ، فوقف عن الإتمام ، توفي عام (١٣٧٥هـ/١٩٥٦م) وله من المؤلفات (تاريخ الشعوب الإسلامية) و(فهرسان لخزانتي برسلاو وهامبورغ) يعرفان بمخطوطاتهما العربية ، وكتاب في (نحو اللغة العربية – بالألمانية) و(معجم للغة السريانية) و(قواعد السريانية) و(ترجمة ديوان لغات الترك – للكاشغري) إلى الألمانية وغيرها من تحقيقات في مصادر التراث العربي . بدوي: موسوعة المستشرقين صص٩٨-١٠٥ .

[١٦٩] بروكلمان : تاريخ الأدب العربي م٤/ج٩/ص٢٩٦.

[١٧٠] مينورسكي : فلاديمير مينورسكي Vladimir Minorsky : مستشرق روسي ، تخصص في تاريخ إيران وآسيا الوسطى الإسلامية ، ولد عام (١٢٩٤هـ/١٨٧٧م) ، قام بتحقيق وترجمة العديد من كتب الجغرافية العربية والفارسية ككتاب (حدود العالم

تصوير شمسي من كتاب (طبائع الحيوان) للمروزي ، تتعلق بالصين والهند والترك ، بعنوان (أبواب في الصين والترك والهند)

Sharaf Al-Zamian Tahir Marvzi: On China The Turks And India) ووضع لها مقدمة باللغة بالانكليزية ، وصدرت عن الجمعية الملكية الآسيوية بلندن. وبين فيها بعض المعلومات عن المخطوطة ومؤلفها ، مع بعض التعليقات والتصحيحات[١٧١].

يقول مينورسكي عن نشره لكتاب (طبائع الحيوان) : (... ولم يتم الوثوق من حقيقة أمر هذه السفارة إلا منذ وقت قريب على أثر اكتشاف كتاب (طبائع الحيوان) في لندن والذي تشتمل مقدمته على عدد من التفاصيل المفيدة عن آسيا الوسطى والهند والصين . وقد قمت بنشر هذا النص العربي خلال الحرب العالمية الثانية ، ويشكل الآن تكملة لا غنى عنها لدراساتي حول كتاب (حدود العالم) الذي كشف لنا ، لأول مرة ، ظروف وصول سفراء أسرة خيطاي إلى غزنة ...)[١٧٢].

- لمؤلف مجهول) ، وكتاب شرف الزمان طاهر المروزي عن الصين والترك والهند ، وكتاب (الرسالة الثانية - لابي دلف) ، وله دراسات نشرت متفرقة في المجلات العلمية ، وكتب عدة مواد في (دائرة المعارف الإسلامية) ، توفي عام (١٣٨٥هـ/١٩٦٦م) . بدوي : موسوعة المستشرقين ص٥٨١ .

(١٧١) SHARAF AL-ZAMAN TAHIR MARVAZI : ON CHINA, THE TURKS AND INDIA p 1-12

(١٧٢) م . ف . مينورسكي : الجغرافيون والرحالة المسلمون ص١٩ .

والنسخة التي تحت أيدينا واعتمدنا في دراستها هي نسخة مكتبة (الديوان الهندي) برقم (A R 54) ، التي آلت ملكيتها إلى المتحف البريطاني ، وقد قام المجمع العلمي العراقي بتصوير هذه المخطوطة وهي برقم (١٣٠٠) و (١٣٠١) .

المخطوطة في (٢٦٤) ورقة أو (٥٢٧) صفحة مع العنوان ، وقياسها (١٨×١٢) سم ، في كل ورقة (٢١) سطر ، طول السطر (٨) سم ، وفي كل سطر ما بين (١١) إلى (١٤) كلمة ، وميز الناسخ العناوين بخط كبير بين الأسطر ، وأحيانا ميزه بفاصل إي خطين من الأعلى والأسفل يقطعان الورقة ، وأطر النص بإطار بسيط من خطين أحداهما سميك والآخر رفيع في جميع أوراق المخطوطة .

النسخة جيدة وجميلة واضحة القراءة كتبت بخط النسخ الدقيق ، وورقها من النوع الأسمر الضارب للصفرة ، تحتوي على التعقيبة ، مع ترقيم اللوحات وضع حديثا باللغة الانكليزية ، والناسخ كان يجعل في بعض الأحيان (الياء) بدل (التاء) وبالعكس مثل (تستأنس) بدل (يستأنس) ، كما أهمل في ما ندر وضع النقاط على الحروف ، وفيها من الأخطاء الإملائية الكثير ، وتخلل بعض الأسطر فراغات من الظاهر أن الناسخ لم يستطع قراءة الكلمة فتركها؛ وأكثر ما كان ذلك في الكلمات اليونانية أو الفارسية التي أستعملها المؤلف.

ثم أن للناسخ كثيرا من السقطات التي أضافها في هامش الورقة مشيرا بعلامات الإضافة (٧) و(٢) و(٦) ، وكثير الشطب والتصحيح والتكرار .

وعلى النسخة بعض التعليقات اللغوية والتفسيرات البسيطة التي كُتبت في هامش الورقة .

ابتدأت المخطوطة من صفحة العنوان التي كتب في أعلاها بخط مغاير عن خط المخطوطة (حيواة الحيوان) ، ثم عليها مجموعة من التملكات والأختام كتب في أحداها : (لا أله ألا الله ، الملك الحق المبين محمد بن جعفر) . والآخر : (الله محمد إلى ...) وثلاثة أختام أخرى لم تتضح معالمها . وكذلك مجموعة أرقام المتحف وكتب عبارة بخط حديث : (دون اسم والده) . وكتب على الكعب الاسفل من المخطوطة عنوان افقي (حيات الحيوان) بالتاء المبسوطة (حياة) .

أما بداية الورقة الاولى وهو النص فبدأت بالبسملة ، وفي آخر ورقة من المخطوطة كُتب نص لغاية الربع الأول من الورقة ثم تُركت الورقة فارغة ، فلا دليل على أن المخطوطة كاملة ، ولا دليل على أنها ناقصة ، فلا حرد ختمة للكتاب ولا حمد ولا تاريخ نسخ ، وُختم في نهاية الصفحة بختم التملك لـ : (محمد بن جعفر) .

أهمية الكتاب :

لمن جنون المغامرة في البحث أن تدرس مخطوطة خطرة على نسخة واحدة ، فأقول غير مبالغ أن الذي دعاني الى دراسة مخطوطة (طبائع الحيوان) للمروزي ؛ هو أن كل فقرة مما كتبها المروزي فيها شيء من التفاصيل أو الدروس الجديدة ، فنحن أمام مخطوطة غير طارئة ، ولكننا أمام مخطوطة أساسية في التراث العربي العريق .

عندما أجمل الكلام في أهمية كتاب (طبائع الحيوان) ، يصبح من العسير علي القول أن في الكتاب حادثة أو حادثتين مهمتين ، ولكن في حقيقة الأمر نحن أمام كتاب كله مهم، إذ تزاحمت الأفكار أمامي ومن الصعب اختيار أهمها .

وأمام هذا الأمر وجدتُ من المناسب أن أذكر حادثه من أشهر الحوادث التي ذكرها المروزي لندرك مدى أهمية الكتاب ، ففي بداية القرن (الرابع الهجري / الحادي عشر الميلادي) ، لمع نجم أبي الريحان البيروني كجغرافي من الطراز الأول ، وفي أيام البيروني كانت اللغة الفارسية لا تزال هي السائدة فيها ، والتي تخلت عن مكانتها إلى اللغات واللهجات التركية المتعددة ، وقد اصطحب الفاتح الكبير محمود الغزنوي البيروني معه إلى عاصمته ، وقام البيروني في العاصمة غزنة ، بكتابة مؤلفاته عن الشرق الأقصى ؛ فقد استغل المعلومات التي استقاها من سفارة خيطاي – أسرة ملوكية تعود إلى منشوريا – التي قامت بزيارة غزنة ، وكذلك الرواية عند المؤرخ الغزنوي كرديزي ولكن بصورة مبهمة ، ولم يتم الوثوق من حقيقة أمر السفارة إلا بعد أن اكتشفت مخطوطة (طبائع الحيوان) . وثمة أهمية خاصة تمثلها قصة السفارة التي بعث بها (حاكم الصين والترك) عام (٤١٨هـ/١٠٢٧م) ، إلى بلاط محمود الغزنوي ، وهي لم تسفر عن أية نتائج سياسية لأن محمود رفض الدخول في علاقات دبلوماسية مع الكفار ، فترجم المروزي لنا هذه الحادثة ونقلها لنا بطبعتها الأخيرة .

أما مكمنُ أهميةِ الكتاب الحقيقية فهو في حديثه عن الشرق الأقصى – الهند والتبت والصين وبلاد الترك – إذ أقتبس الكثير منها الكاتب الفارسي العوفي وأبن المهنا في كتابيهما .

كذلك من أهمية الكتاب أنه حفظ لنا عددا كبيرا من روايات الجيهاني ، وكذلك أمكننا التعرف على عدد من الروايات المجهولة الأصل عندنا ، كبداية تفاصيل وضع المسلمين في الصين وبعض الحقائق عن عادات الصين ، والمستعمرات الأجنبية في الموانئ والمدن الصينية والطرق المؤدية إليها ، وأسماء المدن التي افتقرت إليها مصادر الجغرافيين العرب والتي كانت مبهمة في رحلة أبي دلف ، وأسباب رحلة ابن فضلان وهي مادة غير معروفة لنا ، وكذلك إسلام الروس .

والروايات الأكثر أهمية على الإطلاق رواية المروزي عن هجرات شعوب آسيا الوسطى فقد احتوت على حقائق جديدة عن قبائل سيبيرية محددة وسلسلة الهجرات من الشرق الأقصى واستعارها العوفي ، والتي استعصت على الإفهام الى حين التعرف من جديد على هذا المصدر الذي يسر الكثير في فهم هذه المسألة وإرجاع حوادثها إلى منتصف القرن الحادي عشر للميلاد .

لاحظ المؤلف إن أقواما كثيرةً ممن كانت في القرنين السابع والثامن الميلاديين كانت تتكلم اللغة نفسها التي تكلمها الأتراك ، فأطلق عليهم العرب كلمة (ترك) ، وهم ليسوا من الترك .

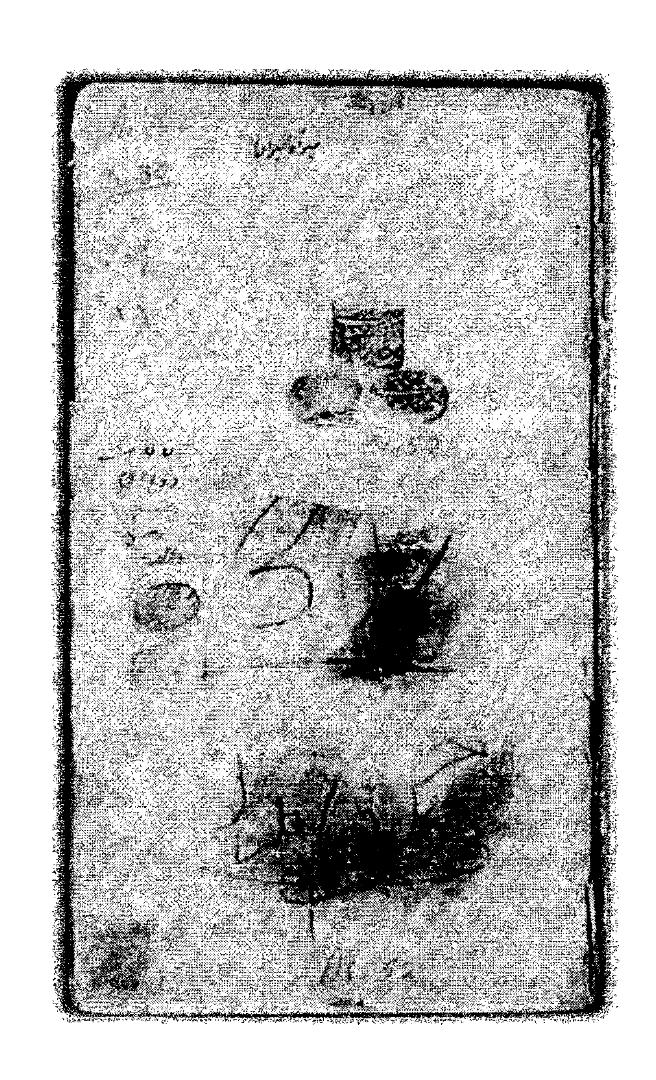
إن الكثير من الحقائق التاريخية والجغرافية يضعها المروزي بين أيدينا وهو مؤلفها وليست منقولة عن غيرهِ .

نماذج من اوراق المخطوطة

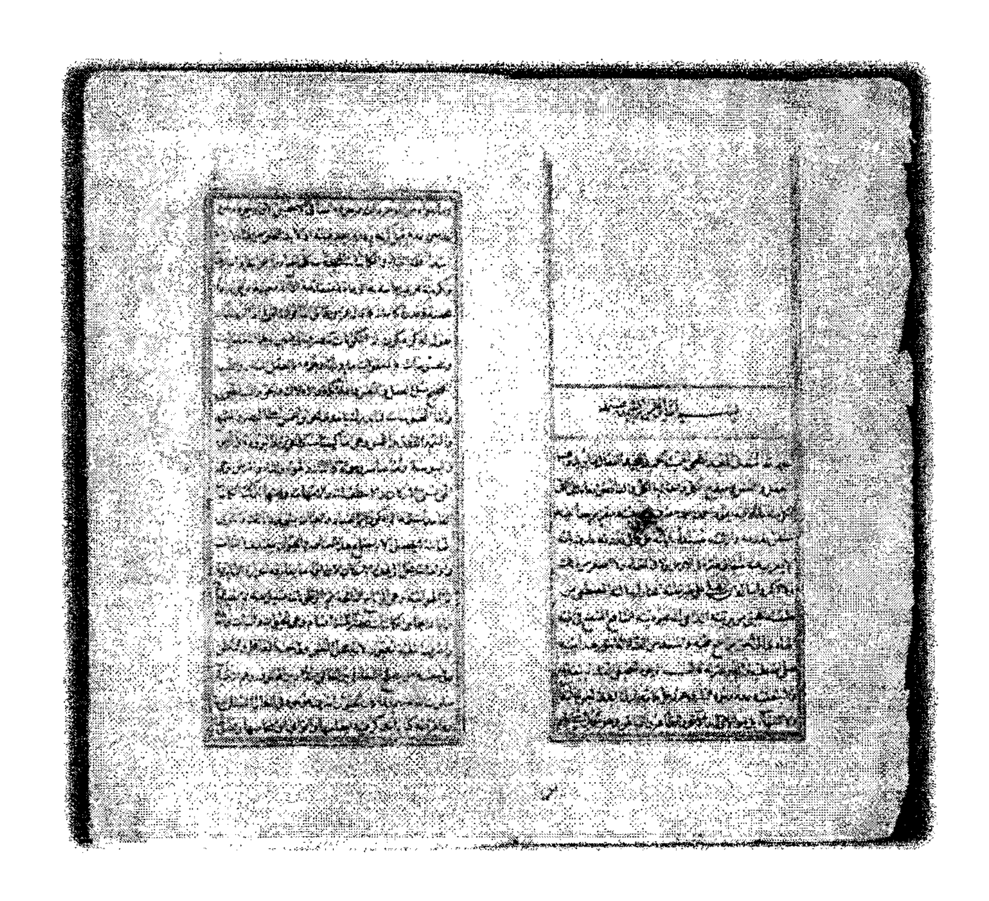


الطرف السفلي لمخطوطة كتاب (طبائع الحيوان) وكتب عليها

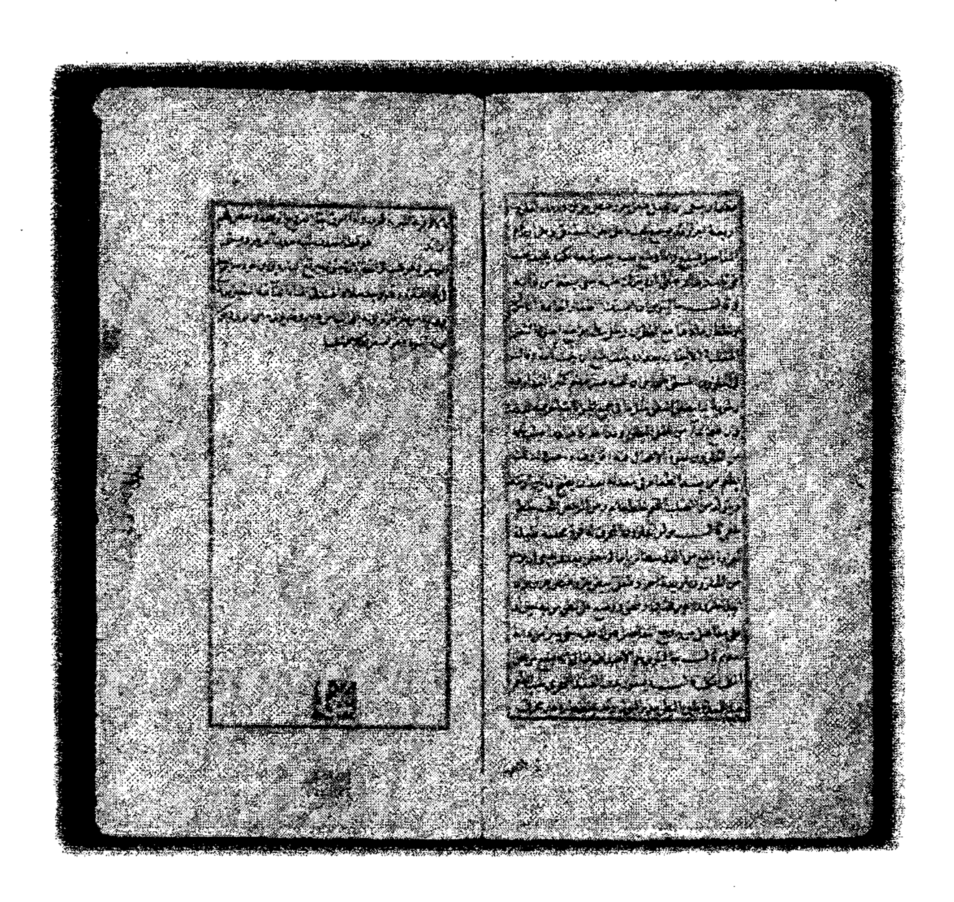
(حيات [حياة] الحيوان)



ورقة العنوان لمخطوطة كتاب (طبائع الحيوان)



الورقة الأولى والثانية من مخطوطة كتاب (طبائع الحيوان)



الورقة الأخيرة وما قبلها من كتاب (طبائع الحيوان)

قائمة المصادر والمراجع

اولا : المخطوطات :

العزاوي : عباس (المتوفى:١٣٩٠هـ/١٩٧١م) :

١- تاريخ الأدب التركي في العراق ، مخطوطة في المجمع العلمي العراقي برقم (م١/٣).

ابن الكتبي : يوسف بن إسماعيل الكبير (المتوفى:٧٥٤هـ/١٣٥٣م) :

٢- ما لا يسع الطبيب جهله ، مخطوطة مصورة في مكتبة المجمع العلمي العراقي برقم (٥٩٦) عن نسخة مكتبة الأوقاف العامة في بغداد .

ثالثا : المصادر الأولية :

أبقراط: طبيب يوناني (المتوفى نحو:٣٧٧ق . م) :

٣- الأهوية والمياه والبلدان ، نقله للعربية : شبلي شميل (القاهرة : المقتطف - ١٨٨٥م) .

أبن الأثير: علي بن محمد الخزاعي الجزري (المتوفى : ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) :

٤- الكامل في التاريخ ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري (١٠ أجزاء ، بيروت : دار الكتاب العربي - ٢٠١٠م).

إخوان الصفاء(القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي) :

٥- رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء (٤ أجزاء ، بيروت : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات-٢٠٠٥م) .

الإدريسي : محمد بن محمد الحسيني (المتوفى:٥٦٠هـ/٧٠٨م) :

٦- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ؛ ط١(٢ جزء ، بيروت : عالم الكتب – ١٩٨٩م)

ابن أبي أصيبعة : أحمد بن القاسم الخزرجي (المتوفى : ٦٦٨هـ/١٢٦٩م):

٧ – عيون الأنباء في طبقات الأطباء (٣ أجزاء في مجلد ، بيروت: دار الفكر – ١٩٥٦م) .

البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر (المتوفى : ٢٧٩هـ /٨٩٢م) :

٨- فتوح البلدان ، تحقيق : عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع (بيروت : دار المعارف –١٩٨٧م) .

البيروني: أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي(المتوفى:٤٤٠هـ/ ١٠٤٧م) :

٩- الآثار الباقية عن القرون الخالية ، وضع حواشيه : خليل عمران منصور؛ ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية –٢٠٠٠م) .

أبن الجوزي : عبد الرحمن بن علي (المتوفى : ٥٩٧هـ /١٢٠٠م):

١٠- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (من الجزء ٥ إلى الجزء ١٠ ، بغداد : الدار الوطنية – ١٩٩٠م).

حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله (المتوفى: ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م) :

١١- كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون ، تقديم : شهاب الدين النجفي المرعشي ؛ ط٣ (٢ جزء ، طهران : المكتبة الإسلامية والمكتبة الجعفري – ١٩٦٧م) .

داروين : تشارلز (المتوفى :١٢٩٩هـ/١٨٨٢م):

١٢- أصـل الأنـواع ، ترجمـة : إسـماعيل مظهـر (بغـداد : مكتبـة النهضة - ١٩٧٣م) .

أبن رسته: أحمد بن عمر (ألف كتابه عام: ٢٩٠هـ /٩٠٣م):

١٣- الأعـلاق النفيسـة (المجلـد السـابع) ، تحقيـق : دي غويـه ، مجموعـة المكتبـة الجغرافيـة العربيـة (ليـدن : مطبعـة بريـل - ١٨٩٣م) أعادة طبعة (بيروت : دار صادر - بلا تاريخ) .

السمعاني: عبد الكريم بـن محمـد التميمـي المـروزي (المتـوفى : ٥٦٢هـ / ١١٦٧م) :

١٤- الأنسـاب ، تقـديم وتعليـق : عبـد الله عمـر البـارودي ؛ ط١ (٥ أجزاء ، بيروت : دار الجنان - ١٩٨٨م) .

الفارابي: محمد بن محمد بن طرخان (المتوفى: ٣٣٩هـ /٩٥٠م):

١٥- كتـاب آراء أهـل المدينـة الفاضـلة (بيـروت : دار القـاموس الحديث- بلا تاريخ) .

أبو الفداء : إسماعيل بن محمد صاحب حماه (المتوفى : ٧٣٢هـ/١٣٣١م):

١٦- تقـويم البلـدان ، اعتنـى بطبعـه : رينـود ومـاك كـوين ديسـلان (بـاريس: دار الطباعـة السـلطانية - ١٨٤٠م) أعـادة طبعـه (بيروت: دار صادر - بلا تاريخ) .

أبـن فضـلان: أحمـد بـن فضـلان بـن العبـاس بـن راشـد (المتـوفى: ٣٠٩هـ/٩٢١م):

١٧- رسالة أبن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة، تحقيق: سامي الدهان؛ ط٣ (بيروت : دار صادر - ١٩٩٣م).

أبن الفوطي : عبد الرزاق الشيباني الحنبلي (المتوفى : ٧٢٣هـ/١٣٢٣م) :

١٨- تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ، تحقيق : مصطفى جواد (القسم الثاني ٤أجزاء ، بغداد: وزارة الثقافة والإرشاد القومي - ١٩٦٢م) .

أبن القاص: أحمد بن أبي أحمد الطبري البغدادي (المتوفى: ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م) :

١٩- دلائل القبلة في معرفة أحوال الأرض، دراسة وتحقيق: أحمد محبس الحصناوي، ط١ (بغداد : المجمع العلمي - ٢٠١١م) .

القزويني: زكريا بن محمد بن محمود (المتوفى: ٦٨٢هـ/١٢٨٣م):

٢٠- عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات ؛ ط١ (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات-٢٠٠٠م) .

الكرديزي : عبد الحي بن الضحاك (القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي) :

٢١- زين الأخبار، عربه عن الإنجليزية : محمد تاويت (فاس : مطبعة محمد الخامس الجامعية والثقافية - ١٩٧٢م) .

أبن منظور: محمد بن مكرم الأنصاري (المتوفى: ٧١١هـ/١٣١١م) :

٢٢- لسان العرب ؛ ط١(١٥ جزء ، بيروت : دار صادر - بلا تاريخ) .

المنيني: أحمد بن علي الحنفي الطرابلسي (المتوفى : ١١٧٢هـ/١٧١٥م) :

٢٣- الفتح الوهبي على تاريخ أبي نصر العتبي شرح التاريخ اليميني، لأبي النصر محمد بن عبد الجبار المشهور بالعتبي (المتوفى: ٤٢٧هـ/١٠٣٥م) ، نشر باعتناء : سبرنغر (٢ جزء ، مصر : المطبعة الوهبية – ١٢٨٦هـ).

أبن النديم: محمد بن إسحاق (المتوفى : ٣٨٥هـ/ ٩٦٨م):

٢٤- الفهرست (بيروت : دار المعرفة – ١٩٧٨م) .

أبن النفيس: علاء بن أبي الحزم القريشي (المتوفى : ٦٨٧هـ/١٢٨٨م) :

٢٥- الشامل في الصناعة الطبية ، الأدوية والأغذية – كتاب الهمزة – ، تحقيق : يوسف زيدان ؛ ط١ (أبو ظبي: المجمع الثقافي – ٢٠٠٠م) .

ياقوت الحموي: ياقوت بن عبد الله البغدادي (المتوفى: ٦٢٦هـ/١٢٢٩م) :

٢٦- معجم البلدان ، تقديم : محمد عبد الرحمن المرعشلي (٨ أجزاء في ٤ مجلدات ، بيروت: دار أحياء التراث العربي – [١٩٩٦م]) .

اليعقوبي: أحمد بن إسحاق بن جعفر (المتوفى : ٢٩٢هـ /٩٠٤م) :

٢٧- كتاب البلدان ، (مطبوع ضمن كتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته) تحقيق : دي غوية ، مجموعة المكتبة الجغرافية العربية ، المجلد السابع (ليدن: مطبعة بريل – ١٨٩٢م) أعادت طبعة بالأوفسيت (بيروت : دار صادر – بلا تاريخ).

رابعا : المراجع الحديثة :

آقا بزرك : الطهراني (المتوفى : ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م) :

٢٨- الذريعة إلى تصانيف الشيعة ؛ ط٣ (٢٦ مجلد ، بيروت : دار الأضواء - ١٩٨٣م) .

بدوي : عبد الرحمن (المتوفى : ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م) :

٢٩- موسوعة المستشرقين؛ ط٤ (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر - ٢٠٠٣م) .

٣٠- موسوعة الفلسفة؛ ط١ (٣ أجزاء ، قم : ذوي القربى - ١٤٢٧هـ) .

بروكلمان: كارل (المتوفى : ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م) :

٣١- تاريخ الأدب العربي، نقله للعربية: محمد عوني عبد الرءوف وآخرون، أشراف : محمد فهمي حجازي؛ ط١(١٥ جزء في ٧مجلدات ، قم : دار الكتاب الإسلامي - ٢٠٠٨م) .

البغدادي : إسماعيل باشا (المتوفى: ١٣٣٩هـ /١٩٢٠م) :

٣٢- هدية العارفين أسماء المؤلفين وأثار المصنفين ؛ ط٣ (٢ جزء ، طهران : مكتبة الإسلامية والجعفري تبريزي - ١٩٦٧م) .

التونجي : محمد :

٣٣- المعجم الذهبي فارسي عربي ؛ ط١ (بيروت: دار العلم للملاين - ١٩٩٦م) .

توني : يوسف :

٣٤- معجم المصطلحات الجغرافية (بيروت : دار الفكر - ١٩٧٧م).
٣٥- دائـرة المعـارف الإسـلامية ، ترجمـة : محمـد ثابـت الفنـدي وآخرون ؛ ط١ (إلى جزء ١٦ ، مصر -١٩٣٣م) .
سوسة : أحمد (المتوفى:١٤٠٢هـ/١٩٨٢م):
٣٦- الشريف الإدريسي في الجغرافيا العربية (٢ جزء ، بغداد: نقابة المهندسين العراقيين - ١٩٧٤م) .
العفيفي: عبد الحكيم :
٣٧- موسوعة ١٠٠٠مدينة إسلامية ؛ ط١(بيروت : أوراق شرقية - ٢٠٠٠م).
كراتشكوفسكي: اغناطيوس يوليا نوفتش (المتوفى : ١٣٧١هـ/١٩٥١م):
٣٨- تـاريخ الأدب الجغرافـي العربـي، نقلـه للعربيـة : صـلاح الـدين عثمـان هاشم ، مراجعة : إفور بليايف (٢ جزء ، القـاهرة : لجنـة التأليف والترجمة والنشر - ١٩٦٣م) .
كونتينو : جورج :
٣٩- الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ترجمة وتعليق: سليم طـه التكريتـي وبرهـان عبـد التكريتـي؛ سلسـلة الكتـب المترجمـة ٧٦ (بغداد: وزارة الثقافة والأعلام - ١٩٧٩م) .
٤٠- المعجم الفلسفي: تصدير: إبراهيم مدكور (القـاهرة: مجمـع اللغـة العربي - ١٩٧٩م) .
م . ف . مينورسكي (المتوفى:١٣٨٥هـ/١٩٦٦م):

٤١- الجغرافيون والرحالة المسلمون، ترجمة : عبد الرحمن حميدة (الكويت: الجمعية الجغرافية الكويتية – ١٩٨٥م) .

و. بارتولد:

٤٢- تاريخ الترك في آسيا الوسطي، ترجمة احمد السعيد سليمان ؛ سلسلة الآلف كتاب الثاني ٢٣٥(القاهرة : الهيئة المصرية العامة – ١٩٩٦م) .

خامسا : الدوريات والمجلات والصحف :

٤٣- مؤيد عبد الستار : من آثار المستشرق الكبير مينورسكي : جريدة الاتحاد : بغداد ، العدد ١٢٦٤السبت ٢٠٠٦/٤/١٥، والعدد١٢٩٩ السبت ٢٠٠٦/٥/٢٧، الجمعة ٢٠٠٦/٧/٢٨.

الزبيدي : داود سلمان خلف :

٤٤- كتاب المعمرين لأبي حاتم السجستاني (ت٢٥٥هـ/ ٨٦٨ م) (قراءة تاريخية في المؤلف والمؤلف) ، مجلة الأستاذ ، العدد ٧٠ (بغداد – ٢٠٠٨م) .

العزي: عزيز العلي:

٤٥- الدميري وكتابه حياة الحيوان ، مجلة المورد ، المجلد الرابع عشر، العدد الرابع (بغداد – ١٩٨٥م) .

سادسا : المراجع الأجنبية :

بزوه : محمد تقى دانش :

٤٦- فهرست نسخة باي خطي (كتابخانه دانسكئده حقوق وعلوم سياســى واقتصــادت دانشــكاه تهـران) (تهـران : انتشــارات وانشكاه تهران – بلا تاريخ) .

LUIEN LECLERC:

47- HISTOIRE PE LA MEDCINE ARABE (PARIS: ERNST LEROUX. EDI TEUR - 1876).

M.ZAKI KIRMANI AND N.K.SINGH:

48- ENCYCLOPAEDIA OF ISLAMIC SCIENCE AND SCIENTISTS (INDIA: GLOBAL VISION PUBLISHING HOUSE - 2005).

SHARAF AL-ZAMAN TAHIR MARVAZI : Arabic text (circa A.D. 1120) :

49- ON CHINA, THE TURKS AND INDIA , with an English translation and commentary BY:V. MINORSKY (LONDON - 1942) .

50- The New ENCYCLOPAEDIA BRITANNICA, ED15, (CHICAGO-1989).

تأهيل المخطوطات العراقية في العصر الرقمي

يسرى صادق جلال

معهد الإدارة / الرصافة

متخصصة في نظم المعلومات الآثارية

الملخص(*) :

تعد المخطوطات فضلا عن قيمتها الآثارية محتوى التالي للمعلومات بعد الميلاد ، بعد الرقم الطينية والاحجار والبردي والجلود وما إليها... تمكن المسلمون من الاستيلاء على سمرقند عام ٧٥١م واكتشفوا الورق وإطلعوا على أسرار صناعته . دخلت صناعة الورق إلى بغداد ومنها الى الامصار الإسلامية ، واستبقوا عددًا ممن أدخل الرسم في المخطوطات ، وأنتجت منه أعمالا متميّزة صنّفت في مدارس فنية ، وأصبحت تمثّل مجالا من مجالات الفنون الإسلامية .

تطورت معها صناعة المخطوط الإسلامي بشكل لم يسبق له مثيل في أي فن من الفنون السابقة على الإسلام في دقّة زخارفه المذهّبة وجاذبية صوره وإبداع ألوانه وجمال خطه ورشاقته ، عمل الورّاقون على نسخ المخطوط وهم أشبه بالمطابع بالوقت الحاضر.

(*) المخطوطات العربية – تاريخ ؛ المخطوطات العربية – وصف ؛ المخطوطات العربية – الفهرس الآلي ؛ مركز المخطوطات العراقية ؛ المخطوطات العربية والعصر الرقمي .

قاومت المخطوطات عوامل الزمن ، أن تراثنا المخطوط أضخم تراث مخطوط عرفته البشرية ، لحقبة من الزمان تربو على أحد عشر قرنا تبدأ منذ عرف العرب الكتب حتى دخول الطباعة إلى عالمنا العربي مع نهاية القرن الثامن عشر للميلاد (أوائل القرن الثالث عشر للهجرة) .

وكان لتضخم المكتبات ونمو احجامها اقتضى وضعها في مخازن خاصة ، تطلب ذلك تنظيمها فنيا في فهارس ، فالفهرس مفتاح وصول الباحث الى المقتنيات المكتبة . ويمتلك مركز المخطوطات العراقية مجموعة من المخطوطات فضلا عن مخطوطات الأفراد والمساجد . .... بيّنت الباحثة اهمية تحديث العمل في ادارة المخطوطات العراقية ، في العصر الرقمي .

المقدمة :

تعد المخطوطات فضلا عن قيمتها الآثارية محتوى التالي للمعلومات بعد الميلاد ، بعد الرقم الطينية والاحجار والبردي والجلود وما إليها... وقد راجت المخطوطات وزاد إنتاجها إثر ازدهار الثقافة العربية والاسلامية ، حيث ازدهرت الحركة العلمية العربية في العصر العباسي ازدهارا كبيرا في شتى العلوم ، وظهر الكثير من الشعراء والعلماء والمفكرين في مختلف العلوم وانتشرت حركة الترجمة واهتم الخلفاء بها ، فضلا عن التوسّع في التعليم العام وبناء المدارس والمؤسسات الثقافية مثل دور العلم والربط والمساجد .

تطورت معها صناعة المخطوط الإسلامي بشكل لم يسبق له مثيل في الفنون السابقة على الإسلام من دقّة زخارفها المذهَّبة وجاذبية صورها وإبداع ألوانها وجمال خطوطها ورشاقته ، وعمل الورّاقون على نسخ المخطوط وهم أشبه بالمطابع بالوقت الحاضر.

والمخطوطات التراث الإنساني الوحيد الذي قاوم عوامل الزمن ، ضمّ تراثنا المخطوط أضخم تراث مخطوط عرفته البشرية ، لأنه إمتد بحقبة طويلة من الزمن تربو على أحد عشر قرنا تبدأ مذْ عرف العرب الكتب ، وتستمر حتى دخول الطباعة إلى عالمنا العربي مع نهاية القرن الثامن عشر للميلاد (أوائل القرن الثالث عشر للهجرة) .

ان فهرسة المخطوطات تتطلب دقة وحرصا لكون المخطوطات مواد أثرية ثمينة وقيّمة ، فلكل مخطوطة قيمتها المادية والعلمية وخصائصها Properties ، وغالبا ما تكون المخطوطات بعيدة عن الباحث وليس سهلا عليه الوصول إليها وفحصها بنفسه ، ويقدم الفهرس للباحث بيانات تفصيلية تساعده في التعرّف على ما يحتاج اليه بدقة .

لقد عنون الإنسان كل عصر بالتقنية السائدة فيه ، ومنذ فجر التاريخ كان كل عصر يأخذنا قدما على نحو اكثر سرعة من العصر الذي سبقه ، فالعصر الحجري ظل قائما لملايين السنين ، الا ان عصور المعادن التي تلته قد دامت مدة لم تتجاوز الخمسة الاف سنة ، وقد قامت الثورة الصناعية بين اوائل القرن الثامن عشر واواخر القرن التاسع عشر ، أي انها استغرقت ٢٠٠ عام على وجه التقريب ، واحتل عصر الكهرباء ٤٠ عاما بداية من اوائل القرن العشرين حتى الحرب العالمية الثانية ، أما العصر الالكتروني

(عصـر الكمبيـوتر) فلـم يـدم سـوى ٢٥ عامـا ، فـي حـين بلـغ عصـر المعلومـات والاتصـال ٢٠ عامـا من عمره ، ومـع نهايـة التسـعينيات يمكن القول ان عالمنا هذا عصر تقنية المعلومات والاتصال دون حدود ومجتمع المعلومات وانفجار المعلومات ، ومن ابرز ملامح هذه مرحلة السيل المتدفق من المعلومات غير المحدودة لسعة حجمها وتنوعها وكثافة بثها ، بما يعرف بتقنيات المعلومات ووسائل الاتصال(ICT).

لقد ادركت المجتمعات اهمية المعلومات في حياة الفرد والدولة والنشاط الانساني ، أوجد حماية حق الإنسان في المعلومات بإسباغ الحماية على تـدفق المعلومـات وانسـيابها والحصـول عليهـا مـن جهـة ، وتـوفير الادوات القانونية لمنع الاعتداءات على هذا الحق ، ان الحق في المعلومات يتخذ موقعه بين طائفة الحقوق المؤسسة على التضامن الاجتماعي بين الافراد (وهو الجيل الثالث لحقوق الإنسان) اكثر مما يعتمد على العلاقة بين الفرد والدولة . "ويعتبر الحق في المعلومات وما يتعلق به من حقوق اخرى كالحق في الحياة الخاصة والحق في الملكية الفكرية للمعلومات " [١] .

- **المبحث الأول الإطار النظري :**

التعاريف الإجرائية :

المخطوطات الإسلامية : هي التراث الإسلامي المكتوب بخط اليد ، وقد عُنِي المسلمون بالمخطوطات عناية كبيرة لكونها أوعية المعلومات الوحيدة

---

[١] حسن ، سعيد عبد اللطيف . اثبات جرائم الكمبيوتر . – القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٩٩ ص٧ .

آنذاك ؛ للحفاظ على ما أنتجه العقل العربي والإسلامي من مصنّفات ورسائل موضوعها كتاب الله الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم أو ما يتعلق بهما وما يخدمهما ، فجعلوا منها تحفًا فنية ثمينة وتركوا فيها تراثًا فنيًا عظيمًا . ويكفي أن نشير إلى حجم هذا التراث الإسلامي من خلال ما تحتفظ به متاحف العالم ومكتباته ، إذْ يوجد بمدينة إسطنبول وحدها ما يربو على مائة وأربعة وعشرين ألفًا من المخطوطات النادرة ، معظمها لم يدْرَس من قبل ، فضلا عما يوجد في مصر والمغرب وتونس وموريتانيا والهند وإيران وسائر المتاحف والمكتبات الغربية العالمية [٢]

نظام المعلومات : هو " النظام الذي يجمع المعلومات ذات العلاقة ويخزنها ويُحوّلها ويُوصلها الى المنظومة ، بطريقة يمكن للمعلومات أن تكون سهلة الوصول Accessible ، ونافعة للمستفيدين في استعمالها كالمديرين والعاملين والعملاء فضلا عن الباحثين والمواطنين ، فنظام المعلومات نشاط انساني اجتماعي ، يمكن أن يحتاج أو لا يحتاج إستخدام النظام المُحْوسب "[٣].

---

[٢] شبكة أنصار الاسلام – معا ليكون الاسلام للجميع.

http://form.4islam.cc/index Date of Access: 10/1/2016

(3) Avison, D.E. and G. Fitzgerald. Information Systems Development; Methodologies Techniques and Tools ,2nd ed.– N.Y.;McGraw–Hill,1995. P. 13.

مشكلة البحث : ، ويمتلك دار المخطوطات العراقية مجموعة قيّمة من المخطوطات ، الا ان العمل فيه ما زال يدويًا ، ولم يستعمل من تقنية المعلومات و ان كنا في العصر الرقمي .

أقسام البحث : قسّمت البحث الى :

المبحث الأول ، الإطار النظري .

المبحث الثاني : تأريخ صناعة المخطوطات العربية وخصائص المخطوط .

المبحث الثالث : دار المخطوطات العراقية.

المبحث الرابع : الإستنتاجات والتوصيات .

مبررات وحدود البحث والجهة المستفيدة :

وانطلاقا من المفاهيم السابقة ستناقش الباحثة تحديث العمل في دار المخطوطات العراقية باستعمال نظم المعلومات و تقنياتها ، وسيكون المركز الجهة المستفيدة من البحث .

فرضية البحث :

- **ان** استعمال تقنية المعلومات وشبكة المعلومات ، ومنها الفهرس الآلي والموقع الإلكتروني تسهم بشكل إيجابي في تنشيط الادارة وخدمات المعلومات للباحثين في دار المخطوطات العراقية ، من خلال :

١- تنشيط ادارة العمل في المخطوطات وتحسينها.

٢- تحسين خدمات المعلومات للباحثين ، بتقديم معلومات دقيقة عن المخطوطات في دار المخطوطات العراقية .

٣- المحافظة على المجموعة من الفقدان والتلف .

٤- فضلا عن دخول العمل في دار المخطوطات العراقية ضمن منظومة الحكومة الالكترونية العراقية و مقرّة حديثا.

اهداف البحث :

*١ عرض تأريخ المخطوطات وأهميتها المادية والثقافية في الثقافة العربية .

*٢ عرض خصائص المخطوط (وصف المخطوط) التي يعتمدها الفهرس الآلي.

*٣ عرض لنشاط دار المخطوطات العراقية.

*٤ استعمال نظم المعلومات وتقنيتها في العصر الرقمي ، لادارة المخطوطات ومنها الفهرس الآلي .

منهج البحث وأدوات جمع البيانات :

استُعمل المنهج الوصفي من خلال دراسة المخطوطات وأهميتها المادية (باعتبارها آثارا عراقية) والثقافية في التراث والثقافة العراقية كونها مصادر أولية ، ولإمكانية تحديث العمل في العصر الرقمي .

أدوات البحث :

تم الاعتماد على الأدوات الآتية لانجاز البحث :

@ أدبيات المخطوطات العربية .

- مواقع المخطوطات العربية والعالمية على شبكة المعلومات .
- دراسة واقع المخطوطات العراقية ، من خلال :

*١ المقابلة Interview مدير دار المخطوطات العراقية .

*٢ معاينة بعض المخطوطات المعروضة في الدار .

*٣ استطلاع رأي المستفيدين من خلال مقابلة بعض من مراجعي الدار ، من العاملين في تحقيق النصوص والبحث العلمي .

الدراسات السابقة وميزات الدراسة :

تمت الاستفادة من مؤلفات الباحثين الآتية :

- الصولي ، ابوبكر محمد بن يحيى. أدب الكتاب ، تحقيق محمد بهجة الأثري . – بغداد : المكتبة العربية ،١٣٤١هـ . والكتاب غاية في الروعة لما حوى من أخبار وأشعار نادرة عن صنعة الكتاب (المخطوط) وأدواته ...
- المنجِّد ، صلاح الدين . قواعد فهرسة المخطوطات العربية . – بيروت : دار الكتاب الجديد ، ١٩٧٦.
- عبّودي ، ميري فتوحي. فهرسة المخطوط العربي . – بغداد : وزارة الثقافة والإعلام ، ١٩٨٠. والباحثة المذكورة فصّلت في كتابها البيانات التي يحتاجها محقق ومفهرس المخطوط العربي ، وفي كتابها بطاقة نموذجية للبيانات المهمة للمخطوط .
- عبد الهادي ، محمد فتحي . الدليل الإرشادي لفهرسة المخطوطات العربية . – القاهرة : معهد المخطوطات العربية ، ٢٠١١ .

فضلا عن الأدبيات المخطوطات العربية المطبوعة والمنشورة على شبكة المعلومات ، والتي ذكرتها الباحثة في البحث .

امتازت هذه الدراسة بانها اول دراسة تعالج تحديث العمل في دار المخطوطات العراقية .

المبحث الثاني : صناعة المخطوط : تطورت صناعة المخطوط الإسلامي بشكل لم يسبق له مثيل في أي فن من الفنون السابقة على الإسلام في دقّة زخارفها المذهّبة وجاذبية صورها وإبداع ألوانها وجمال خطها ورشاقته ، إذ تشهد على ما وصل إليه فن صناعة المخطوط في العصر الإسلامي.

والعناية بجودة الخط أمر طبيعي في العالم الإسلامي ، فقد كان الخطاطون يتمتّعون بمكانة مرموقة فيه ، ولاسيما في العراق وإيران ومصر وتركيا ، لاشتغالهم بكتابة مخطوطات المصاحف إلى جانب نسخ مخطوطات الأدب والشعر ، ولذا تقدّم فن تحسين الخط تقدمًا كبيرًا ولاسيما بعد اهتمامَ الأمراء والسلاطين بهذا الفن ، فأقبلوا على شراء المخطوطات الكاملة أو النماذج من كتابة الخطاطين المشهورين ، وكانت أكثر هذه النماذج من الآيات القرآنية أو الأدعية أو أبيات الشعر ، وجمع منها الهواة المرقّعات (الألبومات) الفاخرة . وكان الخطّاط يذيّل مخطوطه بتوقيعه فخرًا بخطّه ، ولذا حفظت لنا المخطوطات الإسلامية بأسماء لكثير من الخطاطين في العصر الإسلامي . كما اهتمت كتب التراجم بشخصيات الخطاطين كأحمد بن ابي خالد الذي عاصر المأمون كانت رسائله الخطية الى ملك الروم

معلقة على جدران قاعة بيعة للروم في القسطنطينية ، وقد أحبوا خطه لاتقانه على الرغم من انهم لم يفهموا معناه [٤] .

وابن مقْلة محمد بن علي بن الحسين بن مقلة الشيرازي المتوفى سنة ٣٢٨هـ الذي تقلّد الوزارة ثلاث مرات ، لثلاثة خلفاء عباسيين هم المقتدر بالله والقاهر بالله والراضي بالله ، وانتهت حياته بمأساة ،إذْ وُشي به فأمر الراضي بالله فقطعت يده اليمنى[٥].

---

[٤] الصولي ، ابوبكر محمد بن يحيى . أدب الكتاب ، تحقيق محمد بهجة الأثري . – بغداد : المكتبة العربية ، ١٣٤١هـ . ص٤٥ .

- الخبر كما أورده الصولي " حدثني يحيى البحتري عن ابن ترجمان – وكان الواثق أنفذه الى ملك الروم بهدايا– قال : وافقت لهم عيدا فرأيتهم علقوا على باب بيعتهم كتبا بالعربية منشورة فسألت عنها فقيل هذه كتب المأمون بخط احمد بن ابي خالد الأحول استحسنوا صوره وتقديره فجعلوه هكذا . فحدثت انا بهذا الحديث ابا عبيدالله محمد بن داود بن الجراح ، فقال لي هذا حق قد كتب سليمان بن وهب كتابا الى ملك الروم في أيام المعتمد ، فقال ما رأيت للعرب أحسن من هذا الشكل ، وما أحسدهم على شيء حسدي إياهم عليه ، والطاغية لا يقرأ الخط العربي ، وانما راقه بإعتداله وهندسته وحسن موقعه ومراتبه " .

[٥] ابن خلكان ، شمس الدين أحمد بن محمد . وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . – القاهرة : مطبعة النهضة المصرية ، ١٩٤٩ . ج ٤/ ص ١٩٨ .

- راجع أيضا : الأعظمي ، وليد . جمهرة الخطاطين الغداديين ؛ منذ تأسيس بغداد حتى نهاية الرابع عشر الهجري . – بغداد : دار الشؤون الثقافية ، ١٩٨٨ . ج١ / ص ٤٩–٥١ .
- ابن مقلة . في موسوعة الويكابيديا .

http://ar.wikipedia.org/wiki Date of Access: 10/1/2016

والخطاط المشهور الآخر هو ابن البَوّاب علي بن هلال بن عبد العزيز المتوفى سنة ٤٢٣ هـ[٦] ، وقد دفع الإقبال الكبير على اقتناء المخطوطات الإسلامية الخطاطين إلى تطوير ما تنتجه أيديهم من مخطوطات وتحسينها ، فحرصوا على استخدام الورق في التدوين ، واختيار نوع المداد ، وأشركوا معهم فنانين آخرين من مُذَهِّبين ورسّامين ومصوِّرين ومجلّدين . لتتمّ بهم عناصر صناعة المخطوط الإسلامي [٢].

وكان لازدهار الثقافة العربية والاسلامية أثره في رواج المخطوطات وزيادة انتاجها ، فازدهرت الحركة العلمية في العصر العباسي ازدهارا كبيرا في شتى العلوم ، لظهور الكثير من العلماء والمفكرين في مختلف العلوم وانتشار حركة الترجمة واهتمام الخلفاء بها ، فضلا عن التوسّع في التعليم العام وبناء المدارس والمؤسسات الثقافية مثل دور العلم والربط والمساجد .

وظهر العلماء البارزون في اللغة والأدب والشعر مثل الخليل بن أحمد الفراهيدي في علم النحو والعروض والجاحظ في الأدب والبلاغة والأصمعي في الأدب واللغة ، والقاضي أبو يوسف في علم الفقه .

[٦] ابن خلكان . المصدر نفسه . ج٣/ ص ٢٨.
• راجع أيضا : الأعظمي . المصدر نفسه . ج١/ ص ١١٣-١١٧.
• ابن البواب . في موسوعة الويكابيديا .
http://ar.wikipedia.org/wiki Date of Access: 10/1/2016

كما ظهر عمالقة الشعراء في هذا العصر ومن أبرزهم أبو العتاهية وعباس بن الأحنف وأبو تمام الطائي والبحتري والمتنبي والشريف الرضي وأبو العلاء المعري وأبو نواس .

وظهر المؤرخون الأعلام أمثال محمد بن جرير الطبري واليعقوبي والجغرافيون مثل المسعودي ، وفي الرياضيات والفيزياء فقد برز أبو الحسن بن الهيثم وفي الجبر محمد بن موسى الخوارزمي وفي الكيمياء جابر بن حيان .

وقد اهتم الخلفاء بالعلم والعلماء فقربوهم وشجعوهم فكان لذلك أثره الكبير في الرقي الفكري في هذا العصر.

انتشرت الكتابة والتدوين وتعرّف العرب على الورق وعرفوا رخصه ، ومع تطوّر العلوم وتطوّر الكتب والمصنّفات والترجمة.... إن لرخص أجور نسخها وتجليدها الأثر في ظهور المكتبات الشخصية للخلفاء والأمراء والسلاطين والأثرياء والعلماء ، وكانوا يشترون الكتب التي ينسخها لهم الورّاقون [الورّاقون منتجو الكتب أنذاك كانوا كالمطابع في الوقت الحاضر] ، ويقتنيها الموسرون بمجاميع ضخمة من الكتب يحفظونها في مكتباتهم الخاصة ويجعلونها أحيانا للاستعمال العام ، ولا يمنعونها عن الباحثين في هذه المكتبات[٧] ، أن تراثنا المخطوط أضخم تراث مخطوط عرفته البشرية ، لأنه يمتد بطول حقبة من الزمان تربو على أحد عشر قرنا تبدأ منذ عرف

---

[٧] سلمان ، عيسى . الحركة العلمية في العصر العباسي . في موسوعة الويكابيديا .
http://ar.wikipedia.org/wiki Date Access: 10/1/2016

العرب الكتب وتستمر حتى دخول الطباعة إلى عالمنا العربي مع نهاية القرن الثامن عشر للميلاد (أوائل القرن الثالث عشر للهجرة) .

لقد أحدثت الغزوات الخارجية والفتن الداخلية جراحات غائرة في جسد تراثنا المخطوط ما زالت آثارها واضحة للعيان حتى الآن ، فقد مزق هذا التراث شر ممزق ، وضاع منه ما ضاع ، وأتلف منه ما أتلف ، وسرق منه ما سرق ، وما بقي منه في المكتبات إلى الآن هو في كثير من الأحيان أشلاء متناثرة ، فالكتاب الواحد تتوزع نسخه بين المكتبات وقد لا تتجمع أجزاء النسخة الواحدة في مكتبة واحدة ، فيوجد جزء هنا وجزء هناك ولهذا قد نجد من الكتاب الواحد في المكان الواحد أجزاء مسلسلة ولكنها لا تكمل بعضها لأن كل جزء منها ينتمي إلى نسخة غير النسخة التي ينتمي إليها الجزء الآخر . وهذا يلقي على المكتبات مسؤولية كبيرة في فهرسة ما لديها من أصول هذا التراث فهرسة علمية دقيقة تعرف به وتيسِّر استخدامه للباحثين [٨] .

مواد المخطوط :

- استعملت بداية الأنواع المختلفة من جلود الأنعام المدبوغة في الكتابة في الجزيرة العربية قبل الإسلام وبعده ، حيث سُمِّيت الجلود المستعملة في الكتابة الأديم أو الرَّق

•

---

[٨] الفايد ، مليحان بن مرهج. الفروق الجلية بين فهرسة الكتاب المطبوع والمخطوطة الأثرية . في مكتبة المسجد النبوي

www.mktaba.org/vb/showthread.php Date of Access: 10/1/2016

• الورق : واستخدام الورق في الكتابة والتدوين ، مما ساعد على تطوّر صناعة المخطوطات في العالم الإسلامي استخدام الورق في الكتابة . ويعود الفضل في اختراع مادة الورق إلى الصينيين الذين أنتجوه في القرن الأول الميلادي ، مستخدمين في صناعته سيقان نبات الخيزران (البامبو) المجوفة والخرق البالية أو شباك الصيد ، حيث كانت تُغْسل هذه المواد جيدًا ثم تُطْحَن في مطاحن خاصة حتى تتحوّل إلى عجينة طريّة ، ثم تُضاف إليها كمية من الماء حتى تصبح شبيهة بسائل الصابون ، وبعد عمليات تصفية دقيقة تؤخذ الألياف المتماسكة بعناية لتنشر فوق ألواح مسطحة لتجفف بواسطة حرارة الشمس ، وبعد ذلك تُصقل صحائف الورق بخليط من النشأ والدقيق ، وتجفف من جديد لتصبح بعد ذلك جاهزة للاستخدام.

وقد نقل المسلمون صناعة الورق عن الصينيين ، وذلك عندما تمكن المسلمون من الاستيلاء على سمرقند عام ٧٥١م واستبقوا عددًا من أهل الصين من صُنّاع الورق، الذين قاموا بإطلاع العرب على أسرار صناعته . ومنذ ذلك الوقت أدخلت صناعة الورق إلى بغداد ومنها انتقلت إلى سورية ومصر والمغرب العربي ثم إلى الأندلس فأوربة .

وتطوّرت صناعة الورق في إيران بشكل أكبر عن مثيلتها في الأقطار الإسلامية الأخرى ، حيث استطاع الإيرانيون في القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي أن يصنعوا ورقًا فاخرًا من الحرير والكتّان ، كما عنوا بضغطه وإكسابه بعض الألوان وتلميعه ، ليليق بتدوين دواوين الشعر التي كانت تكتب عليه بالخطوط الجميلة ، وتذهّب بالصور الملوّنة ، التي كانت تحلّى بها المخطوطات . وتشهد مجموعة المخطوطات الفنية التي أنتجت في

إيران وتركيا والهند والعراق ومصر على ما وصلت إليه الفنون الإسلامية من تطور في التصميم ، ودقة في التنفيذ ، وروعة في التلوين .

- القلم : من أهم أدوات المخطوط القلم الذي عرف العرب منه أنواعًا كثيرة منها قلم السعف ، وقلم العاج ، وقلم القصب ، والريشة المعدنية وأفضلها وأكثرها شهرة القلم المصنوع من القصب ، وذلك لسهولة بري ريشته لتكون ذات سماكة معينة مسطحة الوجه وذات شق في الوسط لتسمح بانتقال الحبر من القلم إلى الورق .
- المداد : صنع العرب المداد من الدخان والعَفْص (شجر البلوط) والصمغ ، وقد استعمل حبر الدخان للكتابة على الورق في حين استخدم الحبر الصيني للكتابة على الرقوق وقد نجح العرب المسلمون منذ العصر العباسي في ابتكار أنواع كثيرة من الأحبار تتناسب مع طبيعة المخطوطات والأوراق المستخدمة في ذلك الوقت.
- الألوان: استخدمت الألوان الزاهية في تحلية المخطوطات الإسلامية ، وصنع العرب الألوان من مواد مختلفة ، منها ما هو مصنوع من مصادر نباتية كالحنّاء والبن والأرز والورد والأزهار ، ومنها ما هو مصنوع من الأحجار الكريمة . وتتميز الألوان المستخرجة من مساحيق الأحجار بأنها ألوان ثابتة لا تتغير بعامل الزمن ، وكانت مساحيق هذه الأحجار تُخلط بالصمغ والماء المستخلص من الورد . ومن أهم الألوان التي كانت تُستخرج من مساحيق الأحجار اللونان الأخضر والأزرق اللذان كانا يُستخرجان من أحجار الفيروز النفيسة . أما المصدر الثالث لصناعة الألوان فهو الأتربة بعد أن تُنخل وتُصفّى وتُسحق لتصبح كالكحل ثم تخلط بالصمغ والماء حتى

تصبح جاهزة لتحلية صفحات المخطوطات . أما المصدر الرابع والأخير في صناعة ألوان المخطوطات فهو التذهيب ، وهناك نوعان رئيسان في تذهيب المخطوطات هما المطفي واللماع . أولهما يتم بلصق الأوراق الذهبية الرقيقة في مواضع التحلية والثاني عن طريق التلوين المباشر بماء الذّهب [٩](٢)(٤).

المخطوطات الدينية : يعتبر المصحف الشريف من أول المخطوطات الدينية التي وجهت إليها العناية والاهتمام ، حيث خصّه الفنانون المسلمون بجهود فائقة من أجل تجميله وزخرفته وتطوير أساليب رسمه وحفظه . ومن الطبيعي أن تكون مخطوطات المصاحف ميدانًا لفن تجويد الخط ، وقد كتبها الخطاطون في صدر الإسلام بالخط الكوفي الذي تطور على أيديهم في سبيل تحسين رسم المصاحف بخطوط أكثر ليونة وانبساطًا ، وكان أكبر عون لهم في هذا الصدد طبيعة الحروف العربية، وما فيها من تقويس واتصال وما تقبله رؤوسها وسيقانها من ذيول زخرفية وتوريق وترابط ، ومنذ القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي كتب الخطاطون المصاحف بخطوط جديدة هي الثُّلث والنَّسْخ واقتصر استخدام الخطوط الكوفية في كتابة عناوين السور فترة من الوقت . ومن أقدم مخطوطات المصاحف التي دونت بخط النسخ مخطوط مصحف محفوظ في مكتبة خاصة بمدينة دبلن بأيرلندا مسجل عليه اسم ناسخه وهو الخطاط العراقي المعروف ابن البواب مخطوطات المصاحف تظل أكثر تلك المخطوطات روعة وجمالا (٤) (٢) ، والمعروف أن الخطاط كان يتم كتابة

---

(٩) عبودي ، ميري فتوحي . فهرسة المخطوط العربي . بغداد : وزارة الثقافة والإعلام ، ١٩٨٠ . ص١٩- ٣٠ .

المخطوط تاركًا فيه الفراغ الذي يُطلب منه في بعض الصفحات ؛ لتُرسم فيه الأشكال النباتية والهندسية المذهبة ، أو تُنقش فيه صور ذات صلة معينة بالمخطوط ، وقد لا يكون لبعضها أيّ صلة قريبة ، فيكون الغرض من رسمها تجميل المخطوط فحسب .

دخل الرسم في المخطوطات ، على الرغم من تحفّظات بعض الفقهاء والعلماء المسلمين في كراهية التصوير في الإسلام على هذا الفن ، بل استمر هذا الفن ، وأنتجت منه الأقطار الإسلامية أعمالا متميّزة صنّفت في مدارس فنية ، وأصبحت تمثّل مجالا من مجالات الفنون الإسلامية.

وقد كانت إيران في طليعة البلدان الإسلامية التي لم تُؤثّر فيها كراهية التصوير تأثيرًا كبيرًا ، غير أن دراسة المخطوطات المزوّقة ، تقوم بصفة أساسية على التصاوير التي تزين صفحات المخطوطات أو توضح نصوصها أو التي صارت تجمع في مرقّعات (ألبومات) وعثر على نصوص قديمة تشير إلى عناية المسلمين بتزويق المخطوطات منذ القرن الأول ، ومن أوضح هذه النصوص ما جاء في كتاب كليلة ودمنة الذي ترجمه عبد الله بن المقفّع في أيام الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور ١٣٢هـ ،٧٥٠م ، وينبغي للناظر في كتابنا هذا ألا تكون غايته التصفح لتزويقه ، وأن من أغراض الكتاب الأربعة ، إظهار خيالات الحيوان بصنوف الأصباغ والألوان والصور ليكون أنسًا لقلوب الخلفاء والملوك [١٠](٢) .

---

[١٠] سيكرا ، ألبرت . فن الرسم العربي . في أرض الحضارات .-
www.civicland.com Date of Access: 10/1/2016

ويشمل الرسم الكثير من الكتب العلمية ، بحكم مواضيعها ، فالتصاوير علمية بحتة لا تدع مجالا للإبداع الفني ، وقد لا تحتوي على صور آدمية أو حيوانية ، مثل بعض كتب النبات والجغرافيا والهندسة ، غير أن كتبًا علمية أخرى ضمت صورا يمكن أن تدخل ضمن الإطار الفني إلى جانب أهميتها العلمية ، وربما يرجع ذلك إلى اشتمالها على صور بشرية وحيوانية ، وقد عُني مؤرخو الفن الإسلامي ببحثها من الوجهة الفنية البحتة؛ فدرسوا أساليبها وقسموا طرزها إلى مدارس التصوير المختلفة.

ومن أشهر المخطوطات الأدبية الإسلامية ، التي شغف المسلمون بتزويقها بالصور ، مخطوط كتاب مقامات الحريري . وقد استهوت هذه المقامات المصوّرين بروعتها الأدبية وجمال أسلوبها ولطف دعابتها ، فعنوا بتزويقها بالتصاوير ، وتمثيل قصصها بالصور ، ووصل إلينا من مخطوطات مقامات الحريري المزوقة بالتصاوير عدة نسخ تزيد على العشرة موزّعة بين دور الكتب والمتاحف في العالم(٢) (١٠) كان الواسطي وهو (يحيى بن محمود بن يحيى بن أبي الحسن كوريها الواسطي) الذي ولد في بلدة واسط في وسط العراق بداية القرن الثالث عشر الميلادي ، أحد أبرز مصوّري المدرسة العربية التي ازدهرت في بغداد عاصمة الخلافة العباسية ، ومن الباحثين من أرجع أول نشأة لهذه المدرسة في الفن العربي على يد فنانين من أتباع الكنيسة المسيحية الشرقية ، ثم تأثّر الفنانون المسلمون بأساليبهم الفنية بعد أن استقرت الفتوحات وتعلموا من أهل تلك البلدان الأساليب الفنية التي كانت موجودة عندهم. قام الواسطي برسم واحدة من مخطوطات مقامات الحريري ، وهي في الأصل عمل أدبي كتبه أبو محمد

القاسم بن علي بن محمد الحريري البصري ، أحد علماء عصره[١١] (١٠).
والصور التي رسمها الواسطي في مقامات الحريري فكانت تتميز بالدقة والمهارة بل البراعة في التصوير وإظهار الحركة ، وتزيين الملابس بالزخارف والأزهار والمراوح النخلية ، وكان يرسم الاشخاص بطريقة مبسّطة وكأنها شخصيات كرتونية تحكي قصص المقامات ، وقد صور لنا الواسطي الحياة الاجتماعية تصويرا واقعيا لحياة العرب في القرن ١٣م ، وهم في المسجد أو في الحقل أو في الصحراء أو في الخان أو في احتفالاتهم في الاعياد ومجالس لَهْوهم ... والمخطوطة التي رسمها الواسطي موجودة الآن في (مكتبة بولدون) أو المكتبة الأهلية بباريس (أهداها شخص كان يمتلكها يدعى شفر) ، وهي هناك تحت رقم (٥٨٤٧) وتضم (٩٤) رسما ملونا في (٩٩) صفحة بمقاس (٧٣سم × ٢٨ سم). (راجع الملحق)[١١].

وبدخول المغول إلى إيران ، وضُحَت في المخطوطات المزوقة التأثيرات الصينية التي تتمثل في محاولة التعبير عن العمق ، والميل نحو التجسيم بالإضافة إلى بعض التفاصيل كالسَّحْنة المغولية والأدوات ، والثياب المعروفة في الشرق الأقصى ، ورسم التنين ، والسحب الصينية . وكان من نتيجة ذلك ظهور أسلوب جديد صار يُعرف باسم المدرسة المغولية انتشر في إيران والعراق في القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي .

أما في العصر التيموري في القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي ، فقد بدأ إخضاع التأثيرات الصينية للمزاج الوطني الإيراني

---

(١١) قزاز ، طارق بكر . فن الواسطي في المدرسة العربية . في منتديات فني
http;//art.pub.sa Date of Access: 10/1/2016

بالإضافة إلى ظهور الشغف برسم المناظر الطبيعية بدقة وإتقان ، وتصوير مظاهر الترف والتعبير عن مشاعر البهجة والسرور ، ووضوح الطابع الزخرفي. ووصل هذا الأسلوب إلى قمته في العصر الصفوي الأول في القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي ، مما ساعد على ظهور المدرسة الصفوية الأولى[٢] (١٠) .

- فن تجليد المخطوطات الإسلامية : من الفنون التي تقدمت بفضل الحرص على صيانة مخطوطات المصاحف فن تجليد المخطوطات الذي ازدهر على يد المسلمين على وجه الخصوص لعنايتهم الفائقة بغلاف المصحف الشريف ، سواء من حيث الصنعة والزخرفة أو الرسم الكتابي ، مما حدا بالأوروبيين إلى تقليده .

- كانت تستخدم فيها ألواح الخشب المزخرفة بالتطعيم والعاج ثم تبعتها مرحلة تغليف المخطوطة بالقماش المطرز ، أو بصفائح الذهب والفضة المرصّعة بالأحجار الكريمة ، ونظرًا لكون هذه الأغلفة ثمينة كانت عرضة للسرقة ولم يصل منها إلا القليل النادر في متاحف العالم [٢].

- لماذا توضع فهارس المخطوطات ؟ كانت المكتبات محدودة الحجم والنمو ، يمكن للذاكرة ان تستوعبها وكانت رفوفها مفتوحة ، ومع تضخم المكتبات ونمو احجامها اقتضى وضعها في مخازن خاصة ، تطلب ذلك تنظيمها فنيا كتسجيل مجموعتها وفهرستها وتنظيمها لتيسير الحصول عليها من المخازن ، فالفهرس مفتاح وصول الباحث الى المقتنيات المكتبة ، وقد وجدت فهارس المكتبات العزبية في القرن الثاني الهجري ، فالمأمون كان

عنده فهرس بكتب خزانة الحكمة ، وان فهرس كتب الصاحب بن عباد المتوفى عام ٣٨٥هـ بلغ عشر مجلدات[١٢].

ان فهرسة المخطوطات تتطلب دقة وحرصا لكون المخطوطات مواد ثمينة وبقيمة الآثار ، فلكل مخطوطة قيمتها وخصائصها Properties (ما يسمى وصف المخطوط عند المحققين) ، أي لاتتطابق نسخ المخطوط الواحد مع بعضها ، وغالبا ما تكون المخطوطات بعيدة عن الباحث، وليس من السهل عليه الوصول إليها وفحصها بنفسه ، والفهرس يقدم للباحث بيانات تفصيلية تساعده في التعرّف على ما يحتاجه بدقة[١٣].

خصائص المخطوط : وتشمل الشكل المادي للمخطوط ، وهي نوع الورق وحجمه وعدده ونوع الخط والمداد واسم الناسخ وعدد السطور في الصفحة ونوع المداد ونوع التجليد ، وما أصاب المخطوط من تمزق أو ترميم او فقدان لبعض اوراقه وغير ذلك من الملامح المميزة للنسخة ومكان النسخ وتأريخ النسخ ، وان كانت غير مؤرخة فالورقة الأخيرة تثبت فيها التأريخ ، والتأريخ يبيّن مكانها بين نسخ الكتاب ، والى اي حدّ هي قديمة وموثوقة

---

(١٢) الحموي ، ياقوت بن عبدالله . معجم الأدباء ، ط٢.- بيروت : دار احياء التراث العربي ، د.ت. ج٦ ، ص ٢٥٦. حول مكتبات الخلفاء الأمويين في الأندلس ، راجع أيضا :

- دي طرازي ، فيليب . خزائن الكتب العربية في الخافقين . – بيروت : د. ن. ، ١٩٥٤. ص٢٤٥.

(١٣) عبودي ، ميري فتوحي . المصدر نفسه . ص٥٦ .

راجع ايضا : • عبد الهادي ، محمد فتحي . الدليل الإرشادي لفهرسة المخطوطات العربية . – القاهرة : معهد المخطوطات العربية ، ٢٠١١ .

والتمليكات والسماعات والأجازات والمعارضات... وهي بيانات تفيد في توثيق المخطوط وبيان أهميته في عصره وبعد عصره .

- يبدأ المخطوط عادة بالاستهلال وهو البسملة والحمدلة والصلاة على النبي الكريم ، أما الديباج فهو صفحة العنوان التي يبدأ بها المخطوط وتشمل الاستهلال وعنوان المخطوط واسم المؤلف والهدف من التأليف وأحيانا صفحة محتويات عناوين الفصول والمصادر التي اعتمد عليها المؤلف ، وفي القرون الأخيرة تم تخصيص الورقة الأولى من المخطوط للعنوان واسم المؤلف فقط ، أما اسم الناسخ وتاريخ ومكان النسخ فتكتب في آخر المخطوط [١٤].

- وبهدف الاقتصاد في استهلاك الورق الثمين لم يفرد النساخ صفحات مستقلة لعناوين الفصول كما نرى في الكتب الحديثة. فكان الناسخ يكتب عنوان الفصل باللون الأحمر ضمن النص وليس في سطر مستقل ، وبعض النساخ كانوا يكتبونه على الهامش ، ويلاحظ في بعض المخطوطات العثمانية أن الأوراق كانت تكبس عند صناعتها لتتكون عليها خطوط ناتئة متوازية تمثل الأسطر ، فكان الناسخ يلتزم بحدودها ويترك ما عداها فارغا لكتابة حاشية[١٤] .

- ومن جهود الاولى في فهرسة المخطوط البحّاثة العراقي كوركيس عواد في هذا المجال كتاب (المخطوطات العربية في دور الكتب الأميركية) الصادر عام ١٩٥١م ، وكتاب (الآثار المخطوطة والمطبوعة

---

[١٤] فهرسة المخطوطات العربية . في باب العرب .

http://arabbab.com Date of Access: 10/1/2016

في الفولكلور العراقي) الصادر عام ١٩٦٣م و (فهرست مخطوطات خزانة يعقوب سركيس) في جامعة الحكمة في بغداد الصادر عام ١٩٦٦م [١٥][١٤] .

- ومن المشاهير الذين ذاع صيتهم في عالم المخطوطات في بلاد الشام الدكتور صلاح الدين المنجّد[١٦] ، ومن مصنفاته معجم للمخطوطات العربية المطبوعة صدر في عام ١٩٦٢م [١٣]. واشتهر في مصر فؤاد سيد الذي وضع فهرسا لمخطوطات دار الكتب المصرية عام ١٩٥٥م [١٧][١٤] .

المبحث الثالث : دار المخطوطات العراقية :

- وهي من تشكيلات الهيئة العامة للآثار والتراث وهي مديرية عامة.
- تأسست الدار عام ١٩٤٠، وكانت جزءً من مكتبة المتحف.

---

[١٥] عواد ، كوركيس . المخطوطات التأريخية في خزانة المتحف العراقي . – بغداد : مطبعة الرابطة ، ١٩٥٧. مستل من مجلة سومر مج ١٣.

- عواد ، كوركيس . المخطوطات العربية في مكتبة المتحف العراقي ؛ المخطوطات الأدبية .– بغداد : مطبعة الرابطة ، ١٩٥٨. مستل من مجلة سومر مج ١٤ .
- عواد ، كوركيس . المخطوطات العربية في مكتبة المتحف العراقي ؛ الطب والصيدلة والبيطرة .– بغداد : مطبعة الرابطة ، ١٩٥٩. مستل من مجلة سومر .

[١٦] المنجد ، صلاح الدين . قواعد فهرسة المخطوطات العربية .– بيروت : دار الكتاب الجديد ، ١٩٧٦.

راجع ايضا : • المنجد ، صلاح الدين . قواعد تحقيق المخطوطات العربية . – بيروت : دار الكتاب الجديد، ١٩٨٧.

[١٧] سيد ، فؤاد . فهرست المخطوطات ؛ نشرة بالمخطوطات التي اقتنتها الدار من عام ١٩٣٦– ١٩٥٥القسم الأول .– القاهرة : مطبعة دار الكتب ، ١٩٦٠ .

- تبلغ المجموعة ٤٥٧٧٢ مخطوطة مسجلة ، وهناك ٥٦٥ مخطوطة أضيفت للمجموعة حديثا .
- واول مخطوطة كانت (معجم البلدان – لياقوت الحموي المتوفى ٦٢٦هـ) حصلت عليها الدار من احدى الأسر العلمية من مكتبة أحمد حامد الصراف ، وقد جمع المركز أنذاك ٢٥٠ مخطوطة عام ١٩٦٠، وكانت من اهم المكتبات :
  - مكتبة اللأب أنستاس مارلي الكرملي
  - مكتبة الملا صابر الكركوكلي
  - مكتبة رشيد عالي الگيلاني
- وفي ١٩٧٠ ، خصّصت أموال كبيرة لشراء المخطوطات بلغت ٣٧٠٠٠ دينار عراقي ، وأضيفت مكتبة المؤرخ عباس العزاوي
  - مكتبة عبد الرزاق وهاشم الآلوسي
  - مكتبة محمد قاسم الرجب
  - مكتبة عبد الوهاب النايب
  - مكتبة صادق كمونة
  - مكتبة السيد محمد علي البلاغي الدينية
  - مكتبة سعيد الديوقجي
  - مكتبة يعقوب سركيس
  - مكتبة الدكتور حسين علي محفوظ

وفي ١٧/ ٨/ ١٩٨٧ صدر قانون المخطوطات ، وتأسس دار المخطوطات العراقية .

في بغداد تابعا لهيئة الآثار والتراث .

- وفي عام ٢٠٠٣ اقتنيت مخطوطات العلامة مصطفى جواد ٦٦مخطوطة (من مؤلفاته) .
- وتستعمل الدار الفهرس البطاقي ، ويضم المعلومات الآتية : عنوان المخطوط ، المؤلف ، الموضوع ، الناسخ ، تأريخ النسخ ، القياسات .
- أصدر الدار فهارس مطبوعة بالموضوعات الآتية: الحديث ، الأدب ، اللغة ، الطب والصيدلة ، والتأريخ والتراجم والسير ، والفلك ، والهندسة والحساب والجبر ، علوم القرآن ، الفقه وأصوله ، والموسيقى . ضمت مداخل الفهارس المطبوعة البيانات الآتية : بداية المخطوط (أوله) ، نبذة عن المخطوط والمؤلف ، محققا ام لا ، منشورا ، عليه وقفيات ، او عليه ممتلكات او سماعات او عليه تعليقات[١٨].
- تزال الدار تعمل بالنظام الورقي واليدوي الذي ثبت ضعف كفاءته ، اذ يستغرق الحصول على المعلومة الى وقت طويل وجهد عسير ، ويقضي الباحث او الإداري وقتا طويلا في البحث للحصول على المعلومة[١٩] من خلال استطلاع رأي مراجعي الدار وهم من الباحثين العاملين في التحقيق أو

---

(١٨) مقابلة مدير عام دار المخطوطات العراقية في ١٠/ ١/ ٢٠١٦ مع شكر الباحثة .

(١٩) فوريستر ، توم . مجتمع التقنية العالية ؛ قصة ثورة تقنية المعلومات . – عمان : مركز الكتاب الأردني ، ١٩٨٩ . ص ٣٣٣ .

راجع أيضا : • نوريس ، بيبا . الفارق الرقمي ؛ الميثاق المدني ، فقر المعلومات والإنترنيت / ترجمة هشام عبدالله ، مراجعة محمود الزواوي . عمان : الدار الأهلية ، ٢٠٠٦ .

للحصول على معلومة من مخطوطة غير منشورة ، أو من الباحثين الفنانين في للاطلاع على رسوم أو الزخارف والخطوط الفنية في المخطوطات .

المبحث الرابع الاستنتاجات والتوصيات :

الاستنتاجات : تستنتج الباحثة ما يأتي :

-١-* ضعف العمل في دار المخطوطات العراقية .

-٢-* اذْ لا يزال العمل فيه يدويا بالرغم من دخولنا القرن الواحد والعشرين .

-٣-* صعوبة حصول الباحثين والمحققين على البيانات والمعلومات الخاصة بالمخطوطات العراقية ، من خلال سؤال مجموعة من الباحثين (العاملين في التحقيق).

-٤-* تأثّر الاعمال الأخرى الخاصة بالمخطوطات بالعمل اليدوي مثل التعرّف على نسخ أو أجزاء المخطوطة في مراكز المخطوطات الأخرى ، أو الصيانة.

-٥-* ضعف تبادل خبرات دار المخطوطات العراقية بين مراكز المخطوطات العربية والعالمية .

التوصيات : توصي الباحثة ما يأتي :

(١)* تحديث العمل في المخطوطات بما يناسب التطوّرات الحاصلة في تحديث الأعمال في القرن الواحد والعشرين بالادارة الإلكترونية ، وتطور العمل بالمخطوطات .

العصر الرقمي (المعلومات والإتصالات) : إننا في عصر الرقمي عصر المعلومات والإتصالات بدلالة تقنية اليوم(ICT) ، والحواسيب

ووسائل الإتصال في كل مكان انها أدوات النشاط البشري في هذا العصر ، أثرت كثيرا في إدارة العمل في المجالات كافة ، كل شيء إلكتروني واصبح الحرف E له معنى ديناميكي ، ان عصر الإنفوميديا هو توأمة الحواسيب والإتصالات ، وان هذه الأدوات هي أدوات اقتصاد المعرفة وراس المال الفكري والعولمة[٢٠]، وادراكا من المجتمعات العالمية لاهمية المعلومات في حياة الفرد والدولة ظهر (الجيل الثالث لحقوق الإنسان) بإعتبار" إن الحق في المعلومات وما يتعلق بها من حقوق اخرى كالحق في الحياة الخاصة والحق في الملكية الادبية للمعلومات " وهي من الحقوق الجديدة للإنسان [١٤] ، وقد أنتجت البشرية في السنوات العشر الاخيرة من المعلومات الإلكترونية ما يعادل المعلومات التي انتجتها على مدى القرون المنصرمة باستخدام تقنية المعلومات ، وتشمل الحواسيب وصناعة البرامجيات Software وهي البرامجيات التشغيلية والبرامجيات التطبيقية [٢١] والإتصالات الجزء الثاني لتقنية العالية للمعلومات التي تكوّن تزاوجها واندماجها تقنيات المعلومات[٢٢] ، ان دمج الإتصال مع الحواسيب فتح حقل

---

[20] Koelsch, Frank. The Info media Revolution. – Toronto : McGraw-Hill Ryerson, 1995. P. 11.

[21] Haag, Stephen, Maeve Cummings and Amy Phillips. Management information systems; for the information age, 6th ed. Boston: McGraw- Hill,2006. P. 14- 18 & 39-64.

[٢٢] من مواقع تقنيات والاتصالات ، موقع معلوماتية عالمي http://www.ei.org/ و اتصل بالعالم http://www.mtnsms.com/ واتحاد البرمجيات ←

الإتصـالات للإنتقـال الـى النقـل الرقمـي للبيانـات ، أي تحويـل النصـوص والصور التناظرية الى وحدات رقمية محمولة عبر وسائل الإتصال (٢٣) ، ان شبكات المعلومـات التـي اتاحت الربط بين نظـم الحواسيب المختلفة وقواعد البيانات ونقلت عهد الحواسيب من الغرف المغلقة الى الحواسيب المفتوحة او اللامركزيـة ، التـي تقـع شـبكة المعلومـات (الإنترنـت) فـي مقدمتها لما تتميز به من شمول وسعة في المحتوى وبعدد مشتركيها وبروتوكولات تبادل النصـوص ، والمعلومـات المعتمـدة فـي بيئتهـا ومـا تحققـه يومـا بعد يـوم مـن الـدمج الـذكي بـين للوسـائل المرئيـة والسـمعية وتوظيـف الملفـات الصـوتية والصـورية و الملفـات الأداء والحركـة (الوسـائط المتعـددة) Multimedia ، والتـي تسمى بالتقنية العالية High Technology أو تقنيات المعلومات Information Technology وهو عصر المعلومات Information Era، الـذي حقـق ربـط بـين الحواسـيب وبنـاء شـبكات المعلومـات المحليـة الشـبكة (الإنترانت) (LAN) Intranet والإقليمية ومن ثم العالمية التي تمثل الشبكة Internet ، وتتيح الشبكة تصفح الشبكات وقواعد البيانات Database عبر شبكة الويب الشبكة النسيج العالمية World Wide Web (www) ونقل البيانات والملفات الصوتية والصورية والوسائط ، لقد تَواصل الافراد معا

الرقميـة التفاعليـة /http://www.idsa.com وجمعيـة المواصـفات القياسـية http://www.lisa.unige.ch/

(٢٣) غيـتس ، بيـل . المعلوماتيـة بعـد الانترنـت . الكويـت : دار المعرفـة ، 1998. – ص١٦٢ – ١٦٣.

• راجع أيضا : مكاوي ، حسن عماد و محمود سليمان علم الدين . تكنولوجيا المعلومات و الاتصال . – القاهرة : مركز تكنولوجيا التعليم ، ٢٠٠٠.

بالصوت والصورة الى إبتكار العالم الإفتراضي في بيئة الإنترنت ، انها مواقع المعلومات المتعلقة بالمتواصلين على الإنترنت متعلقة بكل شيء له علاقة بالإتصال في النشاط البشري.

أصبحت شبكة المعلومات (الإنترنت) في ايامنا هذه مخازن لمليارات الصفحات من المعلومات والوثائق السياسية والتاريخية والتجارية والثقافية والعلمية والعسكرية والجغرافية والسياحية والقانونية وغير ذلك ، وبيئة لملايين المواقع الثقافية والخدمية والتجارية وغير الربحية والحكومية والشخصية فلا عجب اذا ان ، ولا عجب ان يتسابق القاصي والداني الى احتلال موقع ضمن هذه الشبكة[٢٤] .

(٢)* **نظم المعلومات المخطوطات :**

آن الأوان لإدخال تقنية المعلومات في العمل في دار المخطوطات العراقية ، وان تستفيد مما تقدم في ادارة المخطوطات ، أولها نظام المعلومات الآلي المحوسب ، الذي يعالج البيانات ويحولها إلى معلومات ، وتستخدم هذه المعلومات مخرجات سريعة لهذا النظام ، لإفادة المستفيدين من العاملين والباحثين من هذه المعلومات ، وهذه المعلومات تستعمل لإتخاذ القرارات وعمليات التنظيم داخل المؤسسة ، وتعتمد نظم المعلومات على برامجيات قواعد البيانات ، وتحتاج هذه النظم الى المستلزمات الآتية :

- الموارد البشرية المدرّبة .
- موارد مالية لتنفيذ العمل .

---

[24] Haag. Op. Ct. P.103– 110.

- الحواسيب مناسبة ذات كفاءة عالية ، يمكنها التعامل مع قواعد البيانات ومع موقع مركز المخطوطات العراقية والمواقع ذات العلاقة (الخوادم) Servers .
- برمجيات قواعد البيانات وتفضل الباحثة قاعدة بيانات Oracle or My SQL باعتبارها من أشهر قواعد البيانات العالمية ويجري تحديثهما دوريا لتحقيق هدف أو اهداف مركز المخطوطات العراقية.

قواعد البيانات Data Bases ، تعتمد نظم المعلومات المحوسبة على قواعد البيانات بدرجة كبيرة ، وهي ملفات إلكترونية مهيكلة بطريقة منطقية في جداول Tables ، مكونة من الصفوف Rows التي تمثل القيود Records ، والأعمدة Columns التي تمثل الحقول Fields ، تخزن البيانات بشكل قيم Bytes برموز الحاسبة ، تخزن في قاعدة البيانات[٢٥] ،لتحوّل البيانات الى معلومات مفيدة ، ذات معنى لمن يستعملها أو يستعرضها.

---

[٢٥] تتألف قاعدة البيانات من أجزاء خمسة ، هي :

١. الجداول لتخزين البيانات .
٢. النماذج [الواجهات وتسمى بالأشكال أيضا] تتيح للمستفيدين الدخول وتحرير النصوص ومشاهدة البيانات .
٣. الاستعلام Queries هي الأسئلة للبحث عن البيانات وكشفها .
٤. التقارير لتحديد شكل المخرجات على الشاشة أو على الورق .
٥. الأوامر البرمجة التي يمكن تعديل البيانات لتناسب نظما معينة ، ويستعمل مبرمجو قاعدة البيانات المواصفات والأشكال البيانية المكتوبة التي يشتمل عليها النظام احتياجات المستفيدين لصياغة هيكل يقدم للمستفيدين المعلومات التي يطلبونها .

وتدعو الباحثة الى الاهتمام بتصميم جداول قواعد البيانات ولاسيما الجدول الرئيس هوية المخطوط (راجع الجدول رقم ١ * والشكل رقم ٢* و ٣* و٤* / في الملحق) ، ويمكن انشاء جداول أخرى مساعدة للعمل بقاعدة البيانات بحسب العمل في المركز ، ويمكن شمول المخطوطات الشخصية ومخطوطات الوقفيّة بهذا المشروع ، باعطاء كل مخطوطة شخصية او وقفيّة رقما وطنيا[٢٦] ، فضلا عن البرامجيات الأخرى السائدة كبرامج Photo Shop وبرامج تصميم المواقع... ان اهم مخرجات قواعد البيانات عناوين المخطوطات والمؤلفون والمواضيع والخطاطّون والنسّاخون وعمر المخطوط والتوضيحات(اللوحات) والتذهيبات والزخارف وعدد الصفحات والتجليد والحيازة ...

(٣)* الرقمنة :

وهي التوثيق الإلكتروني وذلك بنقل المخطوطات على وسائط إلكترونية مثل الأقراص المدمجةCD-Rom ، الرقمنة على شكلين صور ونص أين يمكن إدخال بعض التحويلات والتعديلات عليها وذلك بعد معالجة النص بمساعدة برامج التعرّف البصري OCR ، لتجنب تعرّض المخطوطات لأخطار التلف والإندثار بسبب قدمها إذا تكرر إستخدامها.

ان أتساع مراكز المخطوطات عبر مساحة جغرافية واسعة ، تتجاوز حدود وطننا العربي إلى العالم الإسلامي الكبير والعالم الغربي ، لتبعثرها بين مكتبات العالم ، وغياب الخطط الرامية إلى حصرها وتوثيقها والتعريف بها ،

---

[٢٦] يمكن تسجيل حيازة مخطوطات الاوقاف والمخطوطات الشخصية ، واعطاء الحرية بالتصرف بها شرط التعريف بحيازتها الجديدة ومنع تهريبها خارج الوطن .

كذلك تعدد مناهج فهارستها وتحقيقها ، مع الاشارة الى الى الجهود المبكرة لدار الكتب المصرية الذي هذا المجال ، لكنها ليست بالمستوى المطلوب.

وتتطلب الرقمنة فضلا عن الحواسيب جهاز الماسح الضوئي Scanner ، وهو من الأجهزة المحيطة بالحاسوب ، ويقوم بالأساس على تحويل صورة المخطوطة موجودة على الورق أو على فيلم شفاف إلى صور إلكترونية ، بهدف تخزينها ، ويمكن معالجتها وتحسين اللقطات الناتجة ببرامج خاصة مثل فوتوشوب Photo Shop ، ثم إخراجها في منتج نهائي واضح ، إما مطبوعا لأغراض النشر المكتبي أو محمّلUpload على موقع دار المخطوطات العراقية في الإنترنت .

وهناك انواع من الماسحات الضوئية أفضلها للمخطوطات ما يأتي :

- الماسحات الأسطوانية الملونة : هذا النوع من الماسحات شائع داخل تدور لتصوير صفحات المخطوطات التي لا تؤذي المخطوط .
- عصا المسح الضوئي Optical Stick Scanner : يمرر على سطح صفحة المخطوط دون ان يؤذيها . (راجع الشكل رقم ٥ * / في الملحق)

(٤)* إنشاء الموقع الإلكتروني للمخطوطات العراقية :

إن إنشاء موقع الكتروني لدار المخطوطات العراقية على الشبكة (الإنترنت) يسهم فيما يأتي :

@ إن إقامة موقع لدار المخطوطات العراقية باعتبارها جزءً من خطة الحكومة الإلكترونية ، في مجال المخطوطات لمنظمات الحكومة العراقية جميعا.

@ يساعد الباحثين المحليين ومن جنسيات مختلفة للوصول إلى المخطوطات عن بعد بدون جهد وبأقل تكلفة في عصر المعلومات ، باستعمال تكنولوجيا المعلومات والاتصال والتوثيق الإلكتروني.

@ ان اقامة موقع للمخطوطات العراقية يساعد على اقامة تعاون دولي في هذا المجال بالتعرف على النسخ المكررة للمخطوط او الاجزاء المفقودة منه ...

@ تساعد عملية الرقمنة على حفظ المخطوطات الأصلية وصيانتها ، ويسهل كثيرا إستعمال النسخة الإلكترونية من المخطوطات بدلا من النسخ الأصلية، لقدم المخطوط وسهولة تعرضه للتلف بالإستعمال ، إذْ يتطلب التعامل معه بالكثير من الحذر.

@ ويمكن إيجاد موارد مادية من خلال تنزيل المخطوطات Download الى الراغبين بها من الهواة والباحثين والجهات الجامعية والعلمية ،أو من خلال الاشتراك في قواعد بياناتها.

@ تواصل دار المخطوطات العراقية بالمراكز الأخرى العربية والدولية الخاصة بالمخطوطات العربية[٢٧] ، وتبادل المعلومات والخبرات بينها حول هذه المخطوطات .

---

[٢٧] موقع معهد المخطوطات العربية :

http//:www.makhtutat.net/index.php Date of Access: 10/1/2016

@ تبادل الخبرات بين هذه المراكز في تطوير ادارة المخطوطات وحفظها وصيانتها ، وتطوير قدرات العاملين فيها في شتى المجالات من خلال الدورات التدريبية .

المصــــادر :

*١ ابن خلكان ، شمس الدين أحمد بن محمد . وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . – القاهرة : مطبعة النهضة المصرية ، ١٩٤٩ .

*٢ الأعظمي ، وليد . جمهرة الخطاطين الغداديين ؛ منذ تأسيس بغداد حتى نهاية الرابع عشر الهجري . – بغداد : دار الشؤون الثقافية ، ١٩٨٨ .

*٣ حسن ، سعيد عبد اللطيف . اثبات جرائم الكمبيوتر . – القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٩٩ ص٧ .

*٤ الحموي ، ياقوت بن عبدالله . معجم الأدباء ، ط٢ . – بيروت : دار احياء التراث العربي ، د.ت. ج٦ ، ص ٢٥٦ . حول مكتبات الخلفاء الأمويين في الأندلس ، انظر :

*٥ دي طرازي ، فيليب. خزائن الكتب العربية في الخاقين.– بيروت : د.ن. ، ١٩٥٤. ص٢٤٥.

*٦ سيكرا ، ألبرت . فن الرسم العربي . في أرض الحضارات . –
www.civicland.com Date of Access: 10/1/2016

*٧ سلمان ، عيسى . الحركة العلمية في العصر العباسي. في موسوعة الويكابيديا .

http://ar.wikipedia.org/wiki Date Access: 10/1/2016

*٨ سيد ، فؤاد . فهرست المخطوطات ؛ نشرة بالمخطوطات التي اقتنتها الدار من عام ١٩٣٦- ١٩٥٥القسم الأول ٠- القاهرة : مطبعة دار الكتب ، ١٩٦٠ .

*٩ شبكة أنصار الاسلام . معا ليكون الاسلام للجميع

http://form.4islam.cc/index Date of Access: 10/1/2016

*١٠ الصولي ، ابوبكر محمد بن يحيى . أدب الكتاب ، تحقيق محمد بهجة الأثري . – بغداد : المكتبة العربية ،١٣٤١هـ .

*١١ عبد الهادي ، محمد فتحي . الدليل الإرشادي لفهرسة المخطوطات العربية . – القاهرة : معهد المخطوطات العربية ، ٢٠١١ .

*١٢ عبودي ، ميري فتوحي. فهرسة المخطوط العربي. بغداد : وزارة الثقافة والإعلام ، ١٩٨٠. ص٥٦ .

*١٣ عواد ، كوركيس . المخطوطات التأريخية في خزانة المتحف العراقي . – بغداد : مطبعة الرابطة ، ١٩٥٧. مستل من مجلة سومر مج ١٣.

*١٤ عواد ، كوركيس . المخطوطات العربية في مكتبة المتحف العراقي ؛ الطب والصيدلة والبيطرة . – بغداد : مطبعة الرابطة ،١٩٥٩. مستل من مجلة سومر .

*١٥ عواد ، كوركيس . المخطوطات العربية في مكتبة المتحف العراقي ؛ المخطوطات الأدبية .– بغداد : مطبعة الرابطة ، ١٩٥٨. مستل من مجلة سومر مج ١٤ .

*١٦ غيتس ، بيل. المعلوماتية بعد الانترنت . الكويت : دار المعرفة ، 1998.– ص ١٦٢ – ١٦٣.

*١٧ الفايد ، مليحان بن مرهج . الفروق الجلية بين فهرسة الكتاب المطبوع والمخطوطة الأثرية . في مكتبة المسجد النبوي

www.mktaba.org/vb/showthread.php Date of Access: 10/1/2016

*١٨ فهرسة المخطوطات العربية . في باب العرب .

http://arabbab.com Date of Access: 10/1/2016

*١٩ فوريستر ، توم . مجتمع التقنية العالية ؛ قصة ثورة تقنية المعلومات . – عمان : مركز الكتاب الأردني ، ١٩٨٩. ص٣٣٣ .

*٢٠ قزاز ، طارق بكر. فن الواسطي في المدرسة العربية . في منتديات فني http;//art.pub.sa Date of Access: 10/1/2016

*٢١ مقابلة مدير عام دار المخطوطات العراقية في ١٠/ ١/ ٢٠١٦ مع شكر الباحثة .

*٢٢ مكاوي ، حسن عماد ومحمود سليمان علم الدين . تكنولوجيا المعلومات والاتصال .– القاهرة : مركز تكنولوجيا التعليم ، ٢٠٠٠.

*٢٣ المنجد ، صلاح الدين . قواعد تحقيق المخطوطات العربية . – بيروت : دار الكتاب الجديد ، ١٩٨٧.

*٢٤ المنجد ، صلاح الدين . قواعد فهرسة المخطوطات العربية . – بيروت : دار الكتاب الجديد ، ١٩٧٦.

*٢٥ مواقع تقنيات والاتصالات ، موقع معلوماتية عالمي
واتصال بالعالم http://www.ei.org/
واتحاد البرمجيات الرقمية التفاعلية http://www.mtnsms.com/
وجمعية المواصفات القياسية http://www.idsa.com/
http://www.lisa.unige.ch/

*٢٦ نوريس ، بيبا . الفارق الرقمي ؛ الميثاق المدني ، فقر المعلومات والإنترنيت / ترجمة هشام عبدالله ، مراجعة محمود الزواوي . عمان : الدار الأهلية ، ٢٠٠٦ .

27* Haag, Stephen, Maeve Cummings and Amy Phillips. Management information systems; for the information age, 6th ed. Boston: McGraw- Hill, 2006. P. 14- 18 & 39-64

28* Koelsch, Frank. The Info media Revolution. – Toronto: McGraw–Hill Ryerson, 1995. P. 11.

29* Microsoft Access 2007 / Access Help.
URL: \Access Tutorials\Microsoft Access Tutorial.htm

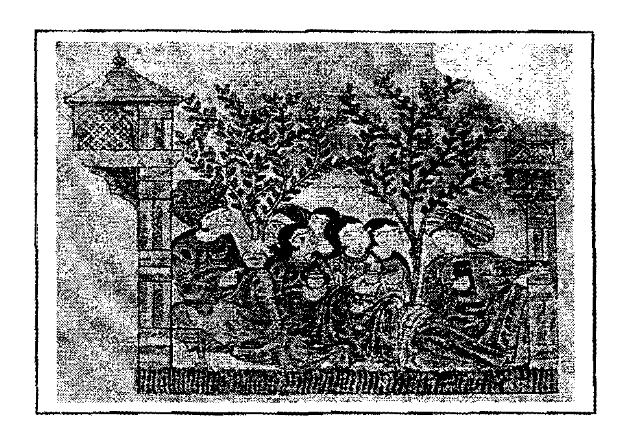
الملحق

نماذج لوحات لمخطوطات أدبية

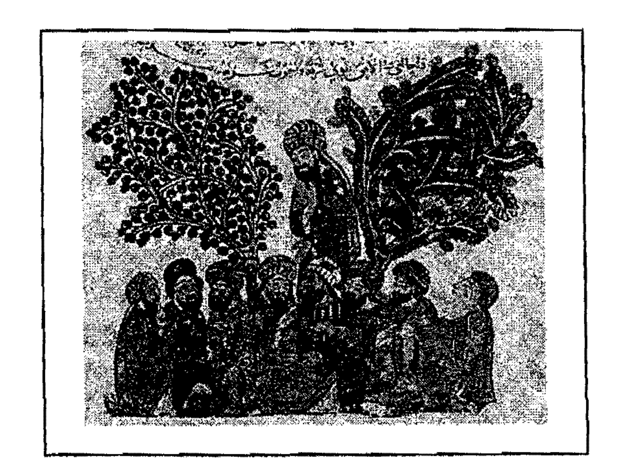




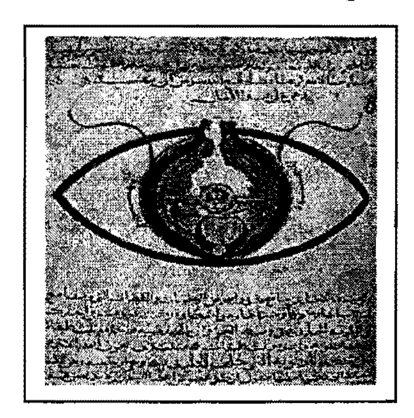
«رسائل إخوان الصفا» مؤلفون ورفقاء، بغداد، عام ١٢٨٧م



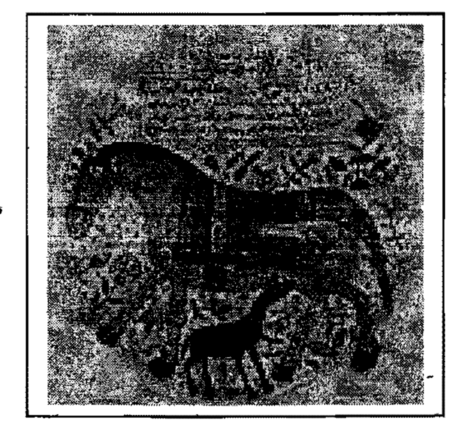




نماذج لوحات لمخطوطات علمية







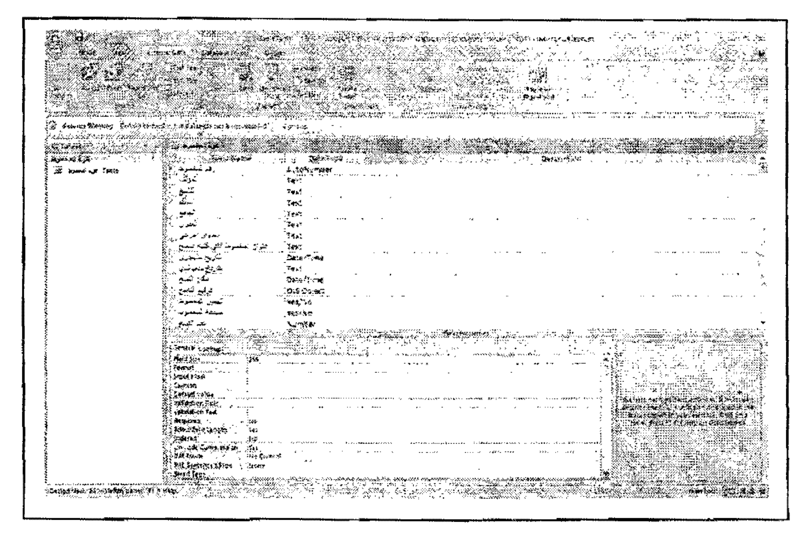
الجداول رقم (١)

الجدول الرئيس (هوية المخطوط) مع قيم الحقول في نظام معلومات المخطوطات

أسم الحقل	نوع البيانات
رقم المخطوط	Auto number
مصدر المخطوط	Text
المؤلف	Text
الناسخ	Text
المالك	Text
الجامع	Text
العنوان	Text
العنوان الفرعي	Text
عنوان المخطوط الذي كتبه الناسخ	Text
نص بدء المخطوطة	Text
نص انتهاء المخطوطة	Text
التاريخ بالهجري	Time and date
التاريخ بالميلادي	Time and date
مكان النسخ	Text
توقيع الناسخ	OLE
تحقيق المخطوط	Yes or No
طباعة المخطوط	Yes or No
عدد النسخ	Number
دراسة النصوص	Yes or No
نوع الخط	Text
ضبط الخط	Yes or No
لون الحبر	Text
عدد الصفحات	Number
عدد الاسطر	Number
الابعاد	Number
نوع الورق	Text
اللوحات	Yes or No
نوع اللوحات	Text
المنمنمات الذهبية	Yes or No
الرسوم التوضيحية	Yes or No
موضوع المخطوط رقم ١	Text

موضوع المخطوط رقم ٢	Text
موضوع المخطوط رقم ٣	Text
موضوع المخطوط رقم ٤	Text
موضوع المخطوط رقم ٥	Text
مجلد	Yes or No
لتجليد، نوع	Text
الفهارس	Yes or No
الهوامش	Text
التعليقات	Text
التمليكات	Text
التوقيفات	Text

أحدى جداول قاعدة البيانات المقترحة



الشكل رقم(٢)

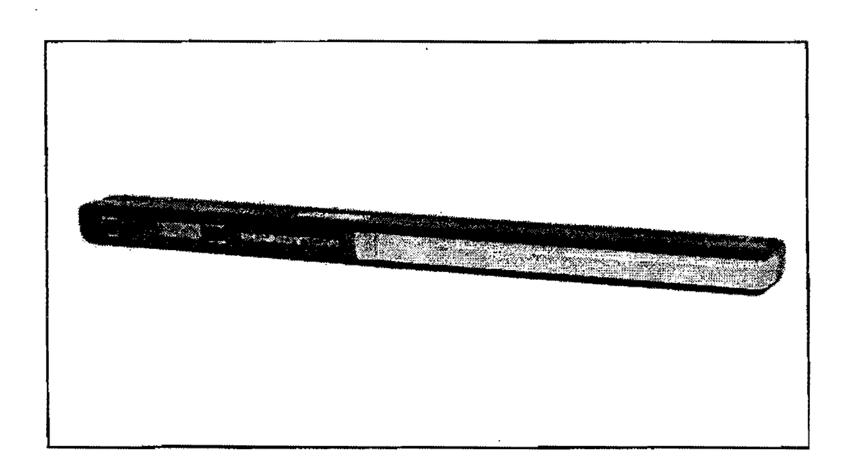


نموذج هوية المخطوط من قاعدة البيانات المقترحة

الشكل رقم(٣)



الشكل رقم (٤) من تصميم الباحثة



عصا الماسح الضوئي الشكل رقم(٥)

نهاية التاريخ ..

دراسة نقدية تحليلية لاطروحة فوكوياما

وليد خالد أحمد

الملخص :

البحث ، دراسة تحليلية ، نقدية ، لنظرية (نهاية التاريخ) ، توخينا فيها منهجا تحليليا استنتاجيا نقديا ، مع عرض لرؤى الكاتب ومواقفه من قضايا الزمن الراهن ، حيث توصل البحث الى بعض الاستنتاجات التي من خلالها حاول الباحث تقديم مقاربة نقدية متواضعة لأطروحة نهاية التاريخ .

المقدمة :

بداية ، لم يخطر في بال أحد في يوم ما ، أن يتجاوز صانعو النجوم حقل السينما والسياسة إلى حقل الفكر والفلسفة ، فيقدموا إلى دوائر البحث العلمي والجامعي ، وإلى نخبة المثقفين في النظام العالمي الجديد فيلسوفا ، يخلب العقول ، ويتجاوز القول على عمالقة الفكر في كل زمان ومكان ، وتذهب شهرته في الأرض عرضا وطولا ، وفي كل اتجاه ، ثم يقال :- هاكم ماصنعنا وأتونا بمثله إن كنتم قادرين .

إن هذا – على وجه الدقة – هو الذي حدث فعلا . وقد خرجت علينا الآلة الإعلامية الأمريكية بنجم فلسفي تظاهرت على صياغته روح المغامرة

اليابانية وفن (هوليود) في الإخراج السينمائي ، وحاجة الأمريكان إلى أن يكون لهم فيلسوف ذو شأن بعد أن بعُد عهدهم بروادهم من المفكرين الكبار ممن نستطيع اعتبارهم امتدادا – بطريقة أو بأخرى – للفكر والفلسفة في القارة الأوربية .

وإذا كنا لانعجب ونحن نرى اهتمام الدوائر العلمية الغربية بمثل هذه الصرعة الفلسفية ، ونحمل ذلك على محمل الدعوى العريضة للغربيين بأنهم يملكون آخر الكلام وفصل الخطاب في كل شأن إنساني ، كنا نرى في ذلك تجليا جديدا آخر للمركزية الغربية في رؤية التاريخ والفلسفة ، فإن من دواعي عجبنا أن يكون لنا في الوطن العربي كل هذه الضجة حول هذا الفيلسوف المُصنّع (المفبرك) وأن نفرد له ملفات خاصة في كبرى صحفنا ومجلاتنا ، ونعقد لتحليل – غثائه – الندوات ، ونجعله قضية من قضايا نهوضنا الفكري المزعوم .

لقد شغلنا فوكوياما هذا الياباني المتأمرك ، وشغلتنا نظريته – نهاية التاريخ – ولايبعُدُ في العقل أن يكون الاهتمام الزائد بـ "فوكوياما" امتدادا لقلة الاهتمام بما يدبره لنا أعداؤنا أو أن يكون الأمران كلاهما درجتين متفاوتتين على محور سقوط واحد .

فإن يكن فوكوياما مناديا بوقوف عجلة التاريخ عند النموذج الليبرالي الغربي ، وبأن على كل ذي فكر واجتهاد من أية أمة ، أن يلوي عنقه في اتجاه النمط الأمريكي في الاستهلاك والتفكير ، وحتى في القتل ، فإن مما نعتقده أن كثيرا من عرب اليوم قد أوقفوا عجلة وعيهم عند هذه اللحظة

المخزية التي تعبرها الأمة ، وعلقوا أبصارهم بالمطلق الإسرائيلي الذي يدورون في فلكه ، فهو نهاية تاريخهم وخاتمة أمرهم ، ولله في خلقه شؤون .

يقول فوكوياما :- إن الولايات المتحدة هي زعيمة العالم . ويقول :- إن لديه حدسا بأنه سيكون شيئا هاما في التاريخ الأمريكي الجديد ، وإنه ربما سيصبح سيدا للبيت الأبيض . ونحن لانستغرب حدوث ذلك إذا كان بل نراه من طبائع الأشياء ، لما أبداه هذا النجم الفلسفي المصنّع (المفبرك) من حقد على الإسلام والمسلمين ، ومن حرص حريص على مواجهتهم وقهرهم في ديارهم ، ومن استعداء منهجي عليهم .

إنه الناسك الجديد الذي يريد إثارة الغرب لوأد الإسلام ، بحجة الدفاع عن العالم الحر ، وينادي بالويل والثبور ، لأن الإسلام قد هزم الديمقراطية الحرة في أجزاء كثيرة من العالم الإسلامي . ولأنه ، فيما يرى ، يوجه تهديدا خطيرا للممارسات التحررية في النظام العالمي الجديد . فهل كان ثمة شك في أن يكون فوكوياما مؤهلا أعظم تأهيل لقيادة الوعي الغربي الجديد نحو حرب استشراقية صليبية جديدة على الإسلام ، وفي أن الإعلام الإسرائيلي - الأمريكي حاول أن يجعل منه فيلسوف الفلاسفة ويختلق له قامة تفوق هيغل وكانط وماركس .

قد أكون مغاليا في تأويل أطروحات فوكوياما ، لكن رجلا لايرى في قتل مائة ألف هندي أحمر عملا بربريا ، ويرى فيه إنجازا حضاريا ، لن يتورع أن يرى في الإجهاز الدموي على المسلمين ، وفي إقامة إسرائيل الكبرى ، نمطا من الانتصار للديمقراطية الحرة ، كما هي في وهمه ، أو كما

تراها فلسفته المخولة بالنظر في النهايات ، سواء أكانت نهاية للتاريخ ، أم للوعي ، أم للضمير.

مدخل :

تتحكم في أي عملية تنظير اطروحة توجه مسار النظرية وترفعها لتبني أحكاما وقيما وقوانين . وقد ساد في هذا المجال اتجاهان :- الأول يتمثل في اطروحة متمركزة حول الانسان باعتباره كائنا معرفيا وكيانا ثقافيا مركبا ومتعدد الابعاد صاحب وعي تاريخي ينطلق من بنية عقلية ومنظومة فكرية وقيمية وأخلاقية يمكنه العيش في العالم الطبيعي متميزا عنه ومتجاوزا اياه . والثانية تتمثل في اطروحة متمركزة حول الطبيعة . والطبيعة كينونة بسيطة خالية من القيمة ، حتمية ، لا حدود لها ولا تاريخ ولا يحتل الانسان فيها أية مكانة خاصة . فثمة قانون طبيعي واحد صارم يسري على جميع الكائنات . هذه الأطروحة استقطبت الاهتمام في العلوم الاجتماعية وتحولت الى اطروحة مرجعية في عصر النهضة ، فطرح مفهوم القانون الطبيعي و الانسان الطبيعي ، شكلت بمجملها نموذجا تفسيريا شمل الطبيعة والمادة بما فيها الانسان .

أن جوهر هذه الأطروحة .. هو أنكار الانسان ككائن ثقافي واجتماعي وتاريخي يستمد حقيقته من كونه كائنا يمكنه الانفصال عن الطبيعة بقوانينها الصارمة وحتمياتها النهائية ، على الرغم من أنه يعيش داخلها خاضعا في بعض أوجه حياته لقوانينها ، الا أنه قادر في الوقت نفسه على تجاوزها وتجاوز قوانينها ليتحرك داخل البنى الانسانية والثقافية والتاريخية التي شيدها بنفسه والتي تشكل حيزا خاصا به له قوانينه الخاصة .

هذا الحيز ومساحته وملعبه الذي يسود به ويمارس فيه خياراته فيصيب ويخطئ ويصحح . لذلك من الصعب التنبؤ بسلوكه وهو ما يتعارض مع الأطروحة الأخرى التي يتمركز فيها الانسان حول الطبيعة والتي يمكن بموجبها كما يفترض منظروها التنبؤ بسلوكه والتحكم فيه وتوظيفه .

هذا المدخل ضروري لألتقاط المفاتيح المفهومية لأطروحة نهاية التاريخ التي يبدو معها التاريخ بكل ما يحويه من تركيب وديناميية بأنه واصل لا محالة الى نهايته ، حيث يصبح سكونيا خاليا من التدافع والصراع والخصوصية وعندها فقط يمكن السيطرة على قوانين الضرورة التي تؤدي الى معرفة يقينية شاملة وكاملة ، وهذه أطروحة علموية ضيقة فقدت الكثير من صدقيتها العلمية .

خطاب النهاية :

نهاية التاريخ تنفيذ لمناورة تخويف تستغل بشكلٍ بشع أفكارنا ومُخيلاتنا وهي تستهدف جعل الناس يحبون المآل الأخير الذي لن يستطيعوا تجنبه .

فكرة نهاية التاريخ ليست بفكرة جديدة بل إنها فكرة مرتبطة ومُتجذرة في التفكير الإنساني عبر مختلف العصور ومن المحتمل ان تبقى مراودة للإنسان في توجهاته المستقبلية . ويوضح لنا التاريخ إن الحضارات الكبرى حين تصل إلى درجة كبيرة من القوة عبر اكتساحها لفضاءاتٍ ثقافية وجغرافية واسعة فإنها تدعي العالمية وتنادي بـ (وهم الخلود) أو ما يمكن أن نُسميه

ب (وهم العصر الذهبي) حيث يعتقد بأنها قد وصلت إلى المحطة النهائية لتطور الإنسانية وأصبحت مركز العالم وبالتالي فإنها حققت نهاية التاريخ .

هذا ما حدث مع الإمبراطورية الرومانية والصينية ومع المسلمين في أثناء توسعاتهم الكبرى ومع الإمبراطورية البريطانية في القرن التاسع عشر . وهذا ما يحاول ان يقنعنا بهِ فوكوياما ، فانتشار نمط الحياة الغربية وامتلاك الغرب لكل مقومات القوة والنفوذ المادي والمعنوي عند نهاية القرن العشرين سيجعل منه (روما القرن الحادي والعشرين) التي ستملأ بإشعاعها ومبادئها الخالدة كل فضاءات العالم .

إن خطاب النهاية هو خطاب انتصاري يحمل في ثناياه روحا رِسالية متعجرفة فـ فوكوياما أغرته بعض الوقائع الدولية وجعلته يعتقد أن (أنا التاريخ) ومركزها أوربا وأمريكا قد حققت ذاتها وإشباعها ، وبالتالي على باقي العوالم أن تلهث وتُسرع لتلتحِق بالتاريخ الكوني . ومن هنا فان الجنوب محكوم عليه بالتبعية الدائمة وسيبقى فاعلا سلبيا يملأ العالم مجاعات وتهديدات وما سيقلق راحة .. وهنا عالم ما بعد التاريخ .

ولهذا يوضح فوكوياما أن التحولات الثورية الكبرى لا تحدث إلا في العجوز أوربا التي كانت وما زالت مهد فكرة الحرية الإنسانية . وعلى البشر ان يتخلوا عن كل تواريخهم فقد أصبح التاريخ الأوربي التجسيد المطلق للتاريخ العالمي .

إن فوكوياما يحاول مصادرة حق الشعوب والحضارات في الحلم والتطلع إلى اختيار مصيرها وفي التفكير بمستقبل يرافق رؤاها وثقافاتها

ليحكم عليها بقدرها الأبدي في الخضوع لخيار واحد قد يقود في حدوده القصوى إلى الانتحار الجماعي من اجل آلهة الإنتاجية والاستهلاكية .

لنتذكر أن الثقافة الأمريكية ثقافة مرتبطة بالمكان والجغرافية وليس التاريخ فالولايات المتحدة الأمريكية لا تمتلك حسا تاريخيا ولا ذاكرة تاريخية لذلك من الصعب على الكثير من مفكريها أن يدركوا معنى التاريخ الشامل للبشرية وجدلية الحضارات ودوريتها عبر التاريخ وإمكانية انبعاثها لإعادة تشكيل فضاءاتها الثقافية بشكل مخالف للغرب .

قد تكون اطروحة نهاية التاريخ صائبة من وجهة نظر استنفاذ التاريخ الغربي لأفقه النظري وانغلاق إمكانياته الفكرية لدخوله عصر فراغ فكري وعقائدي حاد ، حيث لم تعد هناك نظريات شمولية جديدة واستراتيجيات سياسية كبرى ومنظومات عقائدية قادرة على خلق التعبئة وسط الجماهير . وذلك لغياب الحوافز التي حركت الثورات الفكرية في الفكر الغربي .

ويبدو أن خطاب نهاية التاريخ لا ينفصل في عمقه عن الخطاب الفلسفي لموت الإنسان لدى نيتشه هايدغر ، فوكو، دريدا . ولعل مشكلة الثقافة الليبرالية الغربية ليس في إخفاقها بل في نجاحها .

فقد امتلكت قدرة فائقة على التكيف والإستمرارية ، وعرفت مفكرين كبارا حاولوا التنظير والتفكير في التحديات المطروحة أمام الليبرالية لمنحها الديناميكية اللازمة للتطور نحو الأفضل .

لقد كان هيغل يردد في عبارة شهيرة (الفكرة تنحط حين تصبح واقعا) ويبدو أن الليبرالية قد حققت أوج عطائها وذروة تقدمها فأصبح السؤال وماذا بعد ؟

نهاية التاريخ تعني الانقياد وراء الإنسان ذي البعد الواحد والخاضع لثقافة عالمية موحدة قائمة على هاجس التقدم والتراكم اللا نهائي بدون أي وعي عميق بالشرط الإنساني في بعده الشامل .

يوتوبيا الخراب

خرائبية النموذج / الحلم

الحقيقة الملازمة للتاريخ التي لم يتخل الإنسان عن الهجس بها يوما ، هي الرغبة الدائمة في التعبير عن المشروع الحالم للإنسان بحياة أفضل ، ومن النادر العثور على عصر لم تكن فيه (اليوتوبيا) مطروحة وملازمة للفكر الإنساني . وهي تتبعد في تجذرها التاريخي الغربي الذي يعتبر المدينة الفاضلة لأفلاطون هي السبق الغربي لأنشودة الإنسان الداعية إلى الحلم بحياة أفضل ، فالإرهاصات الأولى يمكن أن نحددها بالإطلاع على معارف شعوب الشرق القديمة ، ففي الفكر الصيني القديم لايمكن تجاوز محاولة كونفوشيوس الحالمة في تحقيق مجتمع عالمي موحد ، فضلا عما نقلته لنا ألواح سومر وماسجلته النقوش في شريعة حمورابي وعهد لقمان الملك وماحوته مدونات شريعة مانو . وكلها سعيا نحو رسم الحلم القديم بالتوق للتغيير . ويمتد هذا الحلم الآدمي مرتطما وفي أزمنة خراب الحلم الإنساني حينما دخل عبر انتشار موجة عزلة المكان في الذهنية اليوتوبية .

إن التناقضات الكبرى هي التي تولد أكبر الأفكار وماتخلفه الإرتكاسات الصغيرة إلا زيفا تظهره منهجية آلة القهر والهيمنة حينها تغييرا كبيرا . وهنا يقف زيف لذة فوكوياما في امتشاقه سيف نهاية التاريخ ليفضح بذلك يوتوبيا الخراب ، ومن خلال الموقع الذي يشهد انجلاء التطبيق الفعلي للمقولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للنظريات الرمادية التي سادت عن مجتمع رأسمالي في نموذجين ، نموذج رأسمالية الدولة ، ونموذج رأسمالية الطبقة . ويسجل هذا الأخير انهياره في نموذجه في الممارسة على الساحة الغربية ، الأمر الذي لايعني أزلية النظام الآخر ، كما يحاول مفكرو الليبرالية اليوم تبنيه في الوقت الذي تحمل فيه نقطة النشوة المُدعى توقف التاريخ عندها جينات الإنقراض أكثر من النموذج المتراجع ، فالذي حدث هو انتصار آلة القهر الإرادي في النموذج الأول على آلة القهر المركزية في النموذج الثاني .

إن الوجه الأكثر وضوحا الذي أخذته صور خرائبية الحلم هو تيار العنف الذي صبغ مشاريع الحلم في أكثر مواقعها ، حيث الجهات والأمكنة التي تقوم دوما بطرح المشروع ، وإذا لم يكن هكذا فحينها تنطلق المبادرة من الجماهير على وفق معادلة العرض – الاختيار – مقدار التضحية .

يبقى العنف ، القسر ، الإرهاب ، مداخل يوتوبيا الخراب . وبهذا قال هراقليطس :– الحرب هي أم الأشياء كلها . وهذه الرؤية لإنسان فجر التاريخ مازال تحتفظ بالكثير من ذات البريق بل أخذت أبعادا أكثر تكاد تصل إلى البنوة والأبوة للكثير من الأشياء . وهنا أورد : – إن ٣٤٠٠ عام من التاريخ المدون للمجتمع الإنساني خضعت لدراسة كشفت أن هذا التاريخ مدمى

بـالمعنى الحقيقـي للكلمـة . حيث إن ٣١٦٦ كانـت مـدار الحـروب والقتـل والتشريد ، في المقابل بقيت ٢٣٤ عاما توقف فيها التاريخ عن سرد أحداث قصة الدم .

إن التـاريخ الإنسـاني المشـوه بفعـل إرادي يبـدو التشـويه فيـه كأنـه الأصل ، وذلك بفعل قوى التناقض في الإنسان ، وهو الواقع الذي ينحل عن حرب أو يؤسس لحرب، وهكذا يسير ولن يعرف نقطة للتوقف بل نشاهده في تسارع عنيف في دوامات التدوير .

وهكذا يبدو العنف ليس عملا سياسيا فحسب بل أداة سياسية تعبر عن الواقع الاجتماعي وتفسر علاقات الاجتماع ، إنه يعبر عن أزمة فطرية في منطق الاجتماع البشري ، فهو ظاهريا استمرار للعلاقات بوسائل أخرى ، لكنه في الأصل صورة عن الاجتماع البشري كله ، وبذلك يكون العنف هو الآليـة (الميكـانيزم Mechanism) الأقوى فـي منظومـة العامل الاجتمـاعي محرك التاريخ.

إن فهم العلاقات التاريخية بين الداخل الغربي والعالم الخارجي ، هو المصوغ الذي لابد أن يصار من خلاله لفهم يوتوبيا الخراب السائدة التي توقف المستقبل عند حدها ، فالعلاقات بين الداخل والخارج قامت على أساس سلسلة طويلة من العنف ، العنف العسكري ، عنف الهيمنة الاقتصادية ، وعنف الهيمنة الثقافية ، فقامت تلك العلاقات على خلفية سلسلة من حروب الغزو التي شنها الغرب على جهات العالم الأربع ، منذ نهاية القرن الخامس عشر حتى اكتمل له البناء الأساسي في البنية التحتية للتمكن من صياغة التحولات الكبرى ، فالحقبة الممتدة من نهاية القرن التاسع عشر وإلى نهايات

القرن العشرين ، هي الحقبة الوحيدة التي بدأ الداخل الغربي من خلالها في نمو داخلي بشكل مكثف من خلال الأسواق والتبادل الحر والتكديس والتراكم الداخلي المستمر ، في الوقت الذي لم تنقطع فيه علاقات الاستعباد والهيمنة بين الداخل والخارج .

من خلال هذه الصياغة استطاعت يوتوبيا العنف أن توفر معطيات إنتاج المستقبل الغربي وأسبابه في سرقة المستقبل من أجيال شعوب العالم في جهاته الأربع، وهذه الصياغة التي تطرح ليبرالية في ظل عجز نهايات القرن العشرين وبدايات القرن الواحد والعشرين ، عن إفراز وعي يدرك خرائبية النموذج تكاد تسقى للشعوب كقدر أفلس في إحدى (بورصات) رأس المال الغربي .

الليبرالية الديمقراطية :

من مستنقع التاريخ الى اللاتاريخ :

بعد انتصار الحلفاء على الفاشية في الحرب العالمية الثانية ، وبعد انتصار الغرب على الشرق في الحرب الباردة ، يكون التاريخ قد بلغ نهايته ، لأنه بلغ غايته ، وغاية التاريخ كما حددها فوكوياما ، تحقيق المساواة والحرية للإنسان اللتين لم تتحققا إلاّ في نظام الديمقراطية الليبرالية السائد في الولايات المتحدة الأمريكية وبقية بلدان أوربا الغربية . وبذلك ، يستوجب علينا أن نشكر فوكوياما لأنه أثار انتباهنا إلى الدور العظيم للتصورات الفكرية عن مجرى التاريخ الاجتماعي العالمي . ففي كتابه هذا كانت أهم فكرة حاول البرهان عليها هي (إننا كنظم ليبرالية ديمقراطية حرة) قد خرجنا أخيرا من

مستنقع التاريخ إلى اللاتاريخ ، أي إلى طريق خالية من التناقضات والنزاعات الأساسية في المجتمع ، وإن الليبرالية الديمقراطية هي الإحساس الفكري والنموذج العقائدي الوحيد الذي انتصر على العقائد الأخرى . فالعالم حسب تصوراته يتحرك الآن باتجاه الأنسنة.

للوهلة الأولى ، عندما يرى المرء عنوان كتاب فوكوياما معروضا ، يتبادر إلى ذهنه أجواء الأساطير والخرافات أو كوارث طبيعية ما ، أو حتى كوارث سياسية ، كحرب نووية تلوح في الأفق تهدد البشرية بالدمار والفناء ولكنه عندما يشرع بتصفح هذا الكتاب ، يكتشف أن فوكوياما جاد جدا بـ (نهاية التاريخ) ولكن بآلية مختلفة عما هو عليه في تصورات من يلحظ العنوان أولَ وهلة .

وعند قراءتنا هذا الكتاب نستنتج أن فوكوياما يحاول تفسير أفكار الكثيرين من الفلاسفة والمفكرين العظام لتسويقها في خدمة ووجهتها نظره هذه (نهاية التاريخ) ، وله كل الحق في ذلك ، لكننا نختلف كل الاختلاف في هذا التفسير لأنه قدم لنا جهدا عقائديا أكثر منه جهدا معرفيا ، هادفا من ذلك إثبات أن الليبرالية الأمريكية بشكل أساسي هي قمة العطاء الإنساني .

نعم ، يمكن الحديث عن الديمقراطية والحرية الليبرالية على المستوى النظري ، ومدى حاجة البشرية لها ، ولكن الهدف السياسي عند فوكوياما قد اعتلى المنصة وكان حافزا لإعلانه نهاية التاريخ . فبغض النظر عن أن الكتاب موثق بشكل علمي إلاّ أن الرغبة الجامحة والعصبوية الصارخة وتسييس الفكر الفلسفي ، أضفى على الكتاب حالة احتضار للحقيقة التي يطرحها صاحبها.

ويؤكد فوكوياما :- إن العالم يسير بمجمله صوب الديمقراطية الليبرالية ، وإن كانت المسيرة ستتعثر هنا أو هناك ، وإن كانت ستتراجع في بعض الأحيان ، وإن كان العالم سيشهد إلى فترة طويلة ، عالم التاريخ (الدول التي لم تصل إلى الديمقراطية الليبرالية بعد) يعيش جنبا إلى جنب مع عالم ما بعد التاريخ (الدول التي حققت الديمقراطية الليبرالية) . أما السبب الذي سيقود العالم في هذا الاتجاه ، فهو قدرة العلوم الطبيعية على التطور باستمرار ، محققة ازدهارا اقتصاديا وارتفاعا في مستوى التعليم وبالتالي مزيدا من المساواة والحرية .

إن فوكوياما يريد أن يصل ، إلى أنه بينما شابت أشكال الحكم السابقة عيوب خطيرة وانتهاكات للعقل أدت في النهاية إلى سقوطها ، فإن الديمقراطية الليبرالية قد يمكن القول :- بأنها خالية من تلك التناقضات الأساسية الداخلية وليس معنى ذلك القول بأن الديمقراطيات الراسخة المعروفة في زمننا هذا كالولايات المتحدة أو فرنسا أو سويسرا ، لاتعرف الظلم أو المشكلات الاجتماعية الخطيرة . غير أن هذه المشكلات هي في ظن فوكوياما ، وليدة قصور في تطبيق المبدأين التوأم (الحرية والمساواة) اللذين قامت الديمقراطية الحديثة على أساسهما ولاتتصل بعيوب في المبدأين نفسيهما. فقد تخفق بعض دول عالمنا اليوم في تحقيق ديمقراطية ليبرالية مستقرة وقد يرتد بعضها إلى أشكال أخرى للحكم أكثر بدائية ، كالحكومة الدينية أو الدكتاتورية العسكرية . إلاّ إنه من غير المستطاع أن نجد ما هو أفضل من الديمقراطية الليبرالية مثلا أعلى.

أما لماذا يسير العالم باتجاه الديمقراطية الليبرالية بالذات ، فذلك لأنها وحدها التي تجمع معا ما تطلع إليه الإنسان من مساواة ومشاركة في الحكم عبر المؤسسات التشريعية والتنفيذية والقضائية الديمقراطية ، ومن حرية وتمتع بالحقوق الليبرالية .

غير إن فوكوياما يضيف :- لقد حققت بعض الدول الاستبدادية مستويات مرتفعة من التقدم العلمي والاقتصادي والتعليمي ، ومع ذلك لم تكن ديمقراطية ولاليبرالية . كما إن بعض الدول كانت في مرحلة من مراحل تاريخها (بريطانيا القرن السادس عشر) ليبرالية ولم تكن ديمقراطية . وعليه يؤكد:- ثمة عامل إضافي أساسي ، إذن ، يقف وراء وصول الدول إلى الديمقراطية الليبرالية ، ولايمكن بدونه الوصول إليها ، ويسمى ذلك العامل بـ (الرغبة بنيل الاعتراف) أو حسب اللغة الإغريقية (ثيموس Thymos)*.

وحتى يكون بإمكاننا فهم فوكوياما بشكل أفضل ، يصبح من المهم المضي قدما وقراءة المزيد من التفاصيل التي يشرح بها فوكوياما مضمون الـ "ثيموس" ومعانيها المختلفة.

ففي المبحث المعنون – الصراع من أجل نيل الاعتراف والتقدير – ثم في ما تلا ذلك المبحث من مباحث، يفصل فوكوياما ما مفهومه للـ "ثيموس" ويبين أنواعها، فيحدد الايجابي والسلبي من أوجهها ، ويوضح كيف أنها العامل الأساسي لوصول الدولة الرأسمالية إلى غايتها الديمقراطية الليبرالية ، وكيف أنها عندما غابت أو قمعت في الدول الاستبدادية الشمولية أدى غيابها إلى سقوط تلك الدول . ثم يناقش الحجج التي يطلقها منتقدو الـ "ثيموس" باعتبارها محركا للتاريخ من اليسار واليمين، من اشتراكيين

أو ديمقراطيين مغالين أو ليبراليين مغالين .. إلى أن يؤكد ، أن الدولة الرأسمالية الديمقراطية الليبرالية هي الدولة التي تحقق ملكوت الحرية والمساواة على الأرض .

يقول فوكوياما:- (ثمة جانب مظلم للرغبة في نيل الاعتراف جعل فلاسفة كثيرين يرون في الثيموس المصدر الأساسي للشر بين البشر) . (فوجود بعد أخلاقي للشخصية الإنسانية يقوم دائما بمهمة تقييم الذات وتقييم الآخرين ، لايعني توافر الاتفاق على مضمون موضوعي للأخلاق وبالتالي فإن الثيموس في أبسط مظاهرها هي نقطة البداية في النزاعات بين البشر).

كذلك (فإنه ليس هناك ما يضمن أن يظل تقييم الفرد لنفسه داخل حدود هذه الذات الأخلاقية ، كما إن الفرد قد يطالب بالاعتراف بقيمته المعنوية فإنه قد يطالب أيضا الآخرين بالاعتراف بثرائه أو بقوته أو بجماله) والأهم من ذلك إنه (ما من سبب يدفع إلى الاعتقاد بأن كل الناس سيقيمون أنفسهم باعتبارهم متساوين مع غيرهم بل قد يسعون إلى نيل الاعتراف بأنهم أرقى من غيرهم نتيجة زهو وتقييم مبالغ فيهما للنفس . وسنطلق من الآن فصاعدا على الرغبة في نيل الاعتراف بالتفوق على الآخرين كلمة جديدة لها أصل إغريقي ، هي ميجالوثيميا . أما عكسها فهي ايسوثيميا أو التعادلية ، وهي رغبة الإنسان في أن يُعترف به مساويا للآخرين) .

ويؤكد فوكوياما:- إن الميجالوثيميا هي مصدر كلّ الحروب سواء أكان الأسياد الذين يشعرون بالتفوق زعماء متعصبين أو زعماء عنصريين أو غيرهم . وعليه – حسب فوكوياما – فإن الرغبة بنيل الاعتراف المتكافئ والرغبة بنيل الاعتراف بالتفوق ، ظلتا متصارعتين في مختلف المجتمعات ،

وستظلا كذلك في ظل الديمقراطية الليبرالية . والسؤال هو:- كيف استطاعت ، وكيف تستطيع ، هذه الديمقراطية أن توفق بين هاتين الرغبتين المتصارعتين ؟

يفرد فوكوياما في كتابه مبحثا خاصا للإجابة عن هذا السؤال . وما يهمنا من كل هذا المبحث ، قول فوكوياما:- إنه عندما تقوم الدولة الديمقراطية الليبرالية بالتوفيق بين الايسوثيميا والميجالوثيميا ، مهما تعددت أشكال هذه الميجالوثيميا – السيادة ، القومية ، الاستبداد ، الفاشية ، الشيوعية ... – فإن ملكوت الحرية على الأرض يكون قد تحقق.

ويؤكد فوكوياما:- إن أشكالا من الميجالوثيميا ستظل موجودة في الديمقراطية الليبرالية (التفوق العلمي ، التفوق الرياضي ...) ولكنها أشكال غير مدمرة ، عكس ما يمكن أن يحدث من أشكال ضارة (التطرف في الدفاع عن البيئة أو الدفاع عن الحيوان ...).

والنتيجة التي يخلص إليها فوكوياما هي :- إن خاتم البشر ، ذاك الذي سيعيش في ظل نظام الديمقراطية الليبرالية ، وفي ظل التوافق بين المساواة والحرية ، وفي ظل رخاء اقتصادي ورفاهية ، سيكون إنسانا سعيدا ، عكس ما يظن نيتشه من أنه سيكون إنسانا خاويا ، إذ يستطيع الإنسان أن يتغلب دائما على الخواء بفتح آفاق جديدة في العالم والتقدم ، فينتقل بذلك من عالم الضرورة الذي قال ماركس عنه إنه يطبع عالم ما قبل التاريخ إلى ملكوت الحرية الذي قال عنه ماركس أيضا ، إنه سيصبح عالم ما بعد التاريخ . والفرق واضح بين فوكوياما وماركس . فالأول يقول – إنه عالم ما بعد التاريخ هو عالم الديمقراطية الليبرالية وليس عالم الشيوعية التي انهارت.

أن طرح فوكوياما هذا حول مسألة نهاية التاريخ والمخلوق الذي يولد في النهاية ، أي الانسان الأخير ، جعل الكثير يعتقد بأن أمكانية نهاية التاريخ تدور في الواقع حول السؤال الآتي :- هل يوجد بشكل ملموس في العالم الراهن بدائل للديمقراطية الليبرالية قابلة للحياة ؟

وأحتدم الجدل أيضا حول مسائل أخرى :- هل أنتهت الشيوعية فعلا؟ هل بأمكان الدين أو القومية المتطرفة العودة بشكل قوي ؟

ولكن السؤال الأكثر جدية والأكثر عمقا يتعلق بصلاح الديمقراطية الليبرالية بحد ذاتها وليس بمعرفة اذا ما كانت ستنجح أم لا في الانتصار على خصومها الحاليين . ولو أفترضنا ان الديمقراطية الليبرالية هي حاليا بمنأى عن الأعداء الخارجين ، فهل بأمكاننا تأكيد ان المجتمعات الديمقراطية الناجحة تستطيع أن تبقى كذلك الى ما نهاية ؟ أم بالاحرى هل أن الديمقراطية الليبرالية هي فريسة تناقضات داخلية ، تناقضات هي من الخطورة بحيث أنها ستنتهي بهدم النظام السياسي الذي تشكله ؟

من المؤكد ان الديمقراطيات المعاصرة تواجه كثيرا من المشاكل الحساسة بَدْءً من المخدرات والتشرد والجريمة وصولا الى الأضرار المسببة للبيئة والى عبث الاستهلاك ، ولكن كما يبدو ، فأن المشاكل ليست بلا حل بحسب قاعدة مبادئ الليبرالية ، وهي ليست من الخطورة بحيث أنها ستؤدي لا محالة الى أنهيار المجتمع بمجمله كما شهدنا الشيوعية تنهار في نهاية الثمانينيات .

أن تاريخ الديمقراطية وأصالتها حسب فوكوياما مقطوعة الجذور لم تجد في العالم قبل العام ١٧٧٦ ، تاريخ اعلان استقلال الولايات المتحدة . فديمقراطية اثينا في عهد بريلكيس لا يمكن اعتبارها ديمقراطية لأنها لم تكن تُحمى بانتظام الأفراد بل أن هذه الديمقراطية الاثينية تمكنت من إعدام أشهر مواطنيها سقراط لأنه مارس بحرية حقه وافسد الشبيبة بحسب تعابير قرار الاتهام.

الديمقراطية الليبرالية عند فوكوياما مع الولايات المتحدة الأمريكية وهو يفاجئنا بأفكاره للجذور الاوروبية للديمقراطية الغربية فيتنكر للماغناكارتا ، الوثيقة الكبرى التي وقعها عام ١٢١٥ ، الملك جون بضغط من طبقة النبلاء ، والتي شكلت نقطة الأنطلاق نحو قيام النظام الدستوري والذي أدى عام ١٢٦٥ ، الى تشكيل أقدم برلمان في العالم في بريطانيا ، وهذا كان طبعا ليس قبل استقلال الولايات المتحدة الأمريكية بل حتى قبل اكتشاف أمريكا بأكثر من مائتي سنة . وهو بهذا الادعاء يريد أن يعلن أن الديمقراطية الأمريكية هي أول ديمقراطية حقيقية عرفها التاريخ ، وهو أدعاء يفتقد الى الموضوعية .

ويتساءل فوكوياما :- لماذا لا تتبنى أغلب البلدان الديمقراطية الليبرالية طالما هي شكل الحكم الأكثر عقلانية ؟

يجيب فوكوياما عن هذا السؤال معتبرا الثقافة يمكن أن تشكل عائقا أمام الدمقرطة. والانتقال الى الديمقراطية والعوامل الثقافية المعوقة يراها تتمثل بـ :-

درجة قوة الانتماء الاثني. فمع ان الرغبة في الاستقلال والسيادة القومية يمكن ان تكون محرضا لعملية الدمقرطة الا انه يعتقد ان الديمقراطية لن تظهر في البلاد التي تكون فيها القومية أو الانتماء الاثني لمجموعاتها الدستورية نامية جدا الى درجة لا تسمح لهذه المجموعات ان تقتسم مفهوما موحدا للامة أو ان تتبادل الاعتراف بحقوق بعضها بعضا.

الدين ، يعتبره عائقا أمام الديمقراطية موضحا انه لا يوجد صراع دستوري بين الدين والديمقراطية الليبرالية الا عندما يكف الدين عن كونه متسامحا وعادلا . ويستشهد بـ هيغل الذي يعتقد ان المسيحية مهدت الطريق امام الثورة الفرنسية برفعها شعار لمساواة أو بـ ماكس فيبر معتبرا البروتستانتية وحركة الاصلاح الديني كانتا وراء نشأة الرأسمالية وحركة العلمنة وان معظم الديمقراطيات الحالية هي كاثوليكية ، ويتابع فيقول ان البوذية والشنتوية اقتصرتا على المجال التعبدي ، أما الاسلام فهو دين كلي شمولي كاليهودية ، يريد فرض قواعد على محل مظاهر الحياة الانسانية العامة والخاصة بما في ذلك مجال السياسة.

البنية الاجتماعية ، حيث يشكل الوجود المسبق لبنية اجتماعية غير عادلة أصلا عقبة أمام ظهور ديمقراطية مستقرة. فقوة واستقرار الديمقراطية في أمريكا يرجعان الى العادات الثقافية المهيمنة التي انتقلت الى أمريكا

الشمالية من أنكلترا وهولندا الليبراليتين ، في حين حظيت دول أمريكا اللاتينية بموروث اسباني أو برتغالي استبدادي.

قدرة الجماعة على خلق مجتمع مدني سليم ، وهنا تظهر قدرات الشعوب على تطبيق ما يسميه توكفيل – فن التجمع – بعيدا عن كل تدخل الدولة ، حيث يعتبر ان افضل شكل للديمقراطية يتبدى اذا ما بدأت من الأسفل الى الأعلى وليس العكس . فالحكومة المركزية تظهر في هذه الحالة كناتج طبيعي للسلطات الحاكمة المحلية المتعددة ، وللجمعيات الخاصة التي تستعمل كمختبرات ومدارس للتعلم وممارسة الحرية والتحكم بالذات .

تشكل هذه العوامل مجتمعة ثقافة شعب ، واختلاف ثقافات الشعوب يفسر اختلاف موقفها من الديمقراطية ، ويفسر مدى قابلية هذه الشعوب للدمقرطة . وبالتالي تصبح بعض الشعوب على وفق هذا التحليل عاجزة عن ان تتحول نحو الديمقراطية لأسباب ثقافية عميقة ، وفي هذا شبهة التقسيم العنصري الجديد واضحة الدلالة .

الأخطر من هذا ، ان فوكوياما يبدو مطمئنا لخلاصة تحدث عن الصفة اللاعدوانية للمجتمعات الليبرالية ، وهو تحليل يلصق هذه الصفة ويلحقها بالدول غير الليبرالية وهو بلاشك تحليل غير نزيه عدا عن أنه مناف للحقيقة. فاذا كانت النزاعات بين الدول الليبرالية غير متفاقمة في النصف الثاني من القرن العشرين فان هذه الدول ومنذ بداية القرن التاسع عشر تسببت وخاضت أبشع أنواع الحروب وأقسامها التي نتج عنها مقتل ما يزيد عن مائة مليون انسان عدا ارتباطها بظاهرة الاستعمار والتمييز العنصري .

المنافسة العقائدية :

أن اطروحة نهاية التاريخ التي قدمها فوكوياما والتي اثارت عاصفة من السجالات تنطلق من أن المعالجة في مجال العقيدة والوعي لا تكمن في الأفكار التي يحملها الناس في أي مكان بل تكمن في ما يمكن اعتباره ارثا عقائديا للبشرية . وهو ما يتمثل بالضبط في الافكار الليبرالية في القرن العشرين . لقد واجهت الليبرالية الفاشية والنازية واسقطتهما وواجهت الشيوعية فهزمتها ، وهذه المنافسات اصبحت في حكم الموتى ، وهو يتساءل :- بعد ذلك هل بقي هناك منافسون عقائديون ؟

يقرر جوابا عن هذا السؤال :- ان الديمقراطية الليبرالية تشكل فعلا منتهى التطور العقائدي للانسانية ، والشكل النهائي لأي حكم انساني بعد انهيار الاتحاد السوفياتي ، ما يعني نهاية التاريخ وتحقق الانتصار الشامل للنموذج الحضاري الغربي كخيار وحيد لمستقبل الانسانية . ففي نهاية التاريخ لا يبقى منافس حقيقي للديمقراطية الليبرالية ولكن مع ذلك هناك امكانيتان حسب فوكوياما تتمثلان بالدين والقومية .

فعلى المستوى الديني لم يظهر في العالم الحديث الا الاسلام كنظام عقائدي متماسك شأن الليبرالية والماركسية ، له نظامه الاخلاقي الخاص ، وعقيدته الخاصة في العدالة السياسية والاجتماعية . وهو يعترف بأن الاسلام هزم الديمقراطية الليبرالية في اجزاء متعددة من العالم الاسلامي ، وهو لا يزال يشكل تهديدا كبيرا للممارسات الليبرالية حتى في البلدان التي لم يستطيع استلام السلطة فيها مباشرة.

ويخلص الى ان المسلمين لن يتمكنوا في المدى المنظور من منافسة الديمقراطية الليبرالية في عقر دارها في مجال الأفكار ، لكنهم قد يفعلون ذلك في بلادهم . ومع ذلك يبدو مطمئنا الى ان المستقبل حتى في البلاد الاسلامية هو للأفكار الليبرالية التي تتمتع بجاذبية مميزة وسط قطاعات واسعة من المسلمين ولاسيما في المئة والخمسين سنة الماضية .

ان السياق المنطقي لأطروحة نهاية التاريخ يؤول الى انتفاء أسباب الصدام بين الدول والشعوب كمحصلة طبيعية لسيادة شكل الحكم الأكثر عقلانية بلا منافس عقائدي حقيقي . على إن فوكوياما ينعطف عن هذا السياق المنطقي بشكل مفاجئ مقررا ان العالم في المستقبل سينقسم الى جزء ما بعد تاريخي يضم الدول الديمقراطية وجزء آخر يظل دائما في التاريخ ودورته المفتوحة ويشمل الدول غير الديمقراطية الا اذا انتقلت الى جنتها ، عندها فقط ترقى الى الجزء ما بعد التاريخي ، فالخط الفاصل بين العالم بعد التاريخي والعالم التاريخي يتغير بسرعة.

في العالم الأول سينتهي الصراع لمصلحة التفاعل الاقتصادي بين دولة وستفقد سياسة القوة أهميتها. وبالتالي فان الحروب والأخطاء العسكرية ستنتهي بين ظهرانيه ، في حين يبقى العالم المنخرط في التاريخ مواصلا لأنقساماته ونزاعاته وصراعاته العقائدية والقومية والدينية نظرا الى توفر أسبابها . وبالتالي فالخلاص والنجاة للأمم والشعوب هو بالالتحاق بركب الديمقراطية الليبرالية. أما العلاقات بين العالمين فسوف توفر لها محاور عديدة يتصادمان فيها وستظل مشحونة بالحذر والخوف المتبادلين بحيث تبقى الكلمة الفصل للقوة ، وتظل بالتالي الامبريالية بما هي هيمنة على

مجتمع آخر بالقوة والحرب أحدى الثوابت في الدول التاريخية وسيلة تحقق بها الغريزة الثيموسية التي هي المحرك الأساسي لنشوب الحروب والصدامات بين البشر.

البديل العقائدي :

لقد تحقق شبه إجماع كوني على اعتبار الديمقراطية الليبرالية النموذج الأسمى للنظام السياسي واكتمال حركية التاريخ تتجسد في الدولة الليبرالية الحديثة . وحتى لو لم ينجح النظام الليبرالي على المستوى الواقعي في عدة مناطق ، إلا انه أصبح النظام السياسي الأكثر شرعية ولا يوجد مشروع أو بديل عقائدي او سياسي له الإمكانيات الكافية لتحديه ، فقد أصبح الأفق الأسمى الذي يتطلع إليه البشر والذي سينتهي إليه كل نظام اجتماعي كيفما كانت طبيعته وولاءاته العقائدية والقيمية ، فمن بين مختلف الأنظمة السياسية التي ظهرت عبر التاريخ الإنساني من الملكيات إلى الارستقراطيات وحتى الأنظمة الثيوقراطية والفاشية والشيوعية ، يبقى الشكل الوحيد للحكم الذي حافظ على اكتماله وصدقيته حتى نهاية القرن العشرين هو النظام الديمقراطي الليبرالي .

لكن ، لماذا سيصبح النظام الليبرالي هو الأساس للانخراط في التاريخ الكوني وتحقيق الدولة العالمية الليبرالية ؟

يعتقد فوكوياما مقتفيا خطوات كانط ، هيغل ، ماركس ، بوجود تاريخ كوني موحد للإنسانية يختزن تجارب كل الأزمنة والشعوب ، وهذا التاريخ

يتجسد اكتماله حين يتحرر من التناقضات والصراعات وتحقق الإنسانية شكلا مجتمعيا يستجيب لرغباتها الأساسية .

ويرى فوكوياما ان التناقضات الجوهرية في المجتمعات الغربية الحديثة قد انتهت فلم تعد هناك مشكلات أساسية لم تجد لها حلا داخل المنظومة الليبرالية الحديثة وهذا ما يعد بقدوم عصر الدولة العالمية المنسجمة والتي يعتبر الاتحاد الأوروبي نواتها الأولى .

إن الدولة العالمية الليبرالية لن تعرف تناقضات كبرى ورغبات الإنسان سوف تعرف الإشباع الكلي ، لذلك ، لن يكون هناك صراعات حول قضايا جوهرية أو أسئلة كبرى تهم مستقبل البشرية . فلن يحدث في عصر نهاية التاريخ أي تطور نوعي في ما يخص المبادئ والمؤسسات والقيم الأساسية المتحكمة في المجتمعات الليبرالية ولن تكون هناك حاجة إلى رجال السياسة والعسكر بل إلى موظفين إداريين وفنيين (وتكنوقراط) لتدبر النشاط الاقتصادي . ولن يصنع الإنسان التاريخ في هذا العصر حيث سيفقد كل روح ثورية للتفاعل مع التاريخ لتغييره وتطويره و سيقنع بالحفاظ على الوضع القائم ، واستمرار بعض المشكلات كالقوميات والأصوليات الدينية والأنظمة الاستبدادية . في الوقت الحاضر يرجع إلى أن مجموعة من المجتمعات ما زالت تحاول بكل جهدها للالتحاق بالمجتمعات التي دخلت مرحلة مابعد التاريخ .

لكن ، ألا يوجد بدائل عقائدية وفكرية بإمكانها تحدي النظام الليبرالي ؟

يرى فوكوياما انه بعد انتصار الليبرالية على منافستيها الأساسيتين الفاشية والشيوعية لم تعد هناك تحديات حقيقية كفيلة بمنافسة النظام الليبرالي ويعتبر إن الأصوليات الدينية والتيارات القومية تحديات ثانوية قد يخلقان بعض المشاكل لكنهما يفتقدان العالمية والشمولية .

ويركز فوكوياما كثيرا على الإسلام حيث تعتبر الدول الإسلامية مجموعات تعيش خارج التاريخ الحديث وليس في العالم المعاصر غير الإسلام يطرح النظام الثيوقراطي بديلا للنظام الليبرالي . وعلى الرغم من كون الإسلام يشكل نظاما عقائديا منظما له منظومته الأخلاقية ونسقه الاجتماعي والسياسي الخاص ودعوته دعوة عالمية تخاطب كل الناس متجاوزة كل الحدود الاثنية والوطنية وعلى الرغم من انه انتصر على الديمقراطية الليبرالية في عدة مناطق من العالم الإسلامي إلا انه حسب فوكوياما لا يمتلك جاذبية وقبولا كبيرا خارج العالم الإسلامي ، وعلى المدى البعيد سيكون العالم الإسلامي أكثر قبولا للأفكار الليبرالية ، ولهذا يحاول الأصوليون الإسلاميون التنديد بالنفوذ المتزايد للقيم الغربية في المجتمعات الإسلامية .

وعلى اثر ذلك ازداد تأثير فوكوياما في اعتبار الإسلام المنظومة الثقافية الوحيدة التي تعادي الحداثة والقيم الليبرالية يقول في هذا الإطار : يبدو انه يوجد في الإسلام أو في الأقل في الإسلام الأصولي شيء ما يجعل المجتمعات الإسلامية معادية للحداثة من بين جميع الأنظمة الثقافية المعاصرة يحتوي العالم الإسلامي اقل عدد من الديمقراطية ولا يحتوي على

أية امة استطاعت الانتقال من وضع الدول الخائبة إلى الدول المتقدمة . ربما فوكوياما ليست له لا الرغبة ولا المصلحة في البحث الدقيق والكشف عن الأسباب الحقيقية التي تجعل العالم الإسلامي لا ينجح في التحديث الحقيقي كما إن هناك تخوفا من المسلمين على اعتبار إنهم من بين الشعوب الأكثر رفضا للآثار السلبية للقيم الليبرالية الغربية ، وهذا لا يعني رفضا للحداثة والتحديث بل السعي إلى التحديث بدون السقوط في التغريب المفرط .

العقيدة والتاريخ :

إن العقيدة والتاريخ يقف كل منهما إزاء الآخر بجدارة ، فان العقيدة هي التي تعالج أحداث التاريخ وتصنفها ضمن مقولاتها ، حتى كادت تكون التاريخ نفسه . كما إن التاريخ هو سرد وتفصيل لمحتويات الايديولوجيا حتى كاد يكون العقيدة نفسها .

من هنا كان السجال ومن بعده الرهان ، مابين التاريخ وعقائده والعقيدة ، وأحداث تاريخها، ومابين هذا وذاك ولدت مقولة نهاية التاريخ ذات الولادات المتعددة كيفما اقتضى أمر العلاقة بين التاريخ والعقيدة .

إن العصر هو الذي يحدد المبدأ ، كما ان المبدأ هو الذي يسير العصر، فان المبدأ الذي يسود يحدده جيل أدرك العصر السالف، من ثم فان صفحات التاريخ ليست مرتبة بتلك العناية التي يتوهمها مصنفو نهايات التاريخ ونظرياتهم المغرقة في التنظير التي يقيدون بها الفعل الإنساني بذلك التحقيب ألقسري الذي يجعله ينمي بداهة إلى فكرة أو مقولة ما أو مجموعة

من الأفكار والمقولات معا . فكأنما التاريخ هو الذي يصنع البشر ويلغي ذواتهم ليحل محلها وعي غير منظور .

إن اكتشاف التاريخ وحده الذي جعلنا على بينة من ان النشاط الإنساني وليد الإرادة الحرة، فنحن الذين اكتشفنا في التاريخ الفترات البدائية فيه وتلك التي تتصف بالظلامية والتي تتسم بالعظمة والتي انتابها الانهيار، إنها أي مقولة بداية التاريخ أو نهايته ، إن كان هناك ثمة مقولة حقيقية كهذه هي مقولة إنسانية ومحاولة لفهم التاريخ الذي لم يوجد حتما قبل الإنسان بل تزامن وجوده مع وجود الوعي الإنساني به .

لهذا إن جاز الحديث عن نهاية التاريخ فهي مجرد تعبير مجازي عن تحقيبية مقولاتية للوعي البشري لمرحلة ما بعد مراحل التاريخ التي ستتلوها بداهة مرحلة أخرى . إنها جدلية الوعي التاريخي لا تاريخ الوعي ، فالأول يمكن تحديده ووضع خطوط عريضة لعمله ، إذ انه نظرة إلى التاريخ من داخل التاريخ ، أما تاريخ الوعي فتتجاذبه عدة عوامل يصعب معها بيان انتمائه إلى فترة دون أخرى أو مرحلة دون الأخرى ، الأمر الذي يسهل معه إضفاء صفة الإطلاق والثبات عليه . كذلك الأمر مع العقيدة ، وهي مطلقة ومتعصبة مثل الأديان ، إذ انها حاوية بنية مماثلة ومنتمية إلى الصنف الثقافي إلى الذهنية قبل العملية .

إنها عقيدة الوعي التي لا تقل عصيانا عن تاريخ الوعي في الانتماء إلى مرحلة أو فترة ،بينما الوعي العقائدي الذي يحاكي الوعي التاريخي يسهل أمر تحقيقه وتوظيفه ومثله أيضا كان الرحم الذي افرز مقولة نهاية التاريخ أي التاريخ حينما يتجاهل نفسه .

المطب الطوباوي (يوتوبيا / المنزلق الخيالي) :

في سياق هذه التأويلات الفوكويامية ، نرى أن أي فكرة خيالية بإمكانها أن تحدد النهاية ، وفوكوياما يقع في منزلق الخيالي نفسه ، إذ يعلن أن أفكار ماركس الخيالية قد أعلنت نهاية التاريخ في المرحلة الشيوعية ، وأن هيغل قد آمن بأن (التاريخ يصل ذروته في لحظة مطلقة ، أي اللحظة التي ينتصر فيها الشكل العقلاني النهائي للمجتمع والدولة).

وفوكوياما يضع نفسه جنبا إلى جنب مع أولئك الفلاسفة معلنا بأن نهاية التاريخ قد دُشنت بانتصار الليبرالية الديمقراطية الأمريكية.

أن أطروحة نهاية التاريخ ليست جديدة تماما ، فهي موضوع بحث اساسي في الفكر الغربي الحديث منذ عصر النهضة ، فاليوتوبيا جذبت الأهتمام منذ ترماكبانيلا (١٥٦٨-١٦٣٩) وفرانسيس بيكون (١٥٦١-١٦٢٦) ، الى هيغل والعقل المطلق / الروح الذي لا ينظر الى الواقع الا من منظور نهاية التاريخ حين يتجسد العقل الكلي ويتحقق القانون العام في التاريخ وتلغي ثنائية الفكر والمادة ، حين يشبع المجتمع الاحتياجات الأساسية للبشر في المجتمع الليبرالي ، ثم مع كارل ماركس حيث لا يتوقف التاريخ الا في الطور الشيوعي.

هذه الأطروحات كلها أصيبت بلوثة الرغبة في وضع الحلول العلمية الطبيعية النهائية لكل المشاكل ، وبالتالي تأسيس الفردوس الارضي وأنهاء التاريخ ، وهي في الخلاصة لا تختلف عن يوتوبيا تقنية المعرفة وعالمها

المفترض المبشرة بانتهاء التاريخ الانساني بكل ما فيه من ديناميه وصراع ، كي يبدأ التاريخ الطبيعي بكل ما فيه من نمطية وتكرار.

أن فكرة نهاية التاريخ ارتبطت كما هو معروف باثنين من كبار المفكرين الألمان أكبر الارتباط ، وهما كل من هيغل وماركس . فقد اعتقد هيغل أن تاريخ البشرية ما هو إلاّ صراع بين العقل والحرية من جانب والقوى المناوئة للعقل والحرية من جانب آخر ، وأن الانتصار في النهاية سيكون من نصيب العقل والحرية ، وعندما يتم هذا الانتصار يكون التاريخ قد تحقق تماما وبتحققه هذا تكون نهايته .

أما ماركس وكان من تلامذة هيغل ، فقد آمن بفكرة هيغل نفسها ، ولكنه رأى أن نهاية التاريخ ستتحقق بتحقق المرحلة الشيوعية التي بها ينتهي الصراع بين الطبقات والأمم حيث يعم السلام والرخاء المطلق كما تتحقق الحرية للجميع .

ولاشك في إن فكرة كل من هيغل وماركس عن نهاية التاريخ تتضمن فيما تتضمن ملمحا رئيسا ، وهو المسافة الزمنية الكبيرة التي ستتحقق في نهايتها نهاية التاريخ هذه ، بغض النظر عما إذا كان هذا الملمح يعني خيالية هذه الفكرة أساسا أم عدم خياليتها .

فـ هيغل وماركس يعتقدان ان تطور المجتمعات البشرية ليست بلا نهاية ، ولكنه قد يكتمل عندما تجد البشرية الشكل الاجتماعي الذي يشبع حاجاتها الأكثر عمقا والأكثر أساسية ، وهكذا يكون المفكران قد وضعا نهاية للتاريخ .

فبالنسبة لـ هيغل تتجلى تلك النهاية في الدولة الليبرالية ، أما بالنسبة لـ ماركس ففي المجتمع الشيوعي. هذا لا يعني ان الدورة الطبيعية للولادة والحياة والموت سوف تتوقف وإن أحداثا مهمة لن تحصل أو ان الصحف التي تتحدث عنها سوف تتوقف عن الصدور. ولكن ذلك لا يعني انه لن يكون هناك امكانية التقدم في تطور المؤسسات الرئيسة والمبادئ المتعلقة بها ، لأن كل المسائل الكبرى سيكون حلها قد تم .

باعتقادنا ، إن ماركس – إن صح التعبير – هو أقرب إلى فكرة نهاية التاريخ من فوكوياما ، لأن حلم ماركس لم يتحقق بعد ، فهذا لم يحدث ، ولم يكن عدم حدوثه صدفة ، إلاّ أن فوكوياما أقام مراسم جنازة التاريخ .

وهنا نرى بشكل واضح مزاجية التأويل . فماركس على العكس من ذلك رأى إن التاريخ للبشرية هو في عهد الشيوعية ، وما قبل ذلك ما هو إلاّ صراع طبقي يدل على وحشية هذا العالم . وهذا لايعني أن ماركس لم يكن عنده الجمود العقائدي ، إذ حسب ماركس إن الشيوعية هي النهاية ، لاحظوا ، إنه غير قاعدة نهاية التاريخ بل نهاية التشكيلات الاقتصادية الاجتماعية – حسب التعبير الماركسي – وهنا ، أين التطور التاريخي اللاحق ؟! وأين الديالكتيك الماركسي الذي كان حاضرا قبل مرحلة الشيوعية ؟! وهل التاريخ سيبقى يدور بشكل حلزوني في ساحات الشيوعية الرحبة اللامتناهية ؟ وهل ياترى أن الصراع اللاتناحري – حسب التعبير الماركسي – لن يرتقي إلى تشكيلة اقتصادية اجتماعية جديدة ؟ فهنا تخبو تصورات ماركس الديالكتية القائلة بمطلق الحركة والتطور . فحيثيات

التناقضات المستقبلية تزكيها مجريات حياتها وتراكمات يصعب على الإنسان معرفتها الآن ، فنحن لانعرفها كبشر أو كمفكرين لأننا لاننتمي إلى ذلك الجيل .

ولقد عمل ماركس بكل جهده على عدم الحديث عن مرحلة الشيوعية وملامحها باعتبارها مرحلة بعيدة الأجل جدا ، ومن ثم يستحيل التنبؤ بما ستكون عليه ملامحه هذه . أما هيغل فلقد تورط إحدى المرات وتحدث بحماسة عن أن نهاية التاريخ قد تحققت بالفعل عام ١٨٠٦ ، عندما انهزمت القوات البروسية أمام نابليون حامل لواء شعارات الثورة الفرنسية عن الحرية والإخاء والمساواة . ولكن المتأمل في فلسفة هيغل سيتحقق من أن ما أعلنه عام ١٨٠٦ يعد تسرعا كبيرا وتحمسا شديدا لاعلاقة لهما ببنيان فلسفته الميتافيزيقية الخيالية بطبيعتها . لقد كان في اعتقاد كل من هيغل وماركس ، إن تطور المجتمعات البشرية ليس إلى ما لانهاية بل إنه سيتوقف حين تصل البشرية إلى شكل من أشكال المجتمع ، يشبع احتياجاتها الأساسية والرئيسة . وهكذا افترض الاثنان أن للتاريخ نهاية ، هي عند هيغل الدولة الليبرالية ، وعند ماركس المجتمع الشيوعي.

وفي معرض حديثه عن أفكار كانط عن الحرية مثلا . نشعر بالمزاجية نفسها التي استحضرها في حديثه عن ماركس . صحيح أن كانط كان يعتبر (إن تاريخ العالم ليس إلاّ تقدم الوعي نحو الحرية) . لكن كانط كان يرى الحرية بمعناها الفلسفي وليس بمعناها الليبرالي الأمريكي ، فتجيير ما قاله كانط لصالح الحرية الليبرالية الأمريكية ما هو إلاّ تقزيم واستخفاف بهذا الفيلسوف العظيم .

إن أخذ جميع المفاهيم العليا كالحرية والتطور ، في جو يفتقد إلى عملية إلصاق هذه المفاهيم بجوهرها (الإنسان) يفقدها ماهيتها ، ولابد أن نبدأ من الوازع الإنساني ، أي إن جوهر التاريخ هو الإنسان ، ويجب النظر إليه (كعنصر مبدع في هذا التاريخ وليس إلى أنه آلة فاقدة للبعد الروحي) . كما عبر عنه الفيلسوف الروسي نيكولاي بيرادييف .

فالمفاهيم العليا كالعدل مثلا تبقى مفاهيم نسبية ، أما عند فوكوياما فيسقطها على الواقع وهذا مستحيل لأنها لاتوجد إلاّ في عالم الأفكار والأحلام ، ومهما حاولت البشرية تحقيقها (أي إسقاطها على الواقع) فلن تفلح ، ولكنها من الممكن أن تتجه نحوها وتقترب ولكن كم هي المسافة التي لاتزال بعيدة .

نلاحظ أيضا ذلك في مجمل حديثه عن الفاشية الألمانية ومحاكاته الأسباب التي يمكن أن ينجم عنها محو البشرية ، فيقول:- إن محو البشرية هو شر فريد ونتاج لظروف تاريخية فريدة معا التقت في ألمانيا) . ويعزو ذلك إلى أن هناك (ظروفا تتعلق بالتقاليد الفكرية والثقافية الخاصة بألمانيا في ذلك الوقت) . ولاندري مدى تعمق فوكوياما بالتقاليد الفكرية والثقافية في ألمانيا آنذاك ، فهيغل ونيتشه بريئان من كل تصرف مهووس لهتلر . وباعتقادنا إن ما حصل في ألمانيا في ذلك الوقت يعود إلى ظروف سياسية قد أبرزت شخصية كهتلر ، وليست ناجمة عن تقاليد ثقافية فكرية لألمانيا . وخلاف ذلك ، فإن عالمنا هذا يبقى مدينا للثقافة والفكر الفلسفي الألماني لجوهرها الخلاق .

ومع كل ذلك ، فإن فوكوياما قد تناسى مسألة مهمة جدا وملحة لمجتمعه الأمريكي ، إذ لم يسأل نفسه ما إذا كان ثمة هناك تناقضات أساسية غير ثانوية لم تزل ماثلة في النظام الأمريكي الليبرالي الديمقراطي الحر المعاصر ، قد تؤدي به إلى أن يتوقع أن تستمر العملية التاريخية وتنتج نظاما جديدا أسمى من ذلك ؟

الاسلام ازاء الفوكوياموية :

يسفه فوكوياما القدرة الهائلة للدين ولاسيما قدرته على إضفاء معنى سامٍ لحياة الإنسان ودورا ماديا ومعنويا يخرجه من بوتقته الصغيرة ويدخله في دائرة المعاني الكبرى ، لا معنى له . فإذا كانت الليبرالية قادرة على إعطاء الإنسان شعوره بالتساوي مع الآخرين بشكل سلبي فان الدين عامة والإسلام خاصة يعطي لمعنى تساوي البشر وتعاونهم في اعمار المعمورة مفهوم المساواة الايجابية ومن ثم يربط الاستعلاء البشري بقدرته على طاعة الله المتمثلة في الإعمال الايجابية والمفيدة للبشرية ككل .

إن الإسلام يرقى بالإنسان في الكون ، فالله حمل هذا الإنسان الأمانة واستخلفه في الأرض ، إذن إن الإنسان في الإسلام يتساوى مع الآخرين إلا أن استعلاءه مرتبط بعمله وليس بالتسليم بتساويه فحسب مع الآخرين ولكنه يجعل العمل الايجابي مناط هذا الاستعلاء وبالتالي يحول القدرة السلبية البشرية أو الحيادية في الأقل إلى قوة دفع لعمّل البشرية وكذلك قوة تميزية تفرق بين الإنسان العابث بالنظام الإلهي وبين الإنسان الملتزم بالنظام الإلهي الذي يقضي إلى ارتقاء البشرية من مستوى الحرية الغريزية إلى مستوى الحرية الهادفة والملتزمة بإعمار البشرية . فالإسلام على

كثير من المبادىء الموجودة في الديمقراطية الليبرالية كالشورى في تحديد المفاهيم الاجتماعية الأساسية وحرية العمل والثروة والمأكل والملبس وحرية الزواج والطلاق ، كما انه زود الإنسان بمبادئ لحريته وعمله عن طريق مقاصد الشريعة وكذلك طرح الإسلام ضرورة الحرية والعدل والمساواة في الأمور العامة والخاصة .

إلا إن الإسلام لم يترك هذه المبادئ بلا حدود إذ إن انعتاق مبادئ الحرية والعدل والمساواة من الإطار الديني الشرعي يحول تلك المبادئ إلى مبادئ أنانية شخصية يستغلها بعض الأفراد من اجل مصالح ذاتية أنانية – كما هو حال الديمقراطية الغربية – أما ربط تلك المبادئ بالإطار الديني فيجعلها موجهة إلى خدمة الفرد والمجتمع والدولة والبشرية على العموم ، إذ ان الشريعة الإسلامية تنظر إلى الكون نظرة صادقة وتنظر إلى الإنسان على انه ذلك المصدر الذي عليه التفاعل بايجابية .

من هنا فان العالم الإسلامي يشهد صحوة دينية كبرى ومع إن جزءً كبيرا من هذه الصحوة هو سياسي إلا ان هذا التوجه السياسي لا يمكن النظر إليه على انه مشروع منفصل عن نظرة المسلمين إلى الله والكون والإنسان . فإذا ما كان هدف المسلمين هو الحرية والمساواة والعدل ، لكن من دون توجه إيماني أخلاقي ، لكانت الديمقراطية هي الهدف السياسي للصحوة الإسلامية ، إلا أن الهدف الرئيس للصحوة الإسلامية هو هذه المبادئ مع ربطها بالمفهوم الإسلامي الشامل لله والكون والإنسان . فالإسلام قادر على استيعاب الجوانب الايجابية للديمقراطية الليبرالية إلا انه قادر في نفسه الوقت على رفض الجوانب السلبية للديمقراطية . فالمسلمون اليوم قادرون على

تطوير آليات الشورى والحرية والمساواة إلا أنهم قادرون أيضا على رفض العبث الأخلاقي والقيمي ورفض التركيز المفرط على الملذات الدنيوية والمادية .

إن شريعة الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – تزود المسلمين بمعايير تمنع عنهم الانهيار الأخلاقي والمعنوي وبسبب رؤية المسلم لوظيفته في الأرض عبر استخلافه ، فان انهيار العقائد الاشتراكية وصعود الديمقراطيات الليبرالية يعني ان على المسلم الاستفادة من هذا التغيير في المسار التاريخي للايديولوجيا التي تثبت فشلها واحدة تلو الأخرى بسبب بعدها عن حقيقة الإنسان وتطلعاته .

فالحرية هي وسيلة تمكن الإنسان من تحقيق ذاته التي خلقها المولى عز و جل لأهداف معينة . أما أن تصبح الحرية هي الهدف فماذا يفعل الإنسان بتلك الحرية ؟ لقد اظهر فوكوياما انه عندما تتمكن الديمقراطية الليبرالية من السيطرة على التاريخ العقائدي أي عندما تصبح الحرية والمساواة هما المعياران الأساسيان في حياة البشرية عبر سيطرة العلوم الطبيعية على العلوم الإنسانية والاجتماعية فان الإنسان يتحول إلى إنسان تعوزه الجرأة والحيوية والهدف ، ويعيش حياة أشبه بحياة الحيوان منها بحياة الإنسان .

إذن ان الإنسان يكتفي بذلك الاعتراف بأنه كغيره "عدد من الأعداد ، أما القيمة الإنسانية المتمثلة بالعمل والإيمان بأهداف إنسانية فإنها تصبح اثرا تاريخيا لا قيمة لها. والسؤال الأهم ماذا يفعل الإنسان بتلك الحرية

والاعتراف ؟ والجواب الذي نستمده من فوكوياما إن البشرية تدخل حيز المجهول وقد يعيد التاريخ نفسه .

كما إن العالم الإسلامي في معظم مناطقه يتحول مجددا إلى الإسلام ليس كدين بل كنظام حكم وأسلوب حياة . فالمسلمون قد بدءوا بالفعل عملية اخذ النقاط الايجابية للديمقراطية عن طريق الشورى مع ضابط الشريعة الإسلامية . كما يتبنون أسس الحرية والعدالة والمساواة من ضمن مقاصد الشريعة كما انهم يأخذون بالأسس الايجابية للرأسمالية ويضعون فوقها ضوابط من الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامي . بمعنى آخر لقد أثرت وستؤثر الديمقراطية الليبرالية في الفكر العقائدي العالمي بكل تشعباته ، إلا إن شيوع الديمقراطية الليبرالية لا يعني تنبيها بالمطلق وفي العالم كله .

قد تكون الديمقراطية النموذج الغربي التي يريد أن يجعله فوكوياما أساس فكره العقائدي الذي يريد الغرب أن يفرضه على العالم الغربي ، إلا إن قوى عديدة في العالم وعلى رأسها العالم الإسلامي ستأخذ من الديمقراطية ومن الليبرالية ما يناسب تراثها الأصيل وبالتالي قد تكون الديمقراطية الليبرالية احد الوسائل التي توظفها الحضارات والثقافات الأخرى من اجل صحوتها ويقظتها والتي ستقف حجر عثرة أمام زحف الديمقراطية الليبرالية وأمام سيطرة العالم الغربي على العوالم الأخرى .

نهاية الفوكويامية : أفكار ورؤى

كان هناك تاريخ ، لأن هناك تناقضا وصراعا بين المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي وبما أن ذلك التناقض والصراع قد انتهيا بعدما انتقل

المعسكر الاشتراكي إلى اعتناق القيم الرأسمالية (اقتصاد السوق والليبرالية السياسية) وبالتالي فإن التاريخ نفسه قد انتهى .

إن فكرة فوكوياما عن نهاية التاريخ تفتقد إلى أية درجة من العمق والشمولية التي تميز فكرتي كل من هيغل وماركس ، فهو يرى إننا نعيش بالفعل نهاية التاريخ ، وفي الأقل بداية هذه النهاية . كيف ؟ يجيب :- لأنه الآن وبعد هزيمة الشيوعية أو الفكر الماركسي ، تحقق انتصار الليبرالية ، وجاء هذا الانتصار بعد معاناة طويلة تأكد خلالها الكثيرون خاصة شعوب تلك المناطق التي سادتها الشيوعية من فشل أية نظم أو أفكار عدا الليبرالية بمفهومها الغربي .

وطالما أن العالم قد أصبح الآن أو يوشك قريبا أن يكون بحرا شاملا من الليبرالية والديمقراطية ، إذن ، فلقد انتهى الصراع بين الليبرالية والديمقراطية وأعدائهما ، وبذلك يكون التاريخ قد انتهى .

ويعلق فوكوياما على ذلك قائلا:- إن الوجود البشري بدون تناقضات وبدون صراعات وجود كئيب ولايمكن أن يوحي سوى بالضجر والسأم . الخطأ النظري الذي سقط فيه فوكوياما يكمن في كونه قد سحب حلقة واحدة من حلقات التاريخ المتمثلة في المواجهة بين الشرق والغرب ، على التاريخ برمته .

حقا هناك نهاية للتاريخ ولكن فقط نهاية تاريخ الصراع الاستقطابي بين الشرق والغرب .

ولأن التاريخ يوجد في حركة دائمة لاتعرف السكون والتوقف ، فهو لم ينته بين الشرق والغرب ، إلاّ ليبدأ بين الغرب والجنوب.

فـ فوكوياما يعترف بشكل أو بآخر باحتمالات التنامي القومي على أساس إنه التحدي الآخر للعقائد ، فإنه لايعني بذلك الفكر القومي في العالم الثالث . فعالم فوكوياما أحادي ، عالم أول لايرى خارجه ، ولعل هذا هو الذي يجعل أفكاره محدودة وقابلة للدحض .

إن السؤال الأصعب والأعمق إنما يتصل بصلاحية الديمقراطية الليبرالية ذاتها وليس باحتمال انتصارها على منافسيها في عالم اليوم . فعلى فرض إن الديمقراطية الليبرالية أصبحت الآن آمنة من خطر أعدائها في الخارج ، فهل بوسعنا أن نفترض إمكان استمرار المجتمعات الديمقراطية الناجحة على حالها إلى الأبد ؟ أم إن الديمقراطية الليبرالية فريسة تناقضات داخلية ، هي من الخطورة بحيث يمكن في النهاية أن تزعزع من دعائمها كنظام سياسي ؟

إنه مهما كانت سحابة وعينا مثقلة بالأفكار فلن تمطر قطرات عقائدية تجرف التاريخ وتنهيه . فالتاريخ لم يصل إلى النهاية بتطبيق الأيديولوجيا الليبرالية الديمقراطية الحرة . فنهاية التاريخ هذه ستكون زمنا محزنا ، ففيه لايكون مكان للفلسفة ولا لمثل جديدة .

فـ فوكوياما لا يأتي في هذا الصدد وعبر مئات من الصفحات بما ليس معروفا من تراث الليبرالية. فالليبرالية ليست سوى الأسم السياسي الذي اتخذته تيارات الفكر المنفعي الذي طبع الثقافة الانغلوسكسونية منذ منعطف

الحداثة حتى ايام التداولية البراغماتية وما يسمى راهنا بالفلسفة التحليلية مع بعض الفوارق من حيث المنهج . غير ان الجديد الذي يدخله فوكوياما على خطاب الفكر الانغلوسكسوني / الأمريكي المعاصر هو محاولة تغيير المقدمات التقليدية لهذا الخطاب . فبدلا من اعتماد تراث الواقعية النفعية كما هو عند مؤسسيه الأوائل .... فأنه يبحث عن المصادر الأوربية وبالذات يرجع الى الفكر الألماني عند أحد أكبر أعلامه ، هيغل . ولا يتوقف عند هذه المحطة الكبرى للفكر التاريخي بل يمضي قدما الى عمق الفكر الأغريقي فيصل مقدماته الأولى بثوابت التحليل الأفلاطوني للذات والمدينة والعالم. ولا ينسى ان يعرج خلال طريقه على أحد مؤسسي الأقنوم المعاصر حول المجتمع المدني وهو روسو . ويغدو هيغل مستنده الأساسي .

إن منطق فوكوياما قد أيقظ فكرة مفادها إنه إذا كانت هناك فعلا نهاية للتاريخ فإنها لاتصل إلينا بسبب انتصار الأفكار الليبرالية الديمقراطية ، وإن التاريخ واللاتاريخ هي في نهاية المطاف مفاهيم مجردة وميتافيزيقية كالمادة والروح وكالخير والشر.

كما ان القارئ لـ فوكوياما يواجه مستويين للنص ، أحدهما المصرح عنه وهو جملة التحليلات السياسية المشوبة دائما بسلطة الأحكام المسبقة والقبلية ، والثاني يتعلق بالمقدمات الفلسفية الشمولية التي تقحم من أمكنتها القصية الخاصة بها ، في حين آخر يتعلق بالقصدية الخاصة بعقيدة الكاتب الأصلية . ولا شك في أن هذا المنهج الذي يوصف بأزدواجية المختلفين يهدف الى فرض التسليم بتلك العقيدة ، ولكن ليس عن طريق حقانيتها الخاصة التي تظل موارية غير مطروحة أبدا لا للعرض ولا للنقاش بل حسب

اوالية اللصق والالتصاق بذلك المستوى الآخر من المفاهيم التي يؤتي بها قسرا وحشرا ، فلا يفسح الكاتب أي مجال لأمكان التحقق من المقدمات للوصول الى تلك النتائج المفترضة . بمعنى ان الاستعانة بأفلاطون وهيغل وكوجيف – وأن كان الثالث هذا ليس من مستوى ولا من سجل الاولين – قد أدت ما يفوق دور الشهادة على ما يريد الكاتب أثباته ، اذ صار لأفكار هؤلاء الفلاسفة دور المقدمات المنطقية الضرورية التي تمتلك حقيقتها في ذاتها. وبذلك اخرج فوكوياما أفكار هؤلاء الفلاسفة من معرض التحليل والنقد وجعلها مرتكزات نهائية لما يطرحه من فهم خاص حول تحقيق نهاية التاريخ. فلقد اهمل وترك كل ما يتعلق بنهاية التاريخ كأطروحة فكرية قابلة في حد ذاتها لأثارة أكبر وأهم النقاشات . اعتبر ان النهاية حقيقة مسلم بها ولا سبيل الى أي نوع من أشكال مراجعتها والتيقن من دلالتها. وحصر المشكلة في العثور على الحدث التاريخي الذي يحقق هذه النهاية .

تبقى أخيرا الإشارة إلى بعض نقاط الضعف الخطيرة التي تعاني منها دراسة فوكوياما ، فهو فرغ فكرتين عملاقتين لهيغل وماركس من محتواهما ، فقط ليملأهما بما يشبه عبث الأطفال ، وهناك عدد كبير من الكتاب الغربيين الذين لايرون فيما كتبه أكثر من نكتة . فهو تجاهل على سبيل المثال حتى لو سلمنا بمقولته الأساسية ، صراع المصالح داخل العالم الليبرالي نفسه بما يعني فساد فكرته عن نهاية التاريخ ، كما إنه انطلق من مفهوم غربي مركزي تماما ولم يلتفت إلى أهمية وثقل عقائد أخرى شديدة الأهمية والخطورة كالإسلام مثلا .

إن المجتمع التقليدي لايتغير وإنما يتقلب ، والتقلب لايعني بأي حال التغيير ولايعني السكونية بأي حال أخرى . فالظاهرات لاتعيد نفسها إلاّ بمقدار ماتتحرك ضمن المساحة المتاحة لها على محيط الدائرة لتظهر في حلبة التدوير من جديد ، وهو الأمر الذي رسخته الظاهرة الرأسمالية على اختلاف نماذجها ساعية مع الزمن إلى تسيد نموذج يوتوبيا الخراب عبر الحضارة أحادية الجانب السائدة الآن .

أقول هذا ، مع يقين أن ثالوث – العنف ، الخراب ، الإرهاب – كان سائدا في أغلب العصور التي مرت بها المجتمعات الإنسانية في الوقت الذي تلازم تواجده مع ثالوث آخر هو – التنوير ، التثوير ، التغيير.

لقد أثار كتاب فوكوياما سيلا هائلا من التفسيرات والإعتراضات ، وقد اتخذت الانتقادات كل الأشكال الممكنة ، اذ ارتكز بعضها على فهم سئ لمقاصد المؤلف الأولية ، وبعضهم الآخر هاجم بشكل أكثر عمقا صلب موقف المؤلف بالذات ، فالعديد من الناس وقع في خطأ أولي من جراء استخدام المؤلف لكلمة التاريخ . اذ اتخذوا هذه الكلمة بمعناها الأصطلاحي ، أي الاحداث التي تقع .. الا ان الذي اشار اليه المؤلف الى نهايته لم يكن بالطبع التاريخ كتتابع لاحداث وأنما التاريخ كجزء مسار متماسك للتطور الذي يأخذ في الحساب تجربة جميع الشعوب في آن معا .

فنهاية التاريخ – في رأيي – مفهوم ينطوي علّى مفارقة بل على تناقض داخلي ، ستوجد على الدوام احداث ، وسيحدث على الدوام حدث ما ، اذ لا يمكن للزمن ان ينتهي . والتاريخ والزمن يسيران معا . فنفس الفكرة ونفس الواقع يحمل هاتين القسيمتين ، اذن ليس للتاريخ نهاية.

ان نظرة فوكوياما للتاريخ التي اشرنا اليها آنفا .. تقترب كثيرا من نظرة الفيلسوف الألماني هيغل . وقد جعل منها كارل ماركس جزءً من محيطنا المألوف عندما استعار على وجه الدقة من هيغل مفهوما أصبح اليوم ضمنيا لدى استخدامنا كلمات مثل :- بدائي أو متقدم وتقليدي او حديث في كلامنا عن نماذج المجتمع البشري المختلفة .

كان ثمة تطور متناسق للمجتمعات البشرية منذ الأنظمة القبلية القائمة على العبودية والتعدد الثقافي وحتى الديمقراطية الحديثة والرأسمالية المحكومة بالتقنية ، مرورا بأنواع مختلفة من التيوقراطيات والأنظمة الملكية والارستقراطيات الأخرى ذات النمط الأقطاعي .

لم يكن المسار التطوري صدفويا ولا غامضا وان لم يكن يجري دائما بحسب خط مستقيم ، وحتى لو كان باستطاعتنا ان نتساءل اذا ما كان الانسان أكثر سعادة وفي حالة أفضل بسبب نتائج هذا التقدم التاريخي .

إن عصر نهاية التاريخ سيكون حزينا ومملا . نتيجة التقدم العلمي والديمقراطي والسلام والرخاء الاقتصادي فان الإنسان سيكتفي بتدبير الأمور الاقتصادية ، التقنية ، والبيئية ، وبتلبية رغباته الاستهلاكية وذلك تحت إشراف التكنوقراط والبيروقراط .

وسيكون هذا إيذانا بنهاية الفنون والفلسفة والانجازات الكبرى للعقل البشري ، لهذا سيفقد الإنسان روح الشجاعة والإبداع والجرأة ليتحول إلى حيوان استهلاكي خال من العواطف والطموح . وسيولد هذا ملل الإنسان

وحنينه إلى إثارة الحروب والثورات لامتلاك القوة والعظمة عبر تحريك التاريخ من جديد .

يقول فوكوياما في هذا الإطار : نهاية التاريخ مرحلة ستكون جد حزينة ، الصراع من اجل الاعتراف ، الاستعداد للتضحية بالحياة من اجل قضية مجردة ، الصراع العقائدي العالمي الذي كان يستدعي الجرأة ، الشجاعة ، والتخيل المبدع ، كل هذا سيعوض بالحساب الاقتصادي وباللجوء اللا محدود للحلول التقنية وبالاهتمامات البيئية وبإشباع رغبات المستهلكين في عصر ما بعد التاريخ ، لن يبقى غير الصيانة المستمرة لمتحف تاريخ البشرية .

وبشكل مناقض للروح الاقتصادية لخطاب نهاية التاريخ يعبر فوكوياما عن قلقه من الخواء الروحي ، الانحطاط الأخلاقي والمادية المفرطة للغرب والتي قد تؤدي إلى انهياره : إننا نمتلك قوة مالية ومادية هائلة ولكن هل لدينا القوة المتميزة والضرورية لتوظيفها بشكل ايجابي من اجل خدمة مصالحنا الخاصة ؟ الا نسير على خطى الرومان ؟ الا نتحسس على المستوى الأخلاقي العلامات الضمنية لنوع من الانحطاط ؟ وإذا كان الغرب ومؤسساته وقيمه مازالت تعد بالكثير من الثقة، فان هذا يجب ألا يسمح لنا بإغفال بعض الاتجاهات المقلقة ، كالاستهلاكية المفرطة ، انهيار الأسرة ، تراجع روح المسؤولية والتضامن ، وهذا ما دفع بفوكوياما إلى إعادة الاعتبار للعوامل الثقافية من خلال التركيز على دورها الفعال في التنمية الاقتصادية وخلق الثقة وضمان التماسك الاجتماعي والأسري .

الخاتمة

قد يكون كتاب فوكوياما من أهم ما صدر على الصعيد العقائدي في الغرب الامريكي بعد عدوان المؤسسة الامريكية على العرب ، وتفكك الاتحاد السوفياتي ، وزوال كل ما كان يعنيه مصطلح المعسكر الشرقي . ولعل تميزه ذلك لا يصدر اولا عن طرافة البحث وغزارة المادة بقدر ما هو وثيقة أو بيان اول تعلنه الليبرالية ، وهي تجدد نفسها وتزمع استئناف مشروعها وحيدة هذه المرة لا ينازعها أي جبار آخر عقائدي أو عسكري أو سياسي أو معارضة قادرة. لذلك لا يعتمد الكتاب قوة المحاجة الفكرية ولا الحقيقة التاريخية بقدر ما يستند الى ما تحصل من أمر واقع بحسب المصطلح الاستراتيجي. لكن هذا لا يعني ان الكاتب لم يحاول ان يحشد ما يستطيع من الموضوعات الفكرية والتاريخية التي تساعده على أنارة اطروحته .

إن كل ما ذكرناه آنفا .. لا ينال من أهمية الكتاب ولا قوة الحجج ولا تماسك الموضوع الذي يبقى مستندا إلى خلفية فلسفية قوية ومترابطا بقوة منطقية ليس لها إلا أن تثير الإعجاب . أما المأخذ فهو على النتيجة وبصفة أدق ليس على النتيجة ذاتها بقدر ما هو على وضعية أو كيفية هذه النتيجة من حيث القول أنها تمثل نهاية التاريخ . ومأخذنا على الكاتب والكتاب وما تضمنه من طروحات ليس جديدا ، إذ انه هو الآخر أي المأخذ يستند إلى أسس فلسفية ومنطقية معينة قادت قبلنا أناسا انتقدوا أفلاطون وهيغل وماركس من حيث قفزهم إلى نتائج لا تتناسق مع طروحاتهم الرئيسية ذاتها . فإذا كان هيغل قد تعرض للانتقاد حين أعلن نهاية التاريخ بقيام الدولة

الروسية وانتصارات نابليون ومبادئ الثورة الفرنسية من حيث أن ذلك لا يتواءم منطقيا مع منهجه الجدلي . الذي لا يعرف الثبات حتى الوصول إلى الوعي المطلق الذي هو نهاية الكمال الذي هو بدوره مسار دائم وصيرورة سرمدية لا نهاية لها فان ماركس هو الآخر تعرض للانتقاد حين أعلن ان قيام الشيوعية – زاعما انها الجنة على الارض – هو نهاية التاريخ كما نعرفه أو بداية التاريخ الفعلي على وفق تعريف ماركس الذي يرى ان التاريخ لا يبتدئ إلا حين يتحرر الفرد من الحاجة وبالتالي الاستغلال ومن ثم الاغتراب وذلك لان مثل هذا الإعلان لا يتوافق مع الجدل الماركسي ذاته والقول بالتناقضات اللولبية الدائمة التي لا تهدأ . وكذلك تعرض افلاطون للانتقاد لان فلسفته القائمة على أحقية من يعرف أن يحكم قد تحولت فعلا إلى تبرير وشرعنة لنظام الحكم الارستقراطي بغض النظر عن أسس هذه الاستقرائية ، كما انه من ثم يشرعن ويبرر لتلك المجتمعات ذات الانساق المغلقة التي تمنح الدولة حق التقرير والتمثيل وذلك على حساب الفرد ذاته وذلك كما يعبر كارل بوبر في انتقاده لافلاطون .

الشيء نفسه يصدق على الطروحات الجديدة القديمة لفوكوياما من حيث تحول الفلسفة إلى عقيدة أو تبرير العقيدة وذلك ليس بالقول ان الليبرالية اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا هي أفضل نظام ممكن من الناحية العملية والتاريخية ، وليس مجرد نظام مفترض أو يوتوبيا ولكن بالقول ان الليبرالية هذه هي نهاية التاريخ .

وان كان لابد من قول ختامي في هذا المجال فهو لن يكون متعلقا بالموضوع ذاته بقدر ما هو متعلق بموقعنا نحن العرب من هذه القضية .

وبذلك نعني بكل إيجاز انه إذا كان هناك من يقول بنهاية التاريخ فإننا هنا مازلنا على هامش التاريخ ولم يبدأ التاريخ عندنا بعد هذا إن كان سيبدأ ناظرين إلى الحالة التي نحن فيها . وعلى ذلك فان نقاشنا للتاريخ ونهايته ونحو ذلك هو من باب المشاركة التجريدية وكذلك هو موقع انتقاداتنا في هذا المجال .

أما بالنسبة إلى الحالة العربية عامة فان علينا أن نفعل الكثير من اجل الوصول ولو متأخرين إلى هذه المرحلة التي ننتقدها تجريديا ألا وهي المرحلة الليبرالية بكل تفرعاتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية . وبعد ذلك فقط يمكننا المشاركة في الجدل الدائر حول نهاية التاريخ موضوعيا ومن ثم المشاركة في صنع مرحلة ما بعد نهاية التاريخ التي هي أعظم نقد موضوعي لفكرة نهاية التاريخ ذاتها .

وعلى الرغم من إنني على وفق معطيات الحالة الراهنة اشكُ في إمكانية انتقالنا من الهامش إلى المتن فإنني لا املك إلا أن أتفاءل أو أحاول التفاؤل إذ لعل هناك بقية من حياة تكون بذرة لحياة جديدة .

ستبقى للقوة الكلمة الأخيرة ، هذه هي الخلاصة الذهبية ، وسيبقى الموعودون بجنة نهاية التاريخ هم القبيلة البيضاء / الشقراء وحدها ، أما الآخرون ، معظم الانسانية ، فلم يعد تصنيفهم في خانة المتخلفين ، يكفي للتعبير عن رحلة التصفية الأخيرة . ان هذا المصطلح سيظل يوحي باستمرار رسالة المتقدم في الأخذ بيد المتخلف – عبء الانسان الابيض – بينما المطلوب من هذه التصفية ، التصفية االمطلقة بين سكان الجحيم التاريخي

المحكومين ابديا بمصيرهم والنخبة الفائزة بالنعمة الخلاصية وحدها من دون العالمين.

وبعد :- لمن المستقبل ؟ ولمن القرن الواحد والعشرين ؟ وفي أي الخرائط ستصب جهات العالم الصامدة في ثقب بعيد من التاريخ ؟ وهل إيماءات اكتمال نضج الهيمنة ستؤكد أن القرن الحالي سيكتبه عازفو البيانو وكاتبو الروايات ، ورجال الدعاية القادمون دوما من الشمال ؟ هل هناك من مشروعية تعطي الإنسان الحق في الخروج من حوصلة اليوتوبيا ومن خراب حلم الآخرين ومن كابوس الذات ؟

الهوامش :

* ثيموس أو الغريزة الثيموسية ، هي صراع الفرد أو الجماعة من أجل فرض الاعتراف والسيطرة على الآخر ، وقد اعتبرها فوكوياما تأسيسا على مزج مفهوم الثيموس الأفلاطوني ومفهوم العقل عند هيغل المحرك للتاريخ الانساني وروح الحياة . فهذه الغريزة التي دفعت السيد الى اخضاع العبد ، ولن ينتهي هذا المسار منطقيا قبل أن يسيطر على العالم كله أو أن يموت دون ذلك فالسبب الأصلي للحروب لا يتعلق ببنية نظام الدول بل برغبة الأسياد في أن يعترف بهم ، وأن طموح الأسياد الثيموسي يمكن أن يأخذ أشكالا أخرى كالدين مثلا .

المراجع :

المراجع التي استعنا بها ، اعتمدناها للمراجعة والتوكيد والاستقراء لما ورد في دراستنا .

١. احمد موصلي – حقيقة الصراع ، الغرب والولايات المتحدة والإسلام السياسي ، د ط ، مؤسسة ألف ليلة وليلة ، د م ، ٢٠٠٣ .
٢. تركي الحمد – ويبقى التاريخ مفتوحا ، ط٢ ، دار الساقي ، بيروت ، ٢٠٠٢ .
٣. عبد الغني عماد – سوسيولوجيا الثقافة ، المفاهيم والإشكالات .. من الحداثة إلى العولمة ، ط١، مركز دراسة الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٦ .
٤. عبد الله عثمان عبد الله – ايديولوجية العولمة ، من عولمة السوق إلى تسويق العولمة ، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ،٢٠٠٣ .
٥. غازي مسعود – بين الثيموس وبروميثوس ، مجلة الجديد في عالم الكتب والمكتبات (الأردن) ، العدد ٣ (صيف / ١٩٩٤) .
٦. فرانسيس فوكوياما – نهاية التاريخ وخاتم البشر ، ترجمة – فؤاد شاهين وجميل قاسم ورضا الشابي الإشراف والمراجعة والتقديم – مطاع صفدي ، ط١، مركز الإنماء القومي ، بيروت ،١٩٩٣.
٧. محمد سعدي – مستقبل العلاقات الدولية ، من صراع الحضارات الى أنسنة الحضارة وثقافة السلام ، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٦ .

مقدّمة القصيدة في الشعر الجاهلي

(معلّقة زهير أنموذجا)

الدكتورة لطيفةعبد الله أحمد يوسف الحمادي

كلية الدراسات الإسلامية والعربية – دبي

قسـم اللـغـة العربـيـة

الملخص :

حظيت مقدمـة القصيدة الجاهليّـة بدراسـات جادّة ، أثـارت عنايـة النقاد والدارسين ، قدماء ومعاصرين ، من عرب ومستشرقين ؛ فأقبلوا عليها ، معلّلين ، ومحلّلين ، ودارسين ؛ وكُتبت فيها البحوث ، وألّفت فيها الكتب ، غير أنّ بعض الدراسات ما زالت تصف المقدمـة بأنّها تقليديّـة ، أو أنّها جـاءت متشـابهة متماثلـة عند الشعراء الجاهليين ، واختلفت الآراء حول علاقة المقدّمة بالموضوع ، فبعضهم يقول : إنّ مقدمة القصيدة منفصلة عن الموضوع ، وبعضهم الآخر يجد أنّ هنـاك علاقـة بين المقدّمة والموضوع في القصيدة ؛ لذلك حاولت برؤيـة تحليليّـة الإجابة عن عدة تساؤلات لعلّ من أهمها :

– أجاءت صورة المقدمة نمطيّة متشابهة أم متنوّعة مختلفة ؟ .

– أكانت مقدّمة القصيدة في الشعر الجاهلي تقليدا فنيّا أمْ استجابة لتجربة الشاعر النفسيّة والشعوريّة ؟ .

- ما مدى ارتباط المقدّمة بموضوع القصيدة ؟ .

محاور البحث :

وقد خصّصت هذا البحث لدراسة مقدمة القصيدة من خلال المحاور الآتية :

١- أنواع المقدمة ، ٢- شروط المطلع (معايير القدماء) ٣- رأي النقاد القدماء والمحدثين في مقدمة القصيدة ٤- دراسة مقدمة زهير بن أبي سلمى .

المدخل :

تُعد مقدّمة القصيدة ظاهرة فنيّة لافتة في الشعر العربي القديم ، وهي عبارة عن أبيات شعريّة يستهلّ بها الشاعر قصيدته ، قد تكون مؤلّفة من بيت أو بيتين أو مجموعة من الأبيات بهدف تأدية وظيفتها في ظاهرة من الظواهر الشعريّة مثل الظاهرة الطلليّة ، أو الغزليّة ، أو الحكميّة ، أو الوصفيّة ، أو الشعوريّة : (همّ أو حزن ، أو فرح وسرور..) قبل الدخول في الموضوع [1].

- **أنواع المقدمة :**

إنّ ما يلفت نظر الدارس إلى مقدّمة القصيدة العربيّة ، أنّها لم تكن تقتصر على شكل أو صنف معين ، بل كانت متنوّعة مثل : المقدمات

---

[1] عادل جاسم البياتي - دراسات في الأدب الجاهلي ، منطلقاته العربية وآفاقه الإنسانية -ج١- دار النشر المغربية ، الدار البيضاء - ١٩٨٦م - ص ٥٥-٥٦.

الغزليّة ، والطلليّة ، والحديث عن الخمر ، ومقدّمات الهم والشيب ... إلا أنّ النقد أولى اهتماما ملحوظا بالمقدّمة الغزليّة والطلليّة ، ويفسر البعض ذلك بـ[٢]:

١. نقص في استقراء القدماء .

٢. كثرة المقدمات الغزليّة والطلليّة .

ومن الأمثلة على أنواع المقدمات : معلّقة امرئ القيس التي بدأها بالوقوف على الديار وبكاء الأطلال[٣] :

قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزل بسقطِ اللوى بين الدخولِ فحومل

وطرفة بن العبد الذي يبدأ بمقدّمة غزليّة طلليّة مطلعها[٤] :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

ومعلّقة الحارث بن حلزّة اليشكري التي تبدأ بمقدّمة غزليّة مطلعها[٥] :

آذنتنا ببينها أسماء ربَّ ثاوٍ يملُّ منه الثواء

أمّا عمرو بن كلثوم فقد كانت مقدّمة معلقته في الخمر والشرب[٦]:

---

[٢] يوسف حسين بكار– بناء القصيدة في النقد العربي القديم (في ضوء النقد الحديث)– ط٢ – دار الأدنلس ، بيروت – ١٩٨٢م – ص٢١٢.

[٣] شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات – الأنباري – تحقيق وتعليق : عبدالسلام هارون – ط٥ – دار المعارف ، القاهرة – ص١٥.

[٤] نفسه – ص١٣٢ .

[٥] نفسه – ص٤٣٣ .

[٦] شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات – الأنباري – ص٣٧١.

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا

وهناك أنواع أخرى من المقدّمات مثل مقدّمة الهمّ وشكوى الزمان نحو قول النابغة الذبياني(٧):

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب

ومقدّمة الحكمة في شعر لبيد بن ربيعة الذي يقول (٨) :

ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل وكلّ نعيم لا محالة زائل

ممّا سبق نستشف أنّ المقدمة ارتبطت ارتباطا عضويا بالقصيدة الطويلة ، أو ما اصطلح عليه بالمعلقات خاصّة ، فكان الشاعر يعمل الرؤية ويشحذ قريحته الشعريّة لصنع تلك المقدّمة استعدادا لطرق الموضوع الأصلي ، أو الموضوعات التي تشملها المطوّلة الواحدة .

وقد أدرك المهتموّن بأمور الشعر أشياء دقيقة من بينها الفرق بين المقدّمات الواقعة في الأغراض المختلفة ، فحديث الأطلال وذكر الصاحبة يتلوّن بموضوع القصيدة الذي يفيض فيه الشاعر ، ومثال على ذلك الغزل الذي يساق في مقدمة المديح غزل مشرق عكس الغزل الذي يأتي به الشاعر في مقدّمة الهجاء ، كما أنّ الغزل الذي يمهّد به الشاعر لقصيدة موضوعها

---

(٧) ديوان النابغة الذياني– مطبعة الهلال ، مصر– ١٩١١م – ص٨ .

(٨) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات– الأنباري – ص٥١٠ .

الرئيس الرثاء يتلوّن بلون الحزن الهادي والشجن والتأمّل في الحياة ... وهكذا تتناسب المقدّمات والموضوع العام للقصيدة[٩] .

- **شروط المطلع (معايير القدماء) :**

ركّز القدماء على مطلع القصيدة كثيرا ، وانطلقوا في دراستهم للمطلع من المعايير والاعتبارات الآتية :

أولا: الاعتبار النفسي الذي يولي عناية كبيرة بالمتلقي : فالمطلع أول ما يقع في السمع من القصيدة ، والدال على ما بعده ، فإذا كان بارعا حسنا ومليحا رشيقا ، يكون فيه تنبيه للسامع ، وكان ذلك داعيا إلى الإصغاء والاستماع إلى ما بعده ، فابن رشيق (٤٥٦ هـ) يشترط في المقدمة أن تكون سهلة المأخذ متّصفة بالقوّة والجزالة ويستحسن التخفّف في قصيدة المدح لا لسبب فنيّ ، بل رغبة في إرضاء الممدوح وعدم صكّ سمعه وتجنّب ملله ، ويرى بأنّ طول المقدمة أقرب ما يكون إلى تحقيق الفنيّة ، كما يشترط في المطلع أن يكون مشيرا إلى الغرض إشارة مقتضبة سريعة ، ويمسّه مسا خفيفا لأنّ الشعر قفل أوّله مفتاحه ، فإذا انفتح أوّله يكون الشاعر قد وضع رجله في الركاب وانفتح له ما كان مغلقا... وبما أنّ حسن الافتتاح داعية الانشراح ومطيّة النجاح فينبغي للشاعر أن يجوّد ابتداءات شعره فإنها أوّل ما يقرع السمع بها ويستدل على ما عنده من أوّل وهلة... وليجعلها حلوة

---

[٩] سعيد الأيوبي – الصورة والبناء في المراثي الجاهلية ، دراسة الصورة والبناء في ضوء النقد الحديث – سلسلة دراسات وأبحاث – ط١- منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، مطبعة فضالة – ١٩٩٦م- ص ٢٣٩-٢٤٠-٢٤١.

سهلة وفخمة جزلة[10] ... أما حازم القرطاجني (٦٨٤هـ) فقد اشترط في مقدّمة القصيدة أن تكون جزلة مسموعة ، مفهومة دالة على الغرض وجيزة تامّة ، وأن يكون المطلع صالحا ، يقول : " وممّا تحسن به المبادئ أن يصدر الكلام بما يكون فيه تنبيه وإيقاظ لنفس السامع أو أن يشرب ما يؤثر فيها انفعالا ويثير لها حالا من تعجيب أو تهويل أو تشويق.."[11].

ثانيا: مراعاة القاعدة البلاغية الشهيرة " مطابقة الكلام لمقتضى الحال" التي طبقوها على المطلع حين أرادوه أن يكون متمشّيا مع موضوع القصيدة[12] ، وابن طباطبا(٣٢٢هـ) يوجب على الشاعر أن يحترز في أشعاره ومفتتح أقواله ممّا يتطيّر منه أو يستجفى من الكلام كذكر البكاء ووصف إقفار الديار وتشتّت الآلاف ، ونعي الشباب وذمّ الزمان ، لكن لابأس في استعمال هذه المعاني في المراثي ووصف الخطوب؛ لأنّ الكلام إذا كان مؤسّسا على هذا المنوال تطيّر منه سامعه ، في ظل هذا المعيار عابوا مطلع ذي الرمّة في عبد الملك[13]:

ما بال عينك منها الدمع ينسكب كأنه من كلى مفرية سرب

(١٠) ابن رشيق– العمدة في صناعة الشعر ونقده – تحقيق : محيي الدين عبد الحميد– ط٣ ، مطبعة السعادة ، القاهرة – ١٩٦٣م– ص٢١٨.

(١١) حازم القرطاجني– منهاج البلغاء وسراج الأدباء– تحقيق : محمد الحبيب بن الخوجة– دار الكتب الشرقية ، تونس– ١٩٦٦م– ص٢٨٨.

(١٢) يوسف حسين بكار– بناء القصيدة – ص٢٠٥.

(١٣) ابن طباطبا – عيار الشعر– تحقيق : طه الحاجري وزغلول سلام– شركة فن الطباعة ، القاهرة – ١٩٥٦م– ص١٢٢

كما طالب ابن طباطبا الشعراء أن يتجنبوا في مقدماتهم الغزليّة ذكر أسماء النساء التي توافق أسماء بعض نساء الممدوح ، وما يتّصل به سببه ويتعلق به وهمه ، فلما أنشد أرطأة بن سهيّة عبد الملك بن مروان هذه الأبيات:

رأيت المرء تأكله الليالي	كأكل الأرض ساقطة الحديد
وما تبقي المنية حين تأتي	على نفس ابن آدم من مزيد
وأعلم أنها ستكر حتى	توفي نذرها بأبي الوليد

فزع ؛ لأن كنيته أبو الوليد ، فقال الشاعر: "لم أعنك ، إنما عنيت نفسي" وقد كانت كنيته أبا الوليد أيضا. فقال عبد الملك " وأنا أيضا "[١٤].

وأكثر هذه المآخذ نجدها في قصيدة المدح التي عنى بها النقد كثيرا ؛ لأنّ تجنّب العيب فيها آت من " باب التأدب للملوك " فيما يقول ابن رشيق[١٥] ، وراجع إلى " أدب النفس ، لا إلى أدب الدرس " فيما يقول ابن الأثير[١٦].

ثالثا: اتخاذ القصيدة الجاهلية مثالا وأنموذجا في هذا الموضوع[١٧] ، فالنقاد كانوا يستحسنون مطالع المحدثين إذا وافقت مطالع القدامى ، أو جاءت على شاكلتها ، وقد أورد الآمدي (٣٧٠هـ) للبحتري (٢٨٤هـ) :

---

(١٤) ابن طباطبا – عيار الشعر – ص١٢٣.

(١٥) ابن رشيق – العمدة ١ : ٢٢٢.

(١٦) ابن الأثير – المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر – تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد – البابي الحلبي ، القاهرة – ص ٢٣٦.

(١٧) يوسف حسين بكار – بناء القصيدة – ص٢٠٦.

بين الشقيقة فاللوى والأجرع　　　دمن حبسن على الرياح الأربع[١٨]

وقال: " وهذا من ابتداءاته العجيبة النادرة ، وإحسانه فيها الإحسان المشهور ، وقوله (بين الشقيقة فاللوى) مثل قول امرئ القيس : (بين الدخول فحومل) "[١٩].

كما أنهم طالبوا المحدث بتجنب بعض ما في القصيدة القديمة ، متلمسين العذر للقدماء ، يقول ابن رشيق: "ولتجنب الشاعر (ألا) و(خليلي) و(قد) فلا يستكثر منها في ابتدائه ، فإنّها من علامات الضعف والتكلان ، إلا للقدماء الذين جرّوا على عرق ، وعملوا على شاكلة"[٢٠].

ومن هذه المعايير والاعتبارات الثلاثة حدّد النقاد شروطا للمطلع ، إذا جاء موافقا لأحدها كان جيدا ، وإلا فهو رديء ، والشروط هي[٢١] :

١. أن يكون المطلع فخما ، له روعة وعليه أبّهة ، من مثل قول أبي تمام[٢٢] :

السيف أصدق أنباء من الكتب　　　في حده الحد بين الجد واللعب

---

[١٨] ديوان البحتري- تحقيق : حسن كامل الصيرفي- دار المعارف ، القاهرة - ١٩٦٤م - ص٣٦٣.

[١٩] الآمدي- الموازنة بين الطائيين- تحقيق : محيي الدين عبد الحميد - ط٣ - مطبعة السعادة ، القاهرة - ١٩٥٩م - ص٤٠١.

[٢٠] ابن رشيق- العمدة١ : ص٢١٧- ٢١٨.

[٢١] حسين بكار- بناء القصيدة - ص٢٠٧ - ٢١٠.

[٢٢] ابن رشيق- العمدة ١ : ص٢٣٣- ٢٣٤.

٢. أن يكون بعيدا عن التعقيد ، ومنه ما أخذ على المتنبي في قوله:

أرق علـى أرق ومثلي يأرق   وجوى يزيد وعبرة تترقرق

إذ قيل له : " أهكذا تكون الافتتاحات ؟ "[٢٣].

٣. أن يكون نادرا انفرد الشاعر باختراعه ، مثل قول المتنبي :

لكل امرئ من دهره ما تعودا   وعادة سيف الدولة الطعن في العدا

وكان هذا مدعاة للقاضي الجرجاني أن يلتمس العذر لأبي الطيب في مطالعه الرديئة التي تغتفر بمطالع نادرة كثيرة[٢٤].

٤. أن يكون خاليا من المآخذ النحويّة ، وأن تراعى فيه جودة اللفظ والمعنى معا. يقول الثعالبي : " وحقه الحسن والعذوبة لفظا ، والبراعة والجودة معنى ، لأنه أول مايقرع الأذن ويصافح الذهن ، فإذا كانت حاله على الضد مجه السمع ، وزجه القلب ، ونبت عنه النفس " . على هذا الأساس عاب كثيرا من ابتداءات المتنبي مثل قوله[٢٥]:

هذي برزت لنا فهجت رسيسا   ثم انصرفت وما شفيت نسيسا

---

[٢٣] حسين بكار– بناء القصيدة – نقلا عن الرسالة الحاتمية في الإبانة عن سرقات المتنبي– ص٢٠٨.

[٢٤] ابن الأثير– المثل السائر٢ : ص٢٤٣.

[٢٥] ديوان المتنبي– بشرح ناصيف اليازجي – المطبعة الأدبية ، بيروت – ١٣٠٥هـ– ص٥١.

فأخذ عليه حذف أداة النداء من (هذي) وهو غير جائز عند النحويين ، حتى ذكر الرسيس والنسيس ، فأخذ بطرفي الثقل والبرد[٢٦].

وأن لا يكون باردا ، من مثل قول أبي العتاهية[٢٧] :

ألا ما لسيدتي ما لها　　　　أدلت فأحمل إدلالها ؟

في ضوء هذه الاعتبارات والشروط ، صنّفوا المطالع إلى جيّد ورديء ، وذهبوا إلى أن امرأ القيس أو النابغة أحسن الشعراء ابتداء في الجاهلية ، والقطامي في الإسلام ، وبشارا في المحدثين .

- **آراء النقاد القدماء والمحدثين في مقدّمة القصيدة :**

اعتاد الشاعر الجاهلي أن يبدأ قصيدته بالوقوف على أطلال الحبيبة ، باكيا ذكراها ، مخاطبا دمنة ذاك الطلل ، واقفا مذهولا من تلك القوة التي قلبت ذاك الربع من مكان تدبّ فيه الحياة إلى آثار وبقايا ديار ، وبعد هذا الوقوف الذي قد يقصر أو يطول في القصيدة ، كان الشاعر ينطلق إلى مواضيع شتى في قصيدته ، ولكنّ اللافت للانتباه أنّ كثيرا من الدراسات وجدت ترابطا بين المقدّمة وموضوع القصيدة ، واستحوذت مقدمة القصيدة على اهتمام كلّ من النقاد والباحثين والدارسين ، وحاولوا فهم السر الخفي وراء هذا الوقوف .

---

[٢٦] الثعالبي- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر- تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد - ط٢- مطبعة السعادة ، القاهرة - ١٩٥٦م- ص١٦٢.

[٢٧] أبو هلال العسكري- كتاب الصناعتين- تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم - ط١- دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة - ١٩٥٢م- ص٤٣٧.

- **رأي القدماء :**

وإذا ما تعمّقنا بالتراث النقدي قليلا نجد تفسيرا للمقدّمة الطللية عند ابن قتيب (٢٧٦هـ) يقول : " وسمعتُ بعض أهل الأدب يذكر أنّ مقصّد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار ، فبكى وشكا ، وخاطب الربع ، واستوقف الرفيق ، ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها ، إذ كان نازلة العمد في الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة المدر ، لانتقالهم من ماء إلى ماء ، وانتجاعهم الكلأ ، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان . ثم وصل ذلك بالنسيب ، فشكا شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة والشوق ، ليميل نحوه القلوب ، ويصرف إليه الوجوه ، وليستدعي به الأسماع إليه ، لأن التشبيب قريب من النفوس ، لائطٌ بالقلوب ، لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل ، وإلف النساء فليس يكاد أحدٌ يخلو من أن يكون متعلقا منه بسبب ، وضاربا فيه بسهم ، حلالٍ أو حرام ، فإذا علم أنه قد استوثق من الإصغاء إليه والاستماع له عقب بإيجاب الحقوق ، فرحل في شعره ، وشكا النصب والسهر وسرى الليل وحر الهجير وإنضاء الراحلة والبعير ، فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء ، وذمامة التأميل وقرر عنده ما ناله من المكاره في المسير ، بدا في المديح ، فبعثه على المكافأة ، وهزه للسماح ، وفضله على الأشباه..."[٢٨] ، ويضيف: "فالشاعر

---

[٢٨] ابن قتيبة – الشعر والشعراء ١– تحقيق : أحمد محمد شاكر– دار الثقافة ، بيروت– ١٩٦٤م– ص٧٤– ٧٥.

المجيد من سلك هذه الأساليب ، وعدل بين هذه الأقسام ، فلم يجعل واحدا منها أغلب على الشعر..."[٢٩].

يرى ابن قتيبة أن مقدمة القصيدة (لاسيما قصيدة المدح) التي اهتم بها النقاد كثيرا ، لابد أن تتألف من الوقوف على الأطلال والغزل ووصف الرحلة ، وفي رأيه أن المقدمة هي نافذة الشاعرأو المدخل الذي يطل منه على رحاب الماضي وذكرياته ، ويتخذ من هذه الذكريات وسيلة لخلق أو إيجاد أجواء مناسبة للدخول في التجربة الشعرية الجديدة .

وهذا الشرط الذي وضعه ابن قتيبة يؤكّده ابن رشيق حين يعيب على الشعراء الذين يدخلون في الموضوع أو الغرض مباشرة ، ولايجعلون لكلامهم بسطا من النسيب ، ويسمي قصائدهم بـ (البتراء)[٣٠].

ونصّ ابن قتيبة يكشف كذلك عن أهميّة المقدمة وسببها ، فالأطلال لذكر أهلها الظاعنين ، حيث إن ذكر الخراب الثابت يكون سببا لذكر الحي المتنقل ، وهذا يدل على عبثية الرؤية التي تخرج الحي من الميت ، أما الغزل فيكون لاستمالة القلوب واستدعاء إصغاء الأسماع ، وهذا يشير إلى وظيفة الشاعر مع المتلقي ، فعندما يكون المتلقي حاضرا في ذهن الشاعر لحظة الإبداع ذلك دليل على انتماء الشاعر إلى جمهوره والتزامه بقضاياه . ويؤكد ابن رشيق هذا فيقول : " وللشعراء مذاهب في افتتاح القصائد بالنسيب

---

[٢٩] الشعر والشعراء ١: ٧٥ - ٧٦.

[٣٠] ابن رشيق- العمدة ١: ٢٣١.

لما فيه من عطف القلوب واستدعاء القبول ، بحسب مافي الطباع من حب الغزل ، والميل إلى اللهو والنساء ، وإنّ ذلك استدراج إلى ما بعده "[٣١].

وابن الأثير (٦٣٧هـ) يشترط أن يكون مطلع الكلام دالا على المعنى المقصود منه ، " إن كان فتحا ففتحا ، وإن كان هناءً فهناءً ، أو عزاءً فعزاءً"[٣٢] ، وكذلك في سائر المعاني ، كما يرى أنه يجب على الشاعر إذا نظم قصيدا أن ينظر ، فإذا كان مديحا صرفا لايختص بحادثة من الحوادث فهو مخير بين أن يفتتحها بغزل أو لا ، ويستشهد بقول أحد الشعراء:

إن حارت الألباب كيف تقـول ... في ذا المقام فعذرها مقبول

سامح بفضلك مادحيك فما لهم ... أبـدا إلى ما تستحق سبيـل

إن كان لايرضيك إلا محسن ... فالمحسنون إذا لـديك قليل

أمّا إذا كانت القصيدة في حادثة من الحوادث ، كفتح أو هزيمة جيش أو غير ذلك ، فإنّه ينبغي ألا تبدأ بالغزل ؛ لأن ذلك يدل على ضعف قريحة الشاعر ، وجهله بوضع الكلام في مواضعه ، ولأن الأسماع تكون متطلعة إلى مايقال في تلك الحوادث والابتداء بذكرها أولى من ذكر الغزل وذلك من باب تقديم المهم[٣٣].

وينبّه ابن الأثير الشاعر ألا يذكر في افتتاح قصيدة المدح ما يتطير منه ، وهذا يرجع إلى أدب النفس لا إلى أدب الدرس.. وقد خصت

---

(٣١) ابن رشيق – العمدة ١ : ٢٢٥.

(٣٢) ابن الأثير – المثل السائر ٢ : ٢٣٦.

(٣٣) ابن الأثير – المثل السائر ٢ : ٢٣٦.

الابتداءات بالاختيار لأنها أول مايطرق الأسماع ، فإذا كان الابتداء لائقا بالمعنى الوارد بعده توفرت الدواعي على استماعه ... وقد عابوا مطلع قصيدة ذي الرمة في عبد الملك :

ما بال عينك منها الدمع ينسكب   كأنها من كلى مفرية سرب

لأن مقابلة الممدوح بهذا الخطاب مستكره وقبيح[٣٤].

كانت تلك بعض الآراء القديمة في تفسير مقدّمة القصيدة ، إلا أنّ هذه التفسيرات لم ترق لدعاة الحداثة ، فالدكتور أحمد إسماعيل النعيمي في كتابه (الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام) يبين لنا بصراحة مقصده عندما يقول : " يبدو أن آراء القدامى ومنهم الجاحظ ، وابن قتيبة ، وابن رشيق الذائعة الصيت المتفاوتة في رصدها للمنهج الفني التقليدي الموروث في القصيدة الجاهلية ، لم تكن تروي ظمأ الباحثين المعاصرين"[٣٥].

والسؤال هنا لماذا ؟ مع أن المنهج العلمي في البحث يحتم علينا أن نثبت صحّة النظرية أو عدم صحتها ، قبل أن نأتي بنظريّة جديدة في الموضوع نفسه ، أمّا أن نتجاوز نظرية بلا إثبات صحتها أو عدمه ، ثم نأتي بنظرية جديدة ، وكأن النظريّة الأولى لم تكن موجودة ، فهذا برأيي الخطأ بعينه ، وإذا أراد الباحث أن يحاول أخذ النظريات من الآداب الأخرى ليطبقها على

---

[٣٤] ابن الأثير – المثل السائر ٢ : ٢٣٦.

[٣٥] أحمد إسماعيل النعيمي – الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام – ط١ – سينا للنشر ، القاهرة – ١٩٩٥م .

أدبنا دون وجه حق ، فقط لأنها غربية ، فإنني أعتقد أن أدبنا العربي لا يقبل إلا ما هو طاهر ونقي .

- رأي المحدثين :

ولقد كثرت آراء المعاصرين في مقدمة القصيدة ، منها رأي المستشرق الألماني فالتر براونه الذي أقام رأيه على تسفيه رأي ابن قتيبة ، فرأى أنّه غريب وغير محتمل ، وبعيد عن الشعراء القدماء لأمرين : أولهما أنّ ابن قتيبة رجل "حضري يعيش في مجتمع بعيد عن البداوة غاية البعد"[٣٦] ، والسبب الآخر أنّ الشاعر الجاهلي " عضو في المجتمع البدوي ، مشترك في حياة عرب الجزيرة وبيئتهم . ومن المفهوم أنّ كل ما يسوقه من وصف للناقة والصحراء ، ومن فخر بالقبيلة وهجاء العدو ، جدير بجذب انتباه مجتمعه. فما الذي يلزمه إلى طلب الإصغاء ، مع أنّه متأكد أنّ وصف البداوة يعجب أصحاب الحي؟ "[٣٧].

إنّ فالتر براونه يربط ظاهرة المقدمات في الشعر الجاهلي بالفلسفة الوجوديّة ، وتفسيره الخاص يقوم على أنّ موضوع النسيب هو " اختبار القضاء والفناء والتناهي "[٣٨] ، ففي رأيه أنّ مايشغل الإنسان هو الخوف من

---

(٣٦) حسين بكار – بناء القصيدة – نقلا عن مقال الوجودية في الشعر الجاهلي لفالتر براونه – ص٢١٨ ، ٢١٩.

(٣٧) حسين بكار – نفسه – ص٢١٩.

(٣٨) نفسه – ص٢١٩.

الفناء والتناهي ، وأنّ الشعر الجاهلي يشهد على قلق الإنسان في علاقته مع الوجود والواقع .

ونحن نرى أنّ فالتر بروانه قد جانب الحقيقة ، فحياة الجاهلي أبسط ممّا تصور ، وتفكيره لم يصل إلى مفهوم الوجوديّة المعقّد .

و يذهب عز الدين إسماعيل مثلما ذهب المستشرق إلى أنّ تفسير ابن قتيبة غير صحيح ، أو غير كاف ؛ لأنّه وغيره لم يحسنوا فهم الظاهرة التي ألزموا بها المحدثين من الشعراء ، ولأنّ فهمهم لها كان موجّها إلى الخارج ، إلى قلوب المتلقين وأسماعهم ، وهو ما يرفضه الناقد كما رفضه براونه ، ويرى أنّ النسيب " كان تعبيرا يجسّم لنا ارتداد الشاعر إلى نفسه وخلوه إليها ، وهو بذلك يعدّ الجزء الذاتي في القصيدة التي يعبر فيها الشاعر عن موقفه من الحياة والكون.."[٣٩].

ويخلص إلى أنّ الشاعر من خلال قطعة النسيب في مطلع القصيدة صوّر إحساسه وموقفه من العناصر الكونيّة ، وقد جمع الشاعر في قطعة النسيب بين عنصرين : أحدهما يذكّر بالفناء وهو (الأطلال) ، والآخر يذكّر بالحياة وهو (الحب / الغزل) ، واجتماع هذين النقيضين وارتباطهما تأكيد لإحساس الشاعر بالتناقض ، سواء أكان في عالمه الخارجي أم الباطني... وهذا ما يفسّر للناقد أنّ مقدّمة القصيدة لم تكن إلا تعبيرا عن أزمة الإنسان الجاهلي وعن موقفه من الكون وخوفه من المجهول .

---

[٣٩] حسين بكار- بناء القصيدة - نقلا عن مقال النسيب في مقدمة القصيدة الجاهلية لعز الدين إسماعيل - ص٢١٩.

وعزّ الدين يعتمد في رأيه على التحليل النفسي ، وهنا نرد عليه برأي عباس العقاد الذي يرى أنّ النقاد النفسيّين يعمّمون الأحكام والتعليلات ، ولا يستندون إلى وقائع أو معلومات ، وبالتالي فإنّ رأيهم هذا مرفوض لأنّه لا ينطبق علي واقع الإنسان العربي قبل الإسلام .

إنّ محاولة تفسير مقدمات القصائد من خلال أعين الغرب مثل فالتر براونه والنظريات الغربيّة قد يوقع الباحث في الخطأ ، ولا يمكّننا أن نطبق نظريّات من تراث شعوب بعيدة كلّ البعد على الأدب العربي ، فالأدب الغربي عندما وصل لهذه النظريات كان له ما يبرّره حيث إنه اعتمد تراث الإغريق القائم على الأساطير ودمجها بالفلسفة ، وبدأ بحوثه الحديثة بناءً على هذا الموروث ، أمّا الأدب العربي خاصّة في مقدمة القصيدة فله خصوصيّة فنيّة نابعة من خصوصيّة البيئة العربيّة ، ويذهب الدكتور نجيب محمد البهبيتي الذي التفت إلى رمزيّة الأغراض الشعرية إلى أنّ المقدّمة الطللية حمت القصيدة العربيّة من أن تشبه القصائد الأخرى ، وجعلت لها هوية عربيّة تختلف عن الآداب الأخرى ، ويتحدث عن القصّة الغراميّة فيقول : "وكلّ ما أريد أن أنبّه عليه الآن هو أنّ هذه القصص الغراميّة خاصّة صورة من صور التعبير الرمزي . أي أنّها نوع من المجاز وليست حقيقة. والحبّ وسيلة من وسائل التعبير التصويرية عن مختلف العواطف والانفعالات البشريّة في الشرق منذ القدم.."[٤٠]. ويتحدث عن الافتتاحيّة الغزليّة فيراها صورة رمزيّة ، فيقول: " وهذا الوجه من وجوه التعبير الرمزي

---

[٤٠] نجيب محمد البهبيتي- تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري- مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة - ١٩٥٠م- ص٩٩.

في الشعر الجاهلي لم يقف عند القصّة ، ولكنه تعداها إلى ذلك الغزل الذي يقدّم به الشاعر لقصيدته ، فهو كذلك لايقصد به الشاعر إلى موضوعه ، وإنما يقصد به إلى غير ذلك ممّا يهم الشاعر أمره ، ويأخذ عليه نفسه ، ومن هنا يأخذ ذلك الاستفتاح الغزلي للقصيدة الجو الذي يعيش فيه الشاعر ، والذي يملي عليه شعره . فالمرأة في ذلك رمز ، وأسماء النساء أسماء تقليدية ، تجري في الشعر عند الشعراء دون وقوع على صاحباتها"[٤١].

ويضع البهبيتي أمثلة منها قول عمرو بن قميئة ، وهو صاحب امرئ القيس ، في رحلته إلى قيصر[٤٢] :

فقد سألتني بنت عمر عن ... الأرضين تنكر أعلامها

لما رأت ساتيدما استعبرت ... لله در اليوم من لامها

تذكرت أرضا بها أهلها ... أخوالها فيها وأعمامها

وسبب بكاء ابنة الشاعر أنّها لمّا فارقت بلاد أهلها ، ووصلت إلى بلاد الروم ، ندمت على ذلك ، وإنما أراد عمرو بن قميئة بهذه الأبيات نفسه ، فكنّى عن نفسه بابنته ، والنصّ يكشف القيمة الرمزيّة لحديث الشاعر عن ابنته .

---

[٤١] نفسه – ص١٠٠

[٤٢] نجيب محمد البهبيتي – تاريخ الشعر العربي– ص١٠٠ ، ١٠١.

ويعتقد الدكتور وهب رومية أنّ "كثيرا من الموضوعات الشعريّة الجاهلية لم تدفع إليها ظروف البيئة وحدها ، ولا فرضها العرف الشعري وحده ، بل هي موضوعات شعريّة استمدها الشعراء من البيئة أو الموروث ، وراحوا يوظفونها للتعبير عن مواقفهم من الحياة .. وعن المشكلات الكبرى"[٤٣] ، فمن وجهة نظره أنّ الشاعر المبدع هو الذي يتناول هذا التقليد الشعري العريق ليعبر عن مشكلة كبرى تؤرق حياته وحياة مجتمعه.

ومن وجهة نظري أوافق الدكتور البهبيتي في أنّ المقدمة الطللية قد حافظت على شخصيّة القصيدة العربيّة ، وصبغت الأدب العربي بهويّة عربيّة تختلف عن الآداب الأخرى ، هنا تكمن قيمة المقدّمة الطللية وأهميتها ، كما تأثرت بها الآداب الأخرى مثل : الشعر الفارسي ، وأصبحت عندهم غرضا قائما بذاته يسمى (شعر الأطلال) ، وفي العصر الحديث وجدت قصائد كاملة في الطلل ، مثل قصيدة (العودة) لإبراهيم ناجي ، أما الخطورة فتكمن في أن الذين رموا القصيدة العربية في العصر الجاهلي بالتفكك دخلوا من هذا الباب وقالوا إن القصيدة عبارة عن أغراض لذلك هي مفككة .

- **دراسة مقدمة زهير بن أبي سلمى :**

وسنقوم بتحليل مقدمة قصيدة زهير لنبين أنَّ هناك علاقة وثيقة بين موضوع القصيدة والمقدمة الطللية فيها ، وأنَّ حبائلَ الربطِ* هي الوسيلة الفنية

---

[٤٣] وهب رومية – شعرنا القديم والنقد الجديد – سلسلة عالم المعرفة ، الكويت – ١٩٩٦م– ص١٤٨.

التي يغزلها الشاعر في مقدمة قصيدته فتصبح القصيدة مترابطة منذ البداية وحتى النهاية .

- **شرح مطلع القصيدة [٤٤] :**

يذكر مؤرخو الأدب أن زهيرا مدح بهذه القصيدة " هرم بن سنان " و"الحارث بن عوف" بطلي السلام والصلح في الحرب التي نشبت بين "عبس وذبيان " . فالقصيدة تتحدث عن فكرتي الحرب والسلام ، وعن هذه الأحلام الجميلة القلقة التي تملأ نفوس الناس ونفس زهير على حد سواء ، يقول زهير في مطلع قصيدته :

١- أمن أم أوفى دمنة لم تكلم   بحومانة الدراج فالمتثلم[٤٥]

منذ مطلع القصيدة يتداخل صوتان اثنان في هذا الاستفهام الإنكاري المثقل بالتوجع " أمن أم أوفى دمنة لم تكلم " هما : صوت الشاعر الرامز لفكرة الحياة / السلم ، وصوت الديار العاجزة عن الكلام الرامز لفكرة الفناء : الحرب . ولايلبث صوت الحياة أن يتغلغل في هذه الديار المقفرة الموحشة ، فيبرز هذا الوشم المتجدد :

٢- ديارٌ لها بالرقمتين ، كأنها   مراجيع وشمٍ في نواشر معصم[٤٦]

---

[٤٤] وهب رومية – شعرنا القديم والنقد الجديد – ص١٤٩– ١٥٦.

[٤٥] شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات – الأنباري – ص٢٣٧.

[٤٦] نفسه – ص٢٣٨.

شبه رسوم الديار بوشم في المعصم جُدّد ورُمّم بعد انمحائه ، هذا الوشم هو رمز لإرادة الحياة وأحلام الجماعة ، أو هو تعويذة ضد هذا الفناء الذي يهدد الديار الصامتة الموحشة .

٣- بها العينُ والأرآم يمشين خِلفةً وأطلاؤها يَنهضنَ من كلِ مجثم[٤٧]

البيت كلّه يوحي بالحياة المتجددة المستقرة ، فالآرام هي ظباء خالصة البياض (رمز السلام وانتهاء الحروب) ، وصيغة الأفعال المضارعة (يمشين ، ينهضن) تدل على الحدوث وتجدد الحياة واستمرارها ، فالشاعر يقول : إنّ في هذه الديار أبقارا وحشية واسعات العيون ، وظباء بيض يمشين خلفها متتابعات ، وتنهض أولادها من مرابضها لترضعها أمهاتها ، فالشاعر يبشّر بالحياة الجديدة ويستنبط صورتها من الطبيعة ، حيث يشبه حياة السلم والأمن والاستقرار بالظباء وبقر الوحش التي نراها أفواجا أفواجا ، والأطلاء تنهض من كل جانب (الطفولة بشارة الحياة الجديدة الناهضة) ، إنها حياة خصبة تشبه حياة الأمومة الحانية الولود بكل مافيها من الخير والتواد والتعاطف.

٤- تبصر خليلي هل ترى من ظعائنٍ تحملنَّ بالعلياءِ من فوق جرثمِ[٤٨]

يلاحظ قارئ الشعر الجاهلي أنّ حديث الظعن ينتشر في صدور كثير من القصائد التي تتحدث عن الحرب والخصومة بين القبائل ، ويتفاوت الشعراء في توليد المعاني ، وتصوير المواقف تفاوتا يكفلُ لكلّ منهم التعبير

---

(٤٧) نفسه – ص٢٣٩.

(٤٨) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات – الأنباري – ص٢٤٤.

عن رؤيته الخاصة. وأول مايلفت النظر في ظعائن زهير أن الشاعر يقوم بدور السارد ويعلق على الأحداث ، والأمر الذي لاشكّ فيه أنّ ظهور رفيقين مع الشاعر على مسرح الأحداث إنّما هو ميراث من الشعراء ، ويعدّ تعبيرا طبيعيا عن ظاهرة ترتبط بما تفرضه البيئة الصحراوية على كلّ مسافر فيها من احتياط لمفاجآتها .. فزهير هنا يوجّه رسالة إلى المجتمع ، ويرمز لهذا المجتمع بالصاحب أو الخليل ، تتحدّث الرسالة عن قضيّة كبرى تشغل بال الشاعر ومجتمعه ، إن زهيرا يخاطب المجتمع ، ويحمّله مسؤوليته الأخلاقية تجاه هذه المسألة الحيويّة التي يتحدث عنها ، ويبدأ حديثه بقوله : " تبصر خليلي " وفعل التبصر هنا لايختص بالرؤية البصرية وحدها ، بل يتسع ليشمل البصيرة أيضا ، هو دعوة إلى التأمل والتفكر والتعقل .

ومن حقنا أن نسأل : ما القضيّة التي تؤرق الشاعر؟ إنها قضيّة الحياة التي تهددها أشباح الحرب .

٥- جعلنَّ القنان عن يمينٍ وحزنهِ وكم بالقنان من محلٍ ومحرمِ[٤٩]

إنّ ما يلفت النظر هذا الانحراف عن النسق العام إلى نسق خاص في قوله "وكم بالقنان من محل ومحرم" ، فقد كان الشاعر يتحدث عن الظعائن ثم انتقل بالحديث عن أمر آخر هو (جبل القنان) ثم عاد مرة أخرى إلى حديث الظعائن ، فهل لهذا الانحراف دلالة ؟

يقول الإخباريون إن بعض الذين خرجوا عن الصلح بين عبس وذبيان اعتصموا بجبل القنان ، إذن لم يعد جبل القنان مكانا جغرافيا فحسب بل

---

[٤٩] نفسه – ص٢٤٥.

وظّفه الشاعر لكي يرمز به لأشباح الحرب التي تهدّد السلم ، وأصبحت رحلة الظعائن رمزا لحياة السلم التي ينبغي أن تكون بمنأى عن كلّ تهديد . كانت هذه الرحلة آمنة مطمئنة عامرة بالجمال والفرح ، وهذا هو سرّ غياب بكاء الشاعر وتصوير لواعجه إثر الظاعنين ، والبكاء عنصر أساسي في حديث الظعن عامّة ، ولدى زهير في غير هذه القصيدة خاصّة ، وهذا يعني أنّ لعناصر الغياب في القصيدة دلالة لاتقل أهمية عن دلالة عناصر الحضور.

٦- فلما وردن الماء زرقا جمامه   وضعن عصي الحاضر المتخيمِ[٥٠]

تعدّ هذه الرحلة رمزا شعريّا لحياة السلم القادمة؛ لذلك انتهت نهاية طافحة بالخير والجمال ، فقد خيّمت هذه الظعائن قرب المياه الغزيرة الصافية التي لم يردها أحد من قبل فيعكّر صفوها ، لتبدأ حياة جديدة يتوافر لها سبب الحياة الأول (الماء) ، قال تعالى: " وجعلنا من الماء كل شيء حي " . إن ما يلفت النظر أنْ نرى هذه الظعائن تتحوّل عن ماء (هو رمز الحياة القديمة ، حياة الحرب) إلى ماء آخر (هو رمز الحياة الجديدة ، حياة السلم).." تحملن بالعلياء من فوق جرثم "... (جرثم ماء لبني أسد) .

٧- وفيهنّ ملهى للصديق ومنظر   أنيقٌ لعين الناظر المتوسمِ[٥١]

وما يلفت النظر في رحلة الظعائن ويؤكد رمزيّتها أنّ جمال الظاعنات ليس مبذولا يراه كل الناس ويتمتعون به ، لكنّه وقف على (الصديق) و(الناظر المتوسم) ، فالأصدقاء الذين تملأ المحبّة مابين

---

[٥٠] شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات – الأنباري – ص٢٥١.

[٥١] نفسه – ص٢٥٢.

جوانحهم ، لا الخصوم الذين تملأ قلوبهم البغضاء ، هم الذين يستطيعون التمتع بهذا الجمال الفتّان ، والناظر المتوسم أي المتبصر هو الذي يصيب ما يعجبه من هذا الجمال البهي ، هذا الناظر المتوسم هو ذلك الخليل الذي دعاه الشاعر في أول حديث الظعن إلى التبصر ، إنه رمز للمصلحين والحكماء وأصحاب العقول الراجحة الذين يستطيعون أن يتبصروا ، فتهديهم بصائرهم إلى مواطن الخير ، أما أولئك الذين لم يرزقوا عقولا راجحة ولابصيرة نافذة لايستطيعون رؤية ذلك الجمال ولا الاستمتاع به .

لم يكن زهيرا عاشقا متيما ، ولكنه كان مصلحا وداعية سلام ، انتدبته الإنسانية في عصره ليعبر عن أحلامها ، فتناول بروح الفنان المبدع هذا التقليد الشعري العريق ؛ ليعبر عن مشكلة كبرى تؤرق حياته وحياة مجتمعه ، هي مشكلة الحرب والسلم .

* الخــاتـمـة :

وبذلك نكون قد وصلنا إلى نهاية البحث حيث تحدّثت فيه عن مقدمة القصيدة في العصر الجاهلي ، وبيّنت أنواعها وشروطها ، وناقشت مجموعة من الآراء النقديّة التي فسّرتها ، ثم أخذت أنموذجا من المقدمة لشاعر من العصر الجاهلي هو زهير بن أبي سُلمى ، وقمتُ بتحليله ، ووصلت إلى أنَّ هناك علاقة وثيقة بين موضوع القصيدة والمقدمة فيها ، وأنَّ حبائلَ الربطِ كانت تلك الوسيلة الفنية التي كان يغزلها الشاعر في مقدمة قصيدته.

ويمكننا القول : إنّ مقدمة القصيدة تعدّ قالبا فنيا عريقا في الشعر الجاهلي ، وفي الوقت نفسه تعدّ جسرا نفسيًا يعبّر من خلاله الشاعر عن ذاته وعواطفه وبيئته ومجتمعه وموقفه من تجارب الحياة والمشكلات الكبرى .

- **المصادر والمراجع :**

أولا : المصادر:

١. الآمدي – الموازنة بين الطائيين– تحقيق : محيي الدين عبد الحميد – ط ٣ – مطبعة السعادة ، القاهرة – ١٩٥٩م .

٢. ابن الأثير – المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر – تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد – البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٣٩م .

٣. ابن رشيق – العمدة في صناعة الشعر ونقده – تحقيق : محيي الدين عبد الحميد – ط٣ ، مطبعة السعادة ، القاهرة – ١٩٦٣م .

٤. ابن طباطبا – عيار الشعر – تحقيق : طه الحاجري وزغلول سلام– شركة فن الطباعة ، القاهرة – ١٩٥٦م .

٥. ابن قتيبة – الشعر والشعراء – تحقيق : أحمد محمد شاكر – دار الثقافة ، بيروت– ١٩٦٤م .

٦. أبو هلال العسكري– كتاب الصناعتين – تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم– ط١– دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة – ١٩٥٢م .

٧. الأنباري – شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات – تحقيق وتعليق : عبدالسلام هارون– ط٥ – دار المعارف ، القاهرة .

٨. الثعالبي– يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر– تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد – ط٢ – مطبعة السعادة ، القاهرة – ١٩٥٦م .

٩. حازم القرطاجني – منهاج البلغاء وسراج الأدباء – تحقيق : محمد الحبيب بن الخوجة – دار الكتب الشرقية ، تونس– ١٩٦٦م .

١٠. ديوان البحتري – تحقيق : حسن كامل الصيرفي – دار المعارف ، القاهرة – ١٩٦٤م.

١١. ديوان المتنبي – بشرح ناصيف اليازجي– المطبعة الأدبية ، بيروت– ١٣٠٥هـ .

١٢. ديوان النابغة الذبياني – مطبعة الهلال ، مصر– ١٩١١م .

ثانيا : المـراجـع :

١٣. أحمد إسماعيل النعيمي – الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام – ط١– سينا للنشر ، القاهرة – ١٩٩٥م.

١٤. سعيد الأيوبي – الصورة والبناء في المراثي الجاهلية ، دراسة الصورة والبناء في ضوء النقد الحديث – سلسلة دراسات وأبحاث – ط١– منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، مطبعة فضالة – ١٩٩٦م.

١٥. عادل جاسم البياتي – دراسات في الأدب الجاهلي ، منطلقاته العربية وآفاقه الإنسانية – ج١– دار النشر المغربية ، الدار البيضاء – ١٩٨٦م .

١٦. نجيب محمد البهبيتي– تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري – مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة – ١٩٥٠م .

١٧. وهب رومية – شعرنا القديم والنقد الجديد – سلسلة عالم المعرفة ، الكويت– ١٩٩٦م.

١٨. يوسف حسين بكار– بناء القصيدة في النقد العربي القديم (في ضوء النقد الحديث) – ط٢– دار الأندلس ، بيروت – ١٩٨٢م.

ابن جبير
الرحالة والشاعر العربي الأندلسي

الدكتورة ندى عبد الرزاق محمود الجيلاوي
وزارة التربية

الملخص :

بحثنا عن ابن جبير الرحالة والشاعر العربي الأندلسي في سيرته الشخصية والعلمية ، وأسس البحث التاريخي عند ابن جبير من حيث منهجه وأسلوبه ، ومنها رحلاته الثلاث التي قام بها فكانت الأولى والثالثة بدافع ديني وهو الحج إلى بيت الله الحرام ، اما الرحلة الثانية فكانت لدافع سياسي ، ومن بين رحلاته الأولى والمدوّنة وأهمية وشهرة هذه الرحلة وما لها من مكانة في الأدب الجغرافي والأكثر في قيمتها التاريخية التي جذبت اهتمام الجغرافيين والمؤرخين من العرب والمستشرقين برحلة ابن جبير والأخذ عنه بما تغني وتفيد مادتهم سواء التاريخية منها أو الجغرافية ، والمعلومات المهمة عن الحقبة التاريخية التي أمضاها ابن جبير متجولا بين بلدان المشرق خلال حكم الدولة الأيوبية والغزو الصليبي لمصر وبلاد الشام ، وعن العلاقات بين المسلمين والمسيحيين وعن أحوال المسلمين في العهد النورماندي في جزيرة صقلية .

المقدمـة :

ابن جبير الكاتب والرحالة والشاعر والمحدث العربي ، رحالة عربي أندلسي ، وعلم من أعلام الرحلة في الأدب الجغرافي العربي ، واختيارنا لابن جبير جاء من أهمية رحلته الأولى والمدوّنة وشهرتها ، وما لها من مكانة مرموقة في الأدب الجغرافي ، ولكن قيمتها التاريخية أكثر من قيمتها الجغرافية ، فقد قدم لنا ابن جبير من خلال رحلته المدوّنة وهي الرحلة الأولى سنة ٥٧٨هـ/١١٨٥م ، معلومات مهمة عن الحقبة التاريخية خلال المدة التي أمضاها متجولا بين بلدان المشرق خلال حكم الدولة الأيوبية والغزو الصليبي ، ورسم لنا صورة واضحة عن السلطان صلاح الدين الأيوبي وانجازاته في مصر والشام والحجاز وإصلاحاته الدينية والعمرانية وتوطيد دائم العدل والاستقرار ، كما أشار إلى العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بين المسلمين والمسيحيين في بلاد الشام والتسامح الديني بينهم ، ووضع المسلمين في جزيرة صقلية في إثناء حكم النورمان .

اما قيمتها الجغرافية فهي اقل أهمية ، لان ابن جبير لم يهتم بالجانب الطبيعي كالسطح والمناخ والموارد المائية ، إلا أشارات محدودة عن الجبال والصحارى والأنهار ، كما أهمل المظاهر الاقتصادية كالصناعة والزراعة واكتفى بوصف عام ، وقد ركز على الجوانب الثقافية والدينية ، وقد ترك لنا رحلته المدوّنة والمشهورة وديوان شعر ورسائل نثرية كسبت بعض الشهرة ، لكن رحلته التي ضمنت له مكانة عظيمة في الأدب الجغرافي .

وتكمن أهمية ابن جبير ورحلته وما احتوت من مواضيع متنوعة ، في تصوير حياة ذلك العصر ، فقدمت لنا وصفا حيا لمصر والشام عندما بدأت

فيها حركة التحرير والجهاد الإسلامي ضد الصليبيين بقيادة السلطان صلاح الدين الأيوبي ، وقد سجل ابن جبير في أثناء رحلته هذه يوما بيوم مشاهداته وانطباعاته التي كانت من أهم مصادر كتابة الرحلة عن المدن والبلدان والشعوب التي تعرّف عليها مما جعل رحلته سجلا أمينا للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لأقطار البحر المتوسط الإسلامية ، فضلا عما تميزت به من وصف حي للمدن والأقاليم ، وعن إشارات تاريخية وطبوغرافية ومناخية ، وذاعت شهرة هذه الرحلة بين الجغرافيين والمؤرخين ، واقتبس منها العديد من الرحالة والمؤرخين ، وكذلك اعتبرت رحلة ابن جبير من قبل المستشرقين ذات قيمة نفيسة ، فترجموا أول شيء القسم الخاص بصقيلة إلى اللغة الفرنسية ، ثم طبعت الرحلة كلها لأول مرة سنة ١٨٥٢م ، وتلتها تحقيقات وطبعات أخرى للرحلة .

ولأهمية رحلة ابن جبير اعتبره المستشرقين الأب الشرعي لهذا النمط من الكتابة الأدبية الجغرافية العربية ، وبالرغم ما حملته الرحلة من عناوين إلا ان عنوان الرحلة الأصل هو " تذكرة الأخبار عن اتفاقيات الأسفار" لكن هذه الرحلة لم تشتهر إلا بـ " رحلة ابن جبير " .

أولا : سيرة ابن جبير الشخصية والعلمية :

أ- سيرته الشخصية :

١- اسمه وكنيته ونسبه .

هو محمد بن احمد بن جبير بن سعد بن جبير بن محمد بن عبد السلام الكناني البلنسي ، الشاطبي ، الأندلسي ، المالكي ، يكنى

بـ (أبو الحسن) ، والمعروف بابن جبير الكناني [1] ، وكان من الأسماء المحببة إلى أسرته ، فقد حمله الكثيرون من قبله[2] .

---

[1] انظر ترجمته في : المراكشي ، محمد بن محمد الأنصاري الأوسي ، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تحقيق : أحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٥م ، ج٥ ، ص٥٩٥ ؛ حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله (ت١٠٦٧هـ/١٦٥٧م) ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، إعادة طبعه بالاوفست ، منشورات مكتبة المثنى ، بغداد ، (د٠ت) ، ج٦ ، ص١٠٩ ؛ لسان الدين ابن الخطيب ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله التلمساني (ت٧٧٦هـ / ١٣٧٤ م) ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق : محمد عبد الله عنان ، مطبعة دار المعارف ، القاهرة ، (د٠ت) ، ذخائر العرب ١٧ ، ج٢ ، ص٢٣٠ ؛ المقري ، احمد بن المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ/١٦٨٣م) ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، حققه وضبط غرائبه وعلق حواشيه : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط١، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م ، ج٣،ص١٤٢ ؛ ابن العماد الحنبلي ، أبي الفلاح عبد الحي (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٩م) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، (د٠ت) ، ج٥ ، ص٦٠ ؛ ابن الآبار ، محمد بن عبد الله (ت١١٩٩هـ/١٢٦٠م) ، التكملة لكتاب الصلة ، صححه : عزت العطار الحسني ، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٥٦م ، ص٥٩٨ ؛ الزركلي ، خير الدين ، الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) ، ط٣ ، بيروت ، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م ، ج٦ ، ص٢١٤ ؛ الموسوعة العربية الميسرة ، ط٢ المحدثة ، دار الجيل ، الجمعية المصرية ، (د٠ت) ، م١ ، ص١٧ .

[2] كراتشكوفسكي ، اغناطيوس يوليا نوفتش ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، نقله إلى العربية : صلاح الدين عثمان هاشم ، قام بمراجعته : ايغور بليايف ، لجنة ←

اما نسبه : فيرجع إلى إحدى الأسر العربية العريقة التي قدمت من المشرق مع القائد العربي المشهور بلج بن بشر بن عياض القشيري ، وسكنت الأندلس في سنة ١٢٣هـ/٧٤٠م ، وابن جبير من ولد ضمرة بن كنانة بن بكر بن عبد مناة بن خزيمة بن مدركة بن الياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[٣].

٢- مولده ونشأته .

اختلف المؤرخون في مولد ابن جبير ، فقد ذكره لسان الدين ابن الخطيب[٤] ، في سنة ٥٣٩هـ /١١٤٤م ، في حين جعله المقري[٥] ، ليلة

التأليف والترجمة والنشر ، جامعة الدول العربية ، ١٩٥٧م ، ق١ ، ص٢٩٩ ؛ حميدة ، الدكتور عبد الرحمن ، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم ، دار الفكر ، دمشق ،١٣٨٩هـ/١٩٦٩م ، ص٣٢٢ .

[٣] لسان الدين ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج٢ ، ص٢٣٠ ؛ مال الله ، الدكتور علي محسن عيسى ، " العراق في رحلة ابن جبير خاصة " ورحلات العرب الأخرى ، مجلة المورد ،١٤١٠هـ/١٩٨٩م ، م١٨ ، ع٤ ، ص٥٩ ؛ اسود ، الدكتور فلاح شاكر ، ابن جبير في رحلته قراءة في الجوانب الجغرافية للرحلة ، مجلة المورد ،١٤١٠هـ/١٩٨٩م ، م١٨ ، ع٤ ، ص٧٢ ؛ حميدة ، أعلام الجغرافيين العرب ، ص٣٢٢ .

[٤] الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج٢ ، ص٢٣٠ .

[٥] نفح الطيب ، ج٣ ، ص١٤٢ .

السبت عاشر ربيع الأول سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م[٦] ، في بلنسية[٧] .

اما نشأته : فقد أوردت بعض المصادر عن نشأته تحت رعاية واهتمام والده احمد الذي كان من كتّاب شاطبة[٨] ، ورؤسائها وله منزلة اجتماعية مرموقة ، حيث أتم ابن جبير دراسته في شاطبة ، وأراد والده ان يكون ابنه (ابن جبير) مثله ، فرعاه رعاية تامة ، وعني بتربيته ، فكان له الأب والمعلم ، ووالده هو أول أستاذ اخذ منه العلم ثم درس العلوم الدينية واللغوية على أيدي معلمين محترفين ، فشغف ابن جبير منذ صباه بالعلم شغفا ملك كل حواسه ، ولم يفارقه طوال حياته[٩] .

---

(٦) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٥ ، ص٦٠ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج٦ ، ص٢١٤ ؛ اسود ، العراق في رحلة ابن جبير خاصة ، ص٧٢ ؛ خصباك ، الدكتور شاكر ، كتابات مضيئة في التراث الجغرافي ، مطبعة دار السلام ، بغداد ، ١٩٧٩م ، ص١٦٦ ؛ ضيف ، الدكتور شوقي ، الرحلات ، ط٤ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٢٦ م ، ص٧٠ .

(٧) بَلَنْسية : كورة ومدينة مشهورة بالأندلس متصلة بحوزة كورة تدمير وهي شرقي تدمير وشرقي قرطبة ، وهي برية بحرية ، وتعرف بمدينة التراب . انظر : ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) ، معجم البلدان ، ط٢ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٥م ، م١، ص٤٩٠ .

(٨) شاطبة : مدينة في شرقي الأندلس وشرقي قرطبة ، وهي مدينة كبيرة قديمة ، ويجوز ان يقال ان اشتقاقها من الشَّطبة وهي السعفة الخضراء الرطبة . انظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، م٣ ، ص٥٩ .

(٩) ضيف ، الرحلات ، ص٧٠ ؛ مال الله ، العراق في رحلة ابن جبير ، ص٥٩ .

٣- وفاته .

توفي ابن جبير في الإسكندرية بمصر في أثناء رحلته الثالثة إلى المشرق في شهر شعبان **سنة** ٦١٤هـ /١٢١٧م ، وقبره بالإسكندرية[١٠] ، ويبدو أنه لم يرجع إلى مسقط رأسه مرة أخرى بعد هذه الرحلة الثالثة التي أمضى أكثر من عشر سنوات متنقلا بين مكة وبيت المقدس والقاهرة والإسكندرية مشتغلا بالتدريس والأدب إلى ان انتقل إلى جوار ربه الكريم في هذه المدينة الأخيرة[١١] .

ب - سيرته العلمية :

١- تحصيله العلمي .

سبق أن ذكرنا في نشأة ابن جبير ، انه حظي باهتمام وتشجيع من والده على الدراسة منذ طفولته واستمر معه شغف العلم حتى وفاته ، فدرس العلوم الدينية واللغوية من فقه وحديث وقراءات ، وما اتصل بها من علوم

---

[١٠] ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج٥ ، ص ٦١ ؛ ابن سعيد المغربي ، علي بن موسى (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) ، المغرب في حلي أهل المغرب ، حققه وعلق عليه : الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، (د٠ت) ، ص٣٨٤ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج٦ ، ص٢١٤ ؛ خصباك ، كتابات مضيئة في التراث الجغرافي العربي ، ص١٦٧ ؛ مال الله ، العراق في رحلة ابن جبير خاصة ، ص٦٠ ؛ الموسوعة العربية الميسرة ، م١، ص١٧ .

[١١] اسود ، ابن جبير في رحلته ، ص٧٢ ؛ كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ق١ ، ص٢٩٩ ؛ ضيف ، الرحلات ، ص٧١ ؛ حميدة ، أعلام الجغرافيين العرب ، ص٣٢٤ ؛ شمس الدين ، إبراهيم ، مقدمة تقديم وتعليق : رحلة ابن جبير ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ، ص٧ .

اللغة العربية والنحو والأدب ، فرغبته في العلوم الدينية واللغوية يسّرت له من ناحية أخرى مواهبه الشعرية والأدبية من نثر وشعر وهذه المواهب نراها من خلال رحلته المدوّنة وهي تضمنت الفن القصصي ، وهو من أنواع فنون الأدب العربي[١٢] ، فولعه وتمكنه بالأدب والشعر أعانته كثيرا على تدوين رحلته التي قام بها احتسابا لوجه الله تعالى ، بأسلوب أدبي رفيع وعلمي دقيق جعلته في مصاف الخالدين والمشهورين ، وعلما من أعلام الرحلة في الأدب الجغرافي العربي[١٣] .

٢- ابن جبير الشاعر .

على الرغم من تفوق ابن جبير في العلوم الدينية واللغوية ، برع في الجانب الأدبي ، فهو شاعر غزير الإنتاج . وقد ذكر المؤرخون انه مدح من اتصل بهم من الموحدين ، لكن هذا في بداية نظمه للشعر ، وبالرغم من ذلك لم يصل الينا شيء من ذلك المديح[١٤] ، ولشدة إعجابه بصلاح الدين الأيوبي[١٥] ، وعدله وحبه للمسلمين عامة وتيسيره قوافل الحجاج فانه نظم فيه مدائح وصل الينا بعضها ، ومن شعره :

---

[١٢] ضيف ، الرحلات ، ص٧٠ ؛ خصباك ، كتابات مضيئة ، ص١٦٦ ؛ مال الله ، العراق في رحلة ابن جبير ، ص٥٩ .

[١٣] اسود ، ابن جبير في رحلته ، ص٧٢ ؛ حميدة ، أعلام الجغرافيين العرب ، ص٣٢٢ .

[١٤] لسان الدين ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج١ ، ص٢٣١ .

[١٥] هو السلطان صلاح الدين ، أبو المظفر ، يوسف بن أيوب بن شاذي ، صاحب الديار المصرية والشامية والفراتية واليمنية ، استوزره العاضد الفاطمي ، وبعد مرض العاضد ووفاته ، قطع صلاح الدين خطبته وخطب للعباسيين ، وقام السلطان ←

وإذا أحب الله يوماً عبده ألقى عليه محبة للناسِ [١٦]

ومن خلال الاستدلال بالرحلة على تاريخ ما اتصل بأحداثها من شعر ، واغلبه ديني يصور الحج وزيارة قبر الرسول محمد (ﷺ) ومشاهدة الآثار الدينية ، وبقية شعره يودع فيه أهله ووطنه ، ويتشوق إليهم في المواطن والمواسم الدينية ، والشعر الديني أكثر ما بقي من شعره لما كان عليه من تديّن وتصّوف[١٧] .

ومن شعره :

طول اغتراب وبَرْح شوقٍ لا صبر واللهِ لي عَلَيْهِ

إليك أشكو الذي ألاقــي يا خير من يشتكى إليه

ولي بغرناطــةٍ حبيــب قد علق الرَّهن في يديه

صلاح الدين في الفترة ما بين سنة ٥٨٣هـ و٥٨٩هـ/١١٨٧ و١١٩٣م بحملة الجهاد الكبرى في فلسطين وبلاد الشام عامة من الاحتلال الصليبي . توفي السلطان صلاح الدين سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م . انظر : الزركلي ، الأعلام ، ج٨ ، ص٢٢٠ .

[١٦] ابن جبير ، أبي الحسن محمد بن احمد بن جبير الكناني الأندلسي (ت٦١٤هـ/١٢١٧م) ، رحلة ابن جبير ،

وهي الرسالة المعروفة تحت اسم " اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك "، قدم له ووضع

حواشيه وعلق عليه : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ، ص٧٧ .

[١٧] ابن جبير ، م٠ن ، ص ٦٩-٩٩ ، ١٢٥-١٣٦ ، ١٤٣-١٥٣ .

ودعته وهو بارتماضٍ يظهر لي بعض ما لديه[١٨]

والموضع الثاني الذي أكثر فيه النظم في الجانب الأدبي هو الرثاء ، ويبدو انه لم يرثِ غير زوجته أم المجد عاتكة بنت الوزير أبي جعفر الوقشي ، التي كان يحمل لها أعظم الحب . ماتت بسبتة[١٩] ، ولم يستطع البقاء بها ، وقام برحلته الثالثة والأخيرة إلى المشرق ليخفف من أعباء حزنه ، وفي تلك الأثناء اخذ يعبر عن حزنه وفقدانه زوجته شعرا ملأ به ديوانا خاصا سماه " نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح " فكان أول ديوان عربي ، افرده شاعر عربي لرثاء زوجته الراحلة والبكاء عليها[٢٠] .

٣- شيوخه ومعاصروه وتلاميذه .

ذكرنا في موضوع نشأة ابن جبير ان أول أستاذ كان له هو والده الذي سمع منه ، واخذ منه العلم ، ثم تتلمذ على أيدي علماء محترفين سمع منهم ، واخذ عنهم ، وأجازوا له ، وفي أماكن متعددة ، ففي مدينة شاطبة مكان أقامته الأولى ، نذكر منهم على سبيل المثال ، أبا الحسن بن محمد بن أبي العيش الذي اخذ عنه علم القراءات ، وعن أبي الحجاج بن يبقا بن يسعون اخذ اللغة العربية ، فكان ابن جبير يسعى إلى علمائه في كل مكان حط به ، ولم يقتصر على علماء الأندلس ، بل كان له أساتذة ممن لقيه في

---

(١٨) ابن سعيد المغربي ، المغُرب في حلي المغرب ، ج٢ ، ص٣٨٤ .

(١٩) سبتة : بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب العربي . انظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، م٣ ، ص٣٠٠ .

(٢٠) شمس الدين ، رحلة ابن جبير ، ص٩ .

مدينة سبتة ومكة وبغداد وحران ودمشق وغيرها . ففي مدينة سبتة اخذ العلم عن أبي عبد الله بن عيسى التميمي السبتي ، وأجاز له العالم أبو الوليد يوسف بن عبد العزيز بن الدباغ[٢١] . وفي دمشق سمع من أبي الطاهر الخشوعي ، وأجاز له أبو محمد بن أبي عصرون ، وأبو محمد القاسم ابن ، وغيرهما ، ممن شهدوا له جميعا بالفضيلة والعلم[٢٢] .

اما معاصروه ، ففي رحلاته التقى بأكابر العلماء كابن الجوزي أبي الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) ، صاحب كتاب (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم) ، والمشهور في بغداد ، والتقى بصدر الدين محمد بن عبد اللطيف الخجندي رئيس الشافعية باصبهان[٢٣] ، وكانت بينهما بعض المخاطبات الشعرية ، وقد أعجب ابن جبير بخلقه وبعلمه حتى خاطبه قائلا :

يا من حواه الدين في عصره ... صدرا بحل العلم منه الفؤاد

ماذا يرى سيدنـــا المرتضـــى ... في زائرٍ يخطب منه الوداد [٢٤]

---

(٢١) المراكشي ، الذيل والتكملة ، ج٥ ، ص٥٩٥ ؛ ابن الآبار ، التكملة لكتاب الصلة ، ص٥٩٨ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج٣ ، ص١٤٢ ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج٥ ، ص٦٠-٦١ .

(٢٢) المقري ، نفح الطيب ، ج٣ ، ص١٤٣ .

(٢٣) مال الله ، العراق في رحلة ابن جبير خاصة ، ص٥٩ .

(٢٤) المراكشي ، الذيل والتكملة ، ج٥ ، ص٥٩٦ ؛ لسان الدين ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج٢ ، ص٢٣١ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج٣ ، ص١٤٤ ؛ مال الله ، العراق في رحلة ابن جبير ، ص٦٠ .

اما عن أشهر تلاميذه على سبيل المثال لا الحصر فهو احمد بن عبد المؤمن الشريشي ، شارح مقامات الحريري في المغرب العربي ، وكثيرون الذين تأثروا به ، ومنهم الحافظان أبو محمد المنذري ، وأبو الحسين يحيى ، وعلي القرشي بالقاهرة ، وفخر القضاة بن الجياب ، وابنه جمال القضاة في الإسكندرية[٢٥] .

٤- وظائفه .

عندما بلغ ابن جبير السّن الذي يستطيع فيه ان ينفرد بحياته العملية ، ويضطلع بأعبائها ، احترف الكتابة ، وبما ان أباه كان من أشهر كتّاب مدينة شاطبة ، ورغبة أبيه بان يكون ابنه مثله ، فعمل ابن جبير كاتبا لبعض الأمراء من الموحدين الذين كانوا يسيطرون على الأندلس والمغرب في ذلك الوقت ، ومن أشهر من اتصل به أبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن ، الذي عقد له أبوه على ولاية سبتة وطنجة[٢٦] في سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م ، ولما خضعت غرناطة في جنوب اسبانية لسلطان الموحدين سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م ، أضافها عبد المؤمن إلى ولاية ابنه أبي سعيد . ويبدو ان ابن جبير بدأ حياته العملية بالاتصال ببعض أقارب الأمير أبي سعيد بغرناطة ،

---

[٢٥] المراكشي ، الذيل والتكملة ، ج٥ ، ص٥٩٦ ؛ مال الله ، م٠ن ، ص٥٩ .

[٢٦] طنجة : مدينة في الإقليم الرابع ، بلد على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء ، وهو في البر الأعظم وبلاد البربر . انظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، م٤ ، ص٤٣ .

ثم ما لبث ان التفتت إليه أنظار الأمير ، وتقرب إليه فضمه إلى كتّابه ، وتنقل معه بين غرناطة وسبته [٢٧] .

ولم يقتصر عمله على عمل الكتابة وحدها ، وإنما عمل بالتدريس ولاسيما بعد رحلته الثانية ٥٨٥هـ/١١٨٩م إلى الشرق ، فانقطع مدة في مدينة فاس للتحديث ورواية ما عنده وممارسة التصوف ، وكذلك فعل ذلك عندما كان في المشرق[٢٨] .

٥- رحلاته :

- الرحلة الأولى في سنة ٥٧٨هـ/١١٨٣م

يذكر المؤرخ المقري[٢٩] عن سبب رحلة ابن جبير الأولى سنة ٥٧٨هـ/١١٨٣م ، في ان أمير غرناطة أبا سعيد استدعاه يوما ليؤلف فيه كتابا وهو في مجلس شرابه ، وحدث ان دفع إليه كأسا فاظهر ابن جبير الانقباض وقال : " يا سيدي ما شربتها قط " غير ان الأمير غضب وقال : " والله لتشربن منها سبعا " فلما رأى ابن جبير منه الإصرار لم يستطيع إلا الإذعان وشرب ، وأحس الأمير بشيء من الندم ، أو لعله أراد ان يكافئ ضيفه على مجاملته له ، فقدم له سبعة أقداح مملوءة بالدنانير الذهبية وصبها في حجره فحملها ابن جبير إلى بيته وعزم ان يكفرّ عن شربه الخمر بأداء

---

[٢٧] شمس الدين ، رحلة ابن جبير ، ص٧ ؛ مال الله ، العراق في رحلة ابن جبير ، ص٥٩ .

[٢٨] شمس الدين ، رحلة ابن جبير ، ص٧ .

[٢٩] نفح الطيب ، ج٣ ، ص ١٤٥ .

فريضة الحج ، وباع ملكا له ليتزود به ، وانفق تلك الدنانير الذهبية في سبيل البر ، واستأذن الأمير أبا سعيد في الحج لكيلا يمنعه ، وابلغه انه اقسم قسما لا رجعة فيه ان يحج في تلك السنة فأذن له [٣٠] .

فبدأ رحلته إلى الأراضي الحجازية في شوال سنة ٥٧٨هـ/١١٨٣م برفقة صديقه أبو جعفر احمد بن الحسن بن احمد بن الحسن القضاعي ، وكان من مدينة بلنسية ، وكان من رجال الطب والعلم والأدب ، فرحلا معا[٣١] ، فابن جبير في سن مبكرة رحل حيث كان عمره وقتذاك ٣٨ سنة متوجها للحج فغادر غرناطة ، وخط سير رحلته معروف لنا جيدا بفضل الإشارات الدقيقة والتواريخ المحددة للرحلة ، فقد مر بسبته وسار بمحاذاة سواحل سردينيا وصقلية حتى دخل ميناء الإسكندرية ، ومنها ركب النيل إلى القاهرة ، ثم غادرها إلى صعيد مصر فوصل بلدة قوص التي قطع منها الصحراء الشرقية إلى البحر الأحمر ليستقل من ميناء عيذاب ، وهو المرفأ المعهود للحجاج على البحر الأحمر ، ونزل بجده ، واخذ قافلة إلى مكة حيث أقام هناك نحو نصف عام ، ثم زار المدينة في طريقه إلى الكوفة ، وتوقف في بغداد وسامراء فالموصل فحلب ومنها إلى دمشق التي أمضى بها بضعة أشهر قبل ان يغادر الأراضي الإسلامية ، لان السواحل الشامية كانت آنذاك في قبضة الصليبيين ، وكان من حسن طالعه ان تعرف إلى المشرق وهو لا يزال ينعم بالازدهار والأمن في ظل السلطان صلاح الدين الأيوبي ، فدّون مشاهداته فيه بأسلوب بارع ، ولكنه خالٍ على كل حال من تصنع

---

[٣٠] المقري ، نفح الطيب ، ج٣ ، ص١٤٥-١٤٦ .

[٣١] م٠ن ، ج٣ ، ص١٤٣ ، ١٤٥ ؛ اسود ، ابن جبير في رحلته ، ص٧٢ .

المحترفين ، من دون ان يتنكر يوما لثقافته الفقهية ، ومن ميناء عكا ركب ابن جبير سفينة مسيحية فنزل بصقلية وذلك بعد رحلة طويلة حافلة بالمشاق لم تخل من كوارث هددت السفينة أكثر من مرة بالغرق ، وفي هذه المرة استطاع ان يتعرف على جزيرة صقلية عن كثب وانها لا تزال إسلامية في المحل الأول ، وفي نيسان من سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م وصل الى غرناطة بعد غيبة دامت أكثر من عامين(٣٢).

- الرحلة الثانية في سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م .

قام ابن جبير برحلته الثانية في سنة ٥٨٥هـ /١١٨٩م عندما بلغه نبأ فتح بيت المقدس على يد صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٣هـ /١١٨٧م ، الذي تعلقت به آنذاك أنظار المسلمين بوصفه بطلا يعرف كيف يحقق الانتصارات ، وأراد ان يزور هذه الأماكن وعَلَمُ الإسلام والعرب يرفرف عليها ، واستمرت هذه الرحلة سنتين ، وعاد إلى بلاده في سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م ، ولكننا لم نجد أية تفاصيل عن هذه الرحلة ، التي نستخلص من السنوات ان عمره آنذاك كان ٤٥ سنة في رحلته الثانية(٣٣) .

---

(٣٢) المقري ، نفح الطيب ، ج٣ ، ص ١٤٥-١٤٦ ؛ حميدة ، أعلام الجغرافيين العرب ، ص٣٢٣-٣٢٤ ؛ كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ق١ ، ص٢٩٩ ؛ خصباك ، كتابات مضيئة في التراث الجغرافي العربي ، ص١٦٦ ؛ ضيف ، الرحلات ، ص ٧٠-٧١ . ولمعرفة تفاصيل هذه الرحلة . انظر : ابن جبير ، رحلة ابن جبير .

(٣٣) حميدة ، أعلام الجغرافيين العرب ، ص٣٢٤ ؛ ضيف ، الرحلات ، ص٧١ ؛ كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ق١، ص٢٩٩ .

- الرحلة الثالثة في سنة ٦٠١هـ/١٢٠٤م .

عندما عاد ابن جبير إلى بلاده في سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م من رحلته الثانية ، ماتت زوجته فحزن عليها حزنا شديدا ، وقد خصها بديوان من شعره ، ولم يجد عزاء عنها إلا ان يحج إلى بيت الله الحرام وكانت رحلته الثالثة والأخيرة ، فقد بدأها من سبتة سنة ٦٠١هـ/١٢٠٤م ، وكان قد بلغ الثالثة والسبعين من عمره ، ويبدو أنه لم يرجع إلى مسقط رأسه مرة أخرى بعد رحلته الثالثة التي أمضى فيها أكثر من عشرة أعوام متنقلا بين مكة وبيت المقدس والقاهرة والإسكندرية مشتغلا بالتدريس والأدب حتى وفاته[٣٤] .

٦- مكانته العلمية .

كان ابن جبير على جانب عظيم من المزايا العالية ، والخلق الرفيع ، فوصفه احدهم ، بأنه " كان أديبا " بارعا ، وكاتبا بليغا ، وشاعرا مجيدا ، فاضلا نزيه الهمة سري النفس ، كريم الأخلاق ، أنيق الطريقة في الخط[٣٥] . وقال ابن الخطيب[٣٦] إنه :" كان كريم الأخلاق ذا نظم فائق ، ونثر بديع ، كلامه مرسل سهل ، وتغراضه جليلة ، ومحاسنه ضخمة ، وذكره شهير وله حكم مستجادة " ، نستشف من هذا الوصف مكانة ومنزلة ابن جبير العلمية منها والأدبية ، وما تمتع به ابن جبير من أسلوب في

---

[٣٤] حميدة ، أعلام الجغرافيين العرب ، ص٣٢٤ ؛ ضيف ، الرحلات ، ٧١ ؛ كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ق١، ص٢٩٩ .

[٣٥] لسان الدين ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ،ج٢،ص٢٣١ .

[٣٦] م٠ن ، ج٢ ، ص٢٣١ .

الكتابة والخط ، وتناوله للمواضيع وكيفية طرحها ونقدها سواء بالكتابة شعرا أم نثرا ، ويذكر أيضا :" هو من علماء الأندلس بالفقه والحديث والمشاركة في الآداب ......" .

اما المقري[٣٧] فيذكر :" أن ابن جبير من أهل المروءات ، وعاشق في قضاء الحوائج ، والسعي في حقوق الأخوان ، والمبادرة لإيناس الغرباء " . وفي ذلك يقول ابن جبير عن نفسه ، عندما قطع احد الأغصان الصغيرة من شجرة كبيرة ، عندما كان في دمشق ، فانشد قائلا :

لا تغتربْ عن وَطنٍ — واذكر تصاريف النوَى

اما ترى الغضن إذا — ما فارق الأصل ذوَى[٣٨]

لقد تمتع ابن جبير بمكانة مرموقة بين الناس من خلال خدمة الناس وقضاء حوائجهم حتى كان بوده ان يخدم الناس عن إسداء المعروف والعمل الصالح ، وهذه النفحة الإنسانية الخالصة لوجه الله تعالى التي جاءت من تأدبه بآداب الإسلام ، وتشعبه بحب الرسول (ﷺ) وآل بيته الأطهار ، نعم لقد كان ابن جبير مؤمنا ناسكا ، متمسكا بدينه ، وعقيدته حتى قيل عنه ان الدعاء " عند قبره مستجاب " وقد " عني بالآداب فبلغ فيها الغاية ، وتقدم في صناعة القريض وصناعة الكتابة ، ونال بها دنيا عريضة ، ثم رفضها وزهد فيها "[٣٩] .

---

[٣٧] نفح الطيب ، ج٣ ،ص ١٤٢ ، ١٤٤ .

[٣٨] المقري ، نفح الطيب ، ج٣ ، ص١٤٢ .

[٣٩] م٠ن ، ج٣ ، ص ١٤٤ ؛ مال الله ، العراق في رحلة ابن جبير ، ص ٦٠ .

٧- **مؤلفاته .**

ذكر حاجي خليفة[٤٠] مؤلفات ابن جبير وهي :-

- " رحلة ابن جبير الكناني " وهي رحلته الأولى المشهورة والمطبوعة .
- " نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح " ، وهو ديوان شعر نظمه عن زوجته .
- " نظم الجمان في التشكي من أخوان الزمان " ، وهو ديوان شعر عن سخط الزمان وأخوانه .

ثانيا :- أسس البحث التاريخي عند ابن جبير :

أ- منهج ابن جبير وأسلوبه .

مر ابن جبير في رحلته بمصر ، وشبه الجزيرة العربية ، والعراق ، والشام ، وصقلية ، وشاهد مدنها الكبيرة ، فصورها ووصفها في كتابه تصويرا ووصفا يتفاوت طولا وقصرا وفقا للمدة الزمنية التي أقامها بها ، والانطباعات التي خلفها في نفسه ، وأهمية ما رأى أنها تستحق لكي يدونها ، نستشف ونستخلص من خلال طريقة ابن جبير أي منهجه في وصف المدن في ثلاث نواح : المرافق ، والمشاهد ، والارباض . وتضم المرافق في رأيه : الأسوار ، والحصون ، والمساجد ، والمدارس ، والحمامات ، والمياه ، والأسواق ، والمارستانات ، والمنازل ، والشوارع ، والأبواب ، في حين تضم المشاهد في رأيه ، المقابر ، والموالد ، وآثار الأنبياء والعلماء والأولياء

---

(٤٠) كشف الظنون ، ج٦ ، ص ١٠٩ .

والمواقــع والآثــار الإســلامية ، والمعابــد والكنــائس ، ومواقــع وآثــار غيــر إسلامية ، في حين تضم الارباض الأحياء والضواحي السكنية ، وفي هذا الجانب لا يصف كل ذلك في كل مدينة ، بل التي يتعرض لها ويصفها ، فنجد انه يأتي على ذكرها أحيانا ويهمل الأخرى[٤١] .

ومن خلال كتابه نجد اهتمامه وعنايته بالغرباء ، ومواطنيه المغاربة خاصة : في كيفية معاملتهم من قبل الحكام وشعوبها ضمن الأقطار التي مر بها ، فيشيد بفضلهم وينبذ من يجفوهم[٤٢] .

ينفرد في كتابه بمدح السلطان صلاح الدين الأيوبي والتغني بأفضاله وجهوده الحربية والسلمية ، سواء شعرا أو نثرا ، وينتهز كل فرصة للثناء عليه[٤٣] .

ويذكر لكل إقليم نواحيّ خاصة تغلبت عليه ، من طبيعة ولون الحياة فيه ، فأكثر ما تحدث عنه في مصر المشاهد والآثار ، وفي الحجاز الشعائر والمواسم والاحتفالات الدينية ، وفي العراق الوعظ والوعاظ ، وفي الشام المسجد الأموي والجوانب السياسية والاقتصادية من الحياة بين المسلمين

---

(٤١) انظر : ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص ٢٥، ٣٢-٣٣، ٣٨، ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٣-٤٤، ٦٦، ٨٤، ٨٨، ٩١، ١٢٩، ١٤٣ ، ١٥٠، ١٧٨-١٧٩، ١٨٥، ٢٠٣ ، ٢٠٥، ٢١٢، ٢٢٤، ٢٥٧ .

(٤٢) م.ن ، ص٦٤، ٢٢٢-٢٢٣ .

(٤٣) م.ن ، ص ٣٤ ، ٤٦ ، ٢٣١ .

والصليبيين وحياة الدماشقة الاجتماعية ، وفي صقلية أحوال المسلمين ومشاعرهم تحت حكم الملك غليوم ، وسياسته نحوهم[٤٤].

فابن جبير يدوّن مشاهداته على صورة مذكرات يومية وليس كتاب متصل مطرد ، فنسق هذه المذكرات وفقا لمراحل الرحلة هو أو بعض تلاميذه . فاثر ذلك في عبارته تأثيرا كبيرا . فهي قريبة من اللغة العامية ، تتضمن بعض الألفاظ العامية والضمائر فيها مختلة لا تسير وفقا للقواعد العربية ، بل على القواعد العامية ، ولاسيما في المثنى الذي يعامل كالمؤنث في اغلب المواضع ، وبعض الجمل تكون منفصلة لا يوجد ترابط بينها في كثير من الأحيان ، وبالرغم من ذلك ، فانه يفتتح الكلام عن المدن الهامة بفقرة تتزين بالسجع والجناس . وقد أعجب القدماء والمؤلفين المحدثين بفقراته المجودة وبعباراته المرسلة لسهولتها وطبيعتها وجمالها غير المتكلف ولا المصنوع[٤٥] .

وبما ان هدف ابن جبير هو الحج ، فقد ألزمه ان يسلك طريقا واضحا هو طريق الحجاج من الأندلس حيث البحر المتوسط إلى الإسكندرية ثم نهر النيل ثم البحر الأحمر ثم البادية باتجاه العراق والشام والبحر المتوسط مرة أخرى . حيث الرجوع إلى مقر سكناه في الأندلس ، وان هذه الرحلات كانت

---

[٤٤] م٠ن ، ص٢٢، ٢٤، ٣٣، ١٠٢، ١١٩، ١٢٥، ١٣٥، ١٤١، ١٥٧، ١٧١، ٢٣٦، ٢٣٧-٢٣٨، ٢٥١- ٢٥٢ .

[٤٥] شمس الدين ، رحلة ابن جبير ، ص ١٩ .

تسير بشكل قوافل مما لا يتيح لابن جبير ان يبتعد كثيرا عن هذا الطريق ، لذا فانه اقتصر على تدوين ما شاهده خلال هذا الطريق أو قريبا منه[٤٦] .

وعلى الرغم مما ورد في رحلة ابن جبير من معلومات جغرافية ذات قيمة كبيرة باعتبار ان ما ورد عن طريق جانب من جوانب الدراسة الميدانية وهي المشاهدة الشخصية والتدوين اليومي لهذه المشاهدة ، ولاسيما أنه كان متمكنا من حيث الثقافة والقدرة الفائقة في التدوين والكتابة والتعبير من دون ان يطيل أو يسهب في العرض ، كذلك ان هذه الرحلة لدقتها خلت تماما من الأساطير والخرافات ، ولا يوجد بها أي تحيز لأي جانب من الجوانب[٤٧] .

ب – أهمية رحلة ابن جبير :

قامت شهرة ابن جبير على كتابه الذي دوّن فيه أخبار رحلته الأولى والتي وصفها على شكل يوميات أو مذكرات وقد كتبها بعد رجوعه سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م وعنوانه غير معروف لنا بالتحديد ، ويوجد له عنوانان ، هما :" اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك " وهي الرسالة المعروفة تحت هذا الاسم ، والاسم الأخر " تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار " . ويمكن القول ببساطة ان العنوان ربما كان " رحلة الكناني " نسبة إلى القبيلة التي ينتمي إليها ، ولكن كتاب ابن جبير اشتهر فيما بعد تحت اسم " الرحلة " التي يروي فيها حجته الأولى إلى مكة ، والذي لا يعتبر أول

---

[٤٦] شمس الدين ، رحلة ابن جبير ، ص ١٩ .

[٤٧] اسود ، ابن جبير في رحلته ، ص ٧٣ .

كتاب من هذا النمط بل أيضا يعد نموذجا يحتذى به بالنسبة للآخرين ، فيسرد فيها يوما فيوما ، والمصاعب والمخاطر التي تعرض لها . وقد وصف بإسهاب واسع المدن والأقطار التي مر بها ، من وادي النيل ، ومكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، وبغداد ، والموصل ، وحلب ودمشق وصقلية ، كما يقدم لنا معلومات مهمة عن حياة السكان وتقاليدهم وعاداتهم ، بأسلوب أدبي قصصي ، فهو يوجز عن وصف المدن والأقاليم ويجيد في اللمحات العامة عن الأقاليم ، ويكثر في وصف الناس وصفا متحركا ويظهر الرحلة ويقدمها تقديما بارعا ومميزا [٤٨] .

وكان دقيق الملاحظة ، صادق التعبير ، متنوع الالتفاف ، والموضاعات التي طرحها ، وكان العصر الذي قام فيه برحلته ، عصر الحروب الصليبية ، الذي كان مهما للمسلمين والمسيحيين والغربيين والشرقيين ، فقد لفتت رحلته رحلته الأنظار منذ صدورها ، وجذبت الكثير من القراء والدارسين في النواحي المختلفة ، فكثر الحديث عنها ، وكثر الأخذ منها والاهتمام بها[٤٩] .

يذكر المقري[٥٠]، في انتشار الرحلة في عصره أنَّ " له رحلة مشهورة بأيدي الناس " ، اما لسان الدين بن الخطيب[٥١]، ويقول :" رحلته نسيجة

---

[٤٨] حميدة ، أعلام الجغرافيين العرب ، ص٣٢٤-٣٢٥ ؛ كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ق١، ص ٢٩٩ - ٣٠٠ .
[٤٩] شمس الدين ، رحلة ابن جبير ، ص ٢٠ .
[٥٠] نفح الطيب ، ج٣ ، ص ١٤٤ .
[٥١] الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج٢ ، ص٢٣١ .

وحدها طارت كل مطار " ، ويقول : " صنف الرحلة المشهورة ... وهو كتاب مؤنس ممتع مثير سواكن الأنفس إلى تلك المعالم " .

اما حاجي خليفة[٥٢] ، فيذكر :" له رحلة ابن جبير الكناني مشهور ومطبوع " .

وقد استرعى كتاب ابن جبير اهتمام المؤلفين المحدثين والمستشرقين لما له من قيمة كبيرة ، ومنها ما قاله الدكتور نقولا زيادة اللبناني :" عني كاتبها بالرسوم الدينية والنواحي الاجتماعية عناية فائقة ..... وهو في كل هذا دقيق الملاحظة ، سوي العبارة ، واضح الأسلوب . وقد اثر ابن جبير في كثير من الكتّاب الذين جاؤوا بعده"[٥٣]

وقال الدكتور محمد زغلول سلام المصري :" تُعد درّة من دُرَر أدب الأسفار والرحلات ..... بل يمتاز فيها بَملكَة لا قطة مصوَّرة "[٥٤].

واما المستشرقون ومنهم بونس بويجس (Pons Boigues) فقد أشاد بالرحلة وكاتبها ، وعدّ حديث ابن جبير عن الآثار ، وصقلية ، عظيم الأثر ، ولاسيما إهمال المؤرخين معالجة أحوال المسلمين في العهد النورمندي بالجزيرة وتفاهة ما كتبوه عنهم ونوه بأسلوب الرحالة ، وأعجب بوصفه

---

(٥٢) كشف الظنون ، ج٦ ، ص ١٠٩ .

(٥٣) شمس الدين ، رحلة ابن جبير ، ص ٢٠ .

(٥٤) م٠ن ، ص ٢٠ .

العواصف ورأى ما رسمه لها من صور جدير بالنقل والترجمة لصدقه وحيويته وجماله[٥٥] .

ومنهم الايطاليون الذين وجهوا عنايتهم إلى نص الرحلة ذاته ، فتناول وليم رايت (William Right) ، النسخة الوحيدة الموجودة منها ، وحققها ونشرها في ليدن (Leiden) سنة ١٨٥٢م ، ثم راجع المحقق ما طبعه واشترك في تصحيحه من كبار المستشرقين وهم : دوزي (Dozy) ، وروبرتسون سميث (Robertson Smith) ، ودي غويه (De Goeje) ، وأعادوا نشر الكتاب في ليدن (Leiden) سنة ١٩٠٧م في مجموعة تحمل اسم جب (Gibb). وحقق المستشرق الايطالي أماري (Amari) القسم الخاص بصقلية من رحلة ابن جبير ونشره مع ترجمة فرنسية . واعتمد على الرحلة المستشرق كرولا (Crolla) في بحثه عن صقلية في العهد النورمندي ، وغير ذلك ما قام به المستشرقون من عناية وتحقيق ونشر رحلة ابن جبير[٥٦].

واقتبس من رحلة ابن جبير العديد من المؤرخين والجغرافيين مشيرين إلى اسمه تارة واخذ قطع كبيرة منه في مصنفاتهم تارة أخرى ، فمن بين الرحالة اخذ عنه العبدري في رحلته منها في وصف مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وخالد بن عيسى البلوي في رحلته " تاج المفرق في تحلية علماء المشرق " في وصف الإسكندرية والقاهرة ومكة المكرمة والمدينة المنورة

---

(٥٥) م٠ن ، ص ٢٠ .

(٥٦) م٠ن ، ص ٢١ ؛ حميدة ، أعلام الجغرافيين العرب ، ص ٣٢٥ .

خاصة ، وابن بطوطة في رحلته في وصف حلب ودمشق خاصة ، ومن بين المؤرخين ، اخذ عنه لسان الدين بن الخطيب ، والمقريزي ، والمقري الذي حفظ روايات عديدة هامة منه ، وتلميذه احمد بن عبد المؤمن الشريشي (ت٦١٩هـ/١٢٢٢م)[٥٧] .

الخاتمـــة :

لاحظنا من خلال بحثنا هذا ان ابن جبير الذي لم يقم برحلة واحدة ، بل قام بثلاث رحلات ، قصد فيها جميعا الحج ، الذي كان مقصد كل الراحلين من المغرب إلى المشرق ان لم يكن كلهم ، والذي وهب الأدب العربي مجموعة من أجمل ما عرف من رحلات ولاسيما إذا أضفنا إليه طلب العلم ، وابن جبير لم يدوّن أخبار هذه الرحلات الثلاث كلها في كتابه ، بل اقتصر على رحلته الأولى وحدها ، وكل رحلة من هذه الرحلات كانت لها دوافعها الأولى ، كان الدافع هو الحج ، والثانية كانت عندما سمع بفتح صلاح الدين الأيوبي لبيت المقدس واستيلائه عليه من أيدي الصليبيين ، وما يكنه من حب وإعجاب بشخصية صلاح الدين الأيوبي وبعدله وإصلاحاته العمرانية والدينية كان قد امتدحه كثيرا في أبيات شعر . اما رحلته الثالثة والأخيرة فكانت بعد وفاة زوجته والتي حزن عليها حزنا شديدا ، وقد خصها بديوان من شعره ، ولم يجد عزاء عنها إلا ان يحج إلى بيت الله الحرام .

---

[٥٧] شمس الدين ، رحلة ابن جبير ، ص٢١ ؛ كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ق١، ص٣٠٠.

نستطيع ان نستخلص من رحلاته ان رحلته الأولى والثالثة كانت لدافع ديني ، اما رحلته الثانية فكانت لدافع سياسي حماسي .

عني ابن جبير عناية فائقة في تقسيم المدن بثلاث أنواع : المرافق ، المشاهد ، الارباض . وتضم المرافق الأسوار والحصون والمساجد والحمامات والمياه والأسواق والمارستانات والمنازل والشوارع والأبواب ، وتضم المشاهد المقابر والموالد وآثار الأنبياء والعلماء والأولياء والمواقع الإسلامية والمعابد والكنائس والآثار غير الإسلامية ، ويقدم ابن جبير إحصائية لكل نوع من هذه المرافق ، مثلا عدد الحمامات في بغداد وعددها في دمشق ، اما بشكل مضبوط أو تقريبي .

وأهمية ما قدمه ابن جبير من معلومات وأخبار ذات قيمة تاريخية وهي التي امتازت به رحلته أكثر من قيمتها الجغرافية عن عصر الحروب الصليبية وحكم الدولة الأيوبية في مصر وبلاد الشام ، وعن العلاقات بين المسلمين والمسيحيين ، وعن أحوال المسلمين في العهد النورماندي في جزيرة صقلية ، وهذا ما جذب اهتمام الجغرافيين والمؤرخين من العرب والمستشرقين في الاهتمام والعناية برحلة ابن جبير ، في الأخذ عنه والنقل عن رحلته في بعض الجوانب وبعض المدن التي تفيد وتغني مادتهم سواء التاريخية منها أو الجغرافية .

قائمة المصادر :

ابن الآبار ، محمد بن عبد الله (ت١١٩٩هـ /١٢٦٠م)

١- التكملة لكتاب الصلة ، صححه : عزت العطار الحسني ، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٥٦م .

ابن جبير ، أبي الحسن محمد بن احمد بن جبير الكناني الأندلسي (ت٦١٤هـ/١٢١٧م) .

٢- رحلة ابن جبير (وهي الرسالة المعروفة تحت اسم " اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك " ، قدم له ووضع حواشيه وعلق عليه : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .

حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله (ت١٠٦٧هـ/١٦٥٧م)

٣- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، إعادة طبعه بالاوفست ، منشورات مكتبة المثنى ، بغداد ، (د٠ت) ،ج٦ .

ابن سعيد المغربي ، علي بن موسى (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) .

٤- المغّرب في حلي أهل المغرب ، حققه وعلق عليه : د٠شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، (د٠ت) .

ابن العماد الحنبلي ، أبي الفلاح عبد الحي (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٩م)

٥- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، (د٠ت) ،ج٥ .

لسان الدين ابن الخطيب ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله التلمساني (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م) .

٦- الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق : محمد عبد الله عنان ، مطبعة دار المعارف ، القاهرة ، (د٠ت) ، ذخائر العرب ١٧ ، ج٢ .

المراكشي ، محمد بن محمد الأنصاري الأوسي .

٧- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تحقيق : أحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٥م ، ج٥ .

المقري ، احمد بن المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ/١٦٨٣م)

٨- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، حققه وضبط غرائبه

وعلق حواشيه : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط١، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م ، ج٣ .

ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)

٩- معجم البلدان ، ط٢ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٥م ، م١، م٣ ، م٤ .

قائمة المراجع :

اسود ، الدكتور فلاح شاكر .

١٠- ابن جبير في رحلته قراءة في الجوانب الجغرافية للرحلة ، مجلة المورد ، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م ، م١٨ ، ع٤ .

حميدة ، الدكتور عبد الرحمن .

١١- أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم ، دار الفكر ، دمشق ، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .

خصباك ، الدكتور شاكر .

١٢- كتابات مضيئة في التراث الجغرافي ، مطبعة دار السلام ، بغداد ، ١٩٧٩م .

الزركلي ، خير الدين .

١٣- الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) ، ط٣، بيروت ،١٣٨٩هـ/١٩٦٩م ، ج٦ ،ج٨ .

شمس الدين ، إبراهيم .

١٤- رحلة ابن جبير ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .

ضيف ، الدكتور شوقي .

١٥- الرحلات ، ط٤ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٢٦م .

كراتشكوفسكي ، اغناطيوس يوليا نوفتش .

١٦- تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، نقله إلى العربية : صلاح الدين عثمان هاشم ، قام بمراجعته : ايغور بليايف ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، جامعة الدول العربية ،١٩٥٧م ، ق١ .

مال الله ، الدكتور علي محسن عيسى .

١٧- " العراق في رحلة ابن جبير خاصة " ورحلات العرب الأخرى ، مجلة المورد ،١٤١٠هـ/١٩٨٩م ، م١٨، ع٤ .

١٨- الموسوعة العربية الميسرة ، ط٢ المحدثة ، دار الجيل ، الجمعية المصرية ، (د٠ت) ، م١.

قراءة في كتاب (شعراء طائيون)

الدكتور عبداللطيف حمودي الطائي
كلية الآداب – جامعة بغداد

الملخص :

كتاب (شعراء طائيون) جمع شعره وحققه السيد عبدالأمير مهدي الطائي ، ونشره في طبعة أولى سنة ١٤١١هـ – ١٩٩٠م ، وهو جهد كبير بذله الطائي في التنقيب عن الشعر في بطون الكتب والمصادر المختلفة : الأدبية واللغوية والتاريخية وأيام العرب وكل ما له صلة بالشعر العربي القديم ، وقد نجح في تقديم هذا الإرث العربي الأصيل النقي إلى قرائه ، إذ كان الرجل وفيا لقبيلته ، لذلك ساهم في تسجيل مآثرها وقيمها في هذا الكتاب ، فاستحق الشكر والتقدير والثناء على عمله ، والكتاب في حقيقة أمره كُتيب لا يتجاوز المائة صفحة ، وقد ذُكر فيه أثنا عشر شاعرا ، فالكتاب مهما برع مؤلفه وأتقن صنعه ، وبذل فيه ما بذل من الجهد إلا أنه لم يحط بكل ما يتعلق به ، وعندما قرأته وجدت فيه بعض الهفوات والأوهام ، فأغراني ذلك في أن أكتب هذا البحث وهذا المستدرك ، لأرفع من قيمة الكتيب وشأنه عند القراء ، واستدراكي يتمثل في ثلاثة محاور ، المحور الأول وفيه قمت بتصويب بعض الأخبار التي ذهبت بعيدا عن هدفها ، والمحور الثاني ، كان مستدركا على مصادر التخريج ؛ مما لم يقف عليها السيد عبدالأمير الطائي ، والمحور الثالث هو مستدرك شعري للشعر الذي لم يقف عليه المؤلف .

المقدمـة :

كتاب (شعراء طائيون) جمع شعره وحققه السيد عبدالآمير مهدي الطائي ، ونشره في طبعة أولى سنة ١٤١١هـ . ١٩٩٠م ، وهو جهد كبير بذله الطائي في التنقيب عن الشعر في بطون الكتب والمصادر المختلفة : الأدبية واللغوية والتاريخية وأيام العرب وكل ما له صلة بالشعر العربي القديم ، وقد نجح في تقديم هذا الإرث العربي الأصيل النقي إلى قرائه ، إذ كان الرجل وفيا لقبيلته ، لذلك ساهم في تسجيل مآثرها وقيمها في هذا الكتيب ، فاستحق الشكر والتقدير والثناء على عمله ، والكتيب في حقيقة أمره لا يتجاوز المائة صفحة ، وقد ذُكر فيه أثنا عشر شاعرا، وعندما قرأت الكتيب (شعراء طائيون) ، أفرحني العنوان ، وشدني لقراءته ، فوجدت فيه هفوات وأوهاما ، فأغراني ذلك في أن أكتب هذه القراءة وهذا المستدرك ، لأرفع من قيمة الكتيب وشأنه ، واستدراكي يتمثل في ثلاثة محاور ، المحور الأول وفيه قمت بتصويب بعض الأخبار التي ذهبت بعيدا عن هدفها ، والمحور الثاني ، كان مستدركا على مصادر التخريج ؛ مما لم يقف عليها السيد عبدالأمير الطائي ، والمحور الثالث هو مستدرك شعري للشعر الذي لم يقف عليه المؤلف ، وكان لدي مستدرك على شعر عدي بن حاتم الطائي ، إلا أنَّ السيد قيس العطار جمع شعر عدي وحققه ، وسبقني في نشره ، مما جعلني أغضُ النظر عنه مكتفيا بما نشره العطار ، ولكن حين وجدت السيد عبدالأمير الطائي قد نشر شعر عدي بن حاتم في كتابه ؛ قررت نشر مستدرك على ما جمعه السيد عبدالأمير .

١- طيّء بن أدد :

في الصفحة ١٢ قال : ((كان فارسا شجاعا ، لا يهاب ، وشاعرا مذكورا)) ؛ هذا القول كبير فيه نظر ؛ فالقسم الأول منه لا غبار على صحته ، أما كونه شاعرا مذكورا ، وهذا ما لا يمكن السكوت عليه ؛ ولا يمكن قبوله مطلقا ، فمن قال ذلك ومن روى شعره ، وأين ذلك الشعر ، علما أنَّ المدة الزمنية الفاصلة بين وفاة جلهمة (طيّء) وشروق شمس الإسلام ، تربو على أربعة عشر جيلا ، على افتراض أنَّ في كل قرن أربعة أجيال ، فتكون المدة الزمنية عند ذاك أكثر من أربعة قرون ونصف ، والأربعة عشر جيلا تمثل سلسلة نسب عارق الطائي[1] ، وطبقا لما رواه الجاحظ [2] من أنَّ الشعر صغير السن ، يتراوح عمره بين المائتين والمائة والخمسين سنة ، فعليه يكون جلهمة خارج دائرة الشعر ، وما دام الأمر هكذا فكيف يكون شاعرا مذكورا ؟ وليس له من الشعر شيء سوى عدة أبيات من الرجز لا يتجاوز عددها العشرة [3] .

وقال في الصفحة نفسها : قال :

اجعل ظريبا كحبيبٍ يُنسى   لكلِّ قومٍ مُصبحٍ وُمْمسى

---

(١) شعراء طائيون : ٢٦ .

(٢) الحيوان : ١ / ٧٤ .

(٣) شعراء طائيون : ١٣ .

وفي الهامش الثامن قال : نُسِبَ هذا البيت إلى أسامة بن لؤي بن الغوث بن طيّء في معجم البلدان : ٩٩/١ ، وهو أول من نزل الجبلين ، أجأ وسلمى ، وفي المتن قال : إنَّ طيئا (حمل من جبله باليمن إلى جبلي طيّء أجأ وسلمى بنجد في شبه جزيرة العرب ، فنسبا إليه ، وأقام بهما حينا) والخبر الأخير لم يسنده إلى مصدر ، في حين أنَّ الخبر الذي في الحاشية أسنده إلى معجم البلدان ، فهذا التقاطع ينقض الخبر ، ويؤكد أنَّ الشطرين هما لأسامة وليسا لطيّء ، وأنَّ طيئا مات باليمن .

وفي الصفحة الثالثة عشرة ، الهامش الرابع عشر قال : (هذا البيت هو عجز البيت الثالث عشر ، وبهذا أسقطناه لتكراره) ، والتكرار الذي قال عنه موجود في الشعر العربي ، فالحارث بن عبّاد البكري في يوم تحلاق اللمم كرر الشطر الأول من قصيدته ذات المطلع [٤] :

كل شيء مصيره للزوال   غير ربي وصالح الأعمال

الى أن يقول في البيت السابع عشر :

قربا مربط النعامة مني   لقحت حرب وائل من حيال

فقد كرر صدر البيت أربع عشرة مرة ، والنعامة هي فرسه ، وقد رد عليه المهلهل في قصيدة كرر فيها صدر البيت عدة مرات في قوله :

قربا مربط المشهر مني ....

---

[٤] أيام العرب : ١٦١ .

والمشهر هي فرس المهلهل بن ربيعة ، وقد ورد التكرار في القرآن الكريم في عدة سور فقد تكررت أكثر من آية كريمة ؛ في أكثر من سورة ؛ وعلى سبيل المثال سورة الرحمن وآية ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ ؛ وعليه وطبقا لما قاله السيد عبدالأمير علينا أن نحذف كلَّ بيت أو شطر مكرر ونسقطه ، وهذا لا يجوز لأنَّ الشعراء قصدوه ، وهذا الرجز ذكر منه ياقوت الحموي سبعة أبيات فقط وهي كما يأتي (١، ٢ ، ٥ ، ٦ ، ٨ ، ٩ ، ١٠) .

خرج شعرا من مهد العرب ومن آل ربيعة الطائيون ، وهما مرجعان ولا يجوز التخريج منهما .

٢ – سيف بن وهب الطائي[٥] :

لم يذكر السيد عبدالأمير له من الشعر شيئا سوى هذه القطعة اليتيمة ، والبالغ عدد أبياتها ستة أبيات ؛ وعده شاعرا ؛ وأخذ موقعه بين الشعراء ، ومصادر الأدب العربي القديمة كافة لم تذكر له غير هذه القطعة ، فهل كل من قال قطعة أو قصيدة هو شاعر ؛ ولابد أن نصنع له ديوانا ؟ هذا لا يجوز أبدا وإلا فعموم العرب قبل الإسلام كانت تقول الشعر ! ولو اكتفى بذكره في كتابه أعلام طيّء لكفى ، ولكن الرجل كرره مرتين .

---

[٥] شعراء طائيون : ٢٥ .

٣ – عروة بن زيد الخيل الطائي [٦] :

قال : توفي بعد سنة ٣٧هـ والصواب بعد سنة ٤٠هـ ، ذلك لأنَّهُ شهد مع الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) يوم النُّخيلة ؛ وفي هذا الموضع (النُّخيلة) تجمع الخوارج ، بعدما خرجوا على الإمام علي ، وكان عروة بن زيد الخيل ممن حاربهم ومصداقية ذلك قول الشاعر عروة نفسه :

ويوما بأكناف النُّخيلة قبلها   شهدتُ ولم أبرحْ أُدمى وأُكلم

واللافت للنظر أنَّ السيد عبدالأمير يقول : في الهامش الحادي عشر (النُّخيلة موضع بالكوفة) ، وهو الموضع الذي تجمع فيه الخوارج في أول أمرهم .

٤– خُريم بن أوس الطائي [٧] :

وهذا الشاعر مثل الشاعر سيف بن وهب الطائي ، لم يصل إلينا من شعره سوى هذه القصيدة وهي متدافعة بينه وبين العباس بن عبدالمطاب ، والتي بموجبها سطره السيد عبدالأمير شاعرا ، والحق أنَّ موقعه وموقع سيف هو في كتب الحماسات ، والقصيدة ليست لخُريم بل هي للعباس بن عبدالمطلب يمدح فيها خير البرية رسول الله محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ، ولكنَّ اللافت للنظر أنه يعرف ذلك ؛

---

[٦] م ٠ ن : ٣٣ .
[٧] م ٠ ن : ٣٨ .

ومع ذلك يثبتها لخُريم ؛ فالقصيدة وردت في معجم الشعراء [٨] وفي معجم لسان العرب[٩] معزوة للعباس بن عبدالمطلب ، فأي دليل بعد ذلك أدل على أنها ليست لخُريم ؛ وأما رواية صاحب الحماسة البصرية فهي تقع في دائرة الوهم ليس إلا [١٠] فضلا عن كونه متأخر زمانا عن المرزباني وابن منظور .

٥- عبدالله بن خليفة الطائي [١١] :

عبدالله من أنصار الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأصحابه الخُلص ، وبعد استشهاد الإمام علي أصبح من أصحاب حجر بن عدي الكندي ، وهو من أشد المعارضين لسياسة معاوية بن أبي سفيان ؛ وعندما طلب معاوية من زياد بن أبيه واليه على الكوفة أن يرسل له حجر بن عدي الكندي وأصحابه ، كان عبدالله ممن طلبهم معاوية [١٢] ، فأرسل زياد بكر بن حُميران الأحمري في ثلة من أصحابه للقبض على عبدالله بن خليفة ، فوجدوه في مسجد عدي بن حاتم الطائي يصلي ، فأمسكوا به ؛ وأخرجوه من المسجد بالقوة ، لكنَّ عبدالله كان أبي النفس شجاعا فقاتلهم ؛ فرموه بالحجارة حتى سقط ، فنادت أخته ميثاء : (يا معشر طيّء أتسلمون لسانكم وسنانكم) ،

---

[٨] معجم الشعراء : ٢٦٢ .

[٩] لسان العرب ، مادة : صلب .

[١٠] الحماسة البصرية : ١/١٩٣ .

[١١] شعراء طائيون : ٣٩ .

[١٢] تاريخ الطبري : ٦/ ١٤٩ . ١٥٨ .

فيما صاحت أخته النوار : (يا طيّء أ تسلمون سنانكم ولسانكم عبدالله بن خليفة) ، فحمل الطائيون على بكر وجماعته وهزموهم ، وخلصوا عبدالله من قبضتهم ، ثم بعد ذلك سجن زياد بن أبيه عدي بن حاتم الطائي ، وطالبه بإحضار عبدالله بن خليفة ، ولكنَّ عديا أمر عبدالله قبل ذلك بالذهاب إلى جبلي طيّء في نجد إلى أن تهدأ العاصفة ، وتعهد له أن يعيده الى الكوفة ، لذلك قال عبدالله بن خليفة معاتبا عديا :

وكم عدة لي منك أنك راجعي فلم تغنِ بالميعاد عني حبترا

....

جزى ربه عني عدي بن حاتم برفضي وخذلاني جزاءً موفرا

ولكنَّ عدي بن حاتم الطائي لم يستطع الوفاء لعبدالله ؛ لأنَّ الكوفة بعد استشهاد عدي ابن حجر الكندي ماجت بالإضطرابات ، واستعرت بالفتن ، والعاصفة بدلا من أن تهدأ ، ارتفع صفيرُها ؛ واشتد زئيرُها ، حتى أنَّ عديا نفسه لم يتحمل العيش فيها ؛ فغادرها مرغما إلى قرقيسيا بعد أن أخذ الأمويون يشتمون الإمام علي بن أبي طالب والحسن والحسين (عليهم السلام) على منابر الكوفة جهرا وعلانية بمراي ومسمع من المسلمين ، وهذا الحال ما لا يتحمله عدي وتأنف أذناه سماعه .

شارك عبدالله بن خليفة في معارك تحرير العراق وفتحه ، فقد ذكر مشاركته في معركة البويب ؛ وفيها قتل المُسوَّر أحد مساعدي مهران قائد الفرس ، وأنه كرَّ على مهران ، ولكنه لم يتمكن منه فقال :

وكري على مهران والجمع حاسرٌ وقتلي الهمام المستميت المُسوَّرا

ومهران هو قائد جيش الفرس في معركة البويب تعاور على قتله المنذر بن حسان الضبّي وجرير بن عبدالله البجلي [١٣] .

وشارك في معارك جلولاء ونهاوند وتستر فقال [١٤] :

ويوم جلولاء الوقيعة لم ألم ويوم نهاوند الفتوح وتسترا

كما شارك في معارك سجاس وأبهر ، فقال [١٥] :

ولم استحث الركض في إثر عصبة ميممة عُليا سجاس وأبهرا

وكذلك شارك في معارك فتح قزوين وشروين وقندهار ، فقال [١٦] :

ولم أر في خيل تطاعن بالقنا بقزوين أو شروين أو أغزُ كُندرا

٦- منفوسة بنت زيد الخيل الطائي [١٧] :

توهم السيد عبدالأمير ، فقال : إنَّ منفوسة هي بنت زيد الخيل الطائي ؛ والصواب هي بنت زيد الفوارس الضّبي ، وهي كما قال زوج الصحابي قيس ابن عاصم المنقري التميمي ، وقد أكدت المصادر التي

(١٣) تاريخ الطبري : ٣/ ٣٧٢ ، فتوح الإسلام : ٣١ . ٣٢ ، مروج الذهب : ١/ ٣٩١ ، فتوح البلدان : ٣٨٩ .

(١٤) شعراء طائيون : ٤٦ .

(١٥) م ٠ ن : ٤٨ .

(١٦) م ٠ ن : ٤٨ .

(١٧) م ٠ ن : ٤٠ .

روت الرجز ذلك [18] ، وكان عليه حذفها ؛ لأنها ليست طائية ؛ والرجز عبارة عن ثلاثة أشطر ، وهل ثلاثة أشطر من الرجز تصنع من صاحبها شاعرا ! لست أدري ، فالجواب عند السيد عبدالآمير الطائي .

٧- الطرماح بن عدي الطائي [19] :

الطرماح ليس شاعرا ؛ شأنه شأن منفوسة بنت زيد الفوارس ، وليس له شعر ، وكل ما وصل الينا من آثاره قطعتا رجز يحدو بهما الإبل ، والرجل ومن خلال الرجز هو حادي إبل ، كان يعمل دليلا للمسافرين في الصحراء ، وكان دليلا للإمام الحسين (عليه السلام) في طريقه إلى كربلاء ؛ واستشهد معه في واقعة الطف ، والقطعة الثانية قالها خلال حدوه لقافلة الإمام الحسين (عليه السلام) .

٨- حُريث بن زيد الخيل الطائي [20] :

حُريث بن زيد الخيل ، لم يقف له السيد عبدالأمير على شعر إلا هذه القطعة المكونة من خمسة أبيات فقط ، والقطعة مضطربة في أبياتها على قلتها بين تقديم وتأخير وتبديل مفردات ، والقطعة ذكرها أبو تمام في ديوان حماسته في الصفحة ٣٤٩/١ وليس كما قال السيد عبدالأمير في الصفحة ٤٩٢/١ ، وعنه أخذها ابن قتيبه وذكرها في

---

[18] أمالي المرتضى : ٢/ ٢٨٦ ، العباب الزاخر مادة : زكأ ، لسان العرب مادتي : زكأ ، وَكَلَ .

[19] شعراء طائيون : ٦٩ .

[20] م ن : ٥١ .

الشعر والشعراء في الصفحة ٢٨٦/١ وليس كما قال في الصفحة ٢٠٦/١ ؛ ولحرُيث شعر في حروب الردة ؛ ونصرة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في حروبه ؛ والصحيح أنَّ حُريث بن زيد الخيل الطائي ، شاعر جاهلي أدرك الإسلام فأسلم ، وحسن إسلامه ، وامتد به العمر ليدرك الخلافة الراشدة ، وكان له موقف مشرف في حروب الردّة ، إذ شارك عدي بن حاتِم الطائي في منع قبيلة طيّء من الإرتداد ، وبعد ذلك قاتل المرتدين ، ولاسيما طليحة بن خويلد الأسدي فقال [٢١] :

ألا أبلغ بني أسد جميعا　　　وهذا الحيُ من غطفان قيلي

بأنَّ طليحة الكذاب أمسى　　　عدو الله حادَ عن السبيلِ

دعاكم إلى الشقاء فجئتموهُ　　　وكنتم في الحوادث شرَّ جيلِ

ثم امتد به العمر ليكون من رجال الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في وقائعه كافة ، وقد أستشهد بين يديه في معارك صفين ، فقد أكد ذلك الأعثم الكوفي[٢٢] : (أقبل حُريث الطائي ، وهو جريحٌ مثقلٌ حتى وقف على الإمام علي عليه السلام ، وهو لما به ، فبادرهُ عليٌ ورحب به ، ثم قال له : كيف أنت يا أخا سُنبس ؟ فقال : جريحٌ دنفٌ كما تراني ، والذي بقيَ من عمري أقلُ مما مضى منه ، ثم قال :

---

[٢١] منح المدح : ٧٧ .

[٢٢] كتاب الفتوح : ٤ / ٧ .

يسألني عليّ كيف حالي وحالي أنني دنفٌ جريحُ
ومال والذين هدى مقري سوى أني لسوءتها أصيحُ
وأنّي لا أقرُّ بها وأنّي لأهل الدين والدنيا نصيحُ
أبا حسنٍ هداك الله دعها ومتنُ أديمها منها صحيحُ
أتطمعُ في معاوية بن حرب وعمرو إنَّ ذا منا قبيحُ
وقولها ومن حجت إليه خفاف البزل في البيدا ربيحُ

وقال : ثم لم يلبث أنْ مات رحمه الله ، وبلغ عليا شعره فقال : رحم الله أخا طيّء ، لا عرّفهُ اللهُ قبيحا من عمله) ؛ في حين قال السيد عبدالأمير الطائي : عاش إلى أيام مصعب بن زبير وقتله مبارزة عبيدالله بن الحر الجعفي في حرب نحو سنة ٦٠ ستين للهجرة [٢٣] .

٩- عدي بن حاتم الطائي [٢٤] :

أ- في الصفحة ٥٤ قال (وكان ذلك في السنة السابعة للهجرة) والصواب هو أنَّ عديا وفد الى النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) في شهر شعبان من السنة التاسعة للهجرة [٢٥] .

---

[٢٣] شعراء طائيون : ٥١ .

[٢٤] شعراء طائيون : ٥٣ .

[٢٥] الإصابة : ٤ / ٤٧٠ .

ب- عده الشيخ الطوسي من رجاله ؛ فهو من أصحاب رسول الله محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ، وبعد وفاته كان من أصحاب الإمام علي (عليه السلام) [٢٦].

جـ - كان عدي بن حاتم الطائي سيد الناس مع الإمام علي (عليه السلام) [٢٧].

د - عدي بن حاتم الطائي أول من عسكر حينما دعا الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لجهاد معاوية بن أبي سفيان بعد خروجه على الشرعية [٢٨] .

هـ - لما دنا الإمام علي (عليه السلام) من البصرة ، كتب الكتائب ، وعقد الألوية والرايات ، وجعلها سبع رايات وهي على عدد الأسباع ، وعقد راية طيّء لعدي بن حاتم الطائي[٢٩].

المستدرك الثاني في المصادر :

قام السيد عبدالأمير بتخريج الشعر ، إلا أنّ بعض المصادر لم يقف عليها وفي أدناه ثبت بتلك المصادر :

١- عامر بن جوين الطائي : ص ١٦ - ١٧

---

[٢٦] تاريخ الطبري : ٣/١٦٧ ، الكامل في التاريخ : ٢/ ٣٠١ .

[٢٧] صفين : ٥٢٣ .

[٢٨] تاريخ اليعقوبي : ٢/ ١٩٥ .

[٢٩] أنساب الأشراف : ٣ / ٣٢ .

أ – القصيدة ذات المطلع [٣٠] :

يا ضمر أخبرني ولست بكاذب   وأخوك صاحبك الذي لا يكذب

ذكر هذه القصيدة في شعر عامر بن جوين الطائي وهو يعرف أنها متنازعة بين منقذ بن مرة ؛ وهني بن أحمر الكناني ؛ والفرغل الطائي ، ثم عاد فذكر القصيدة برواية مختلفة ونسبها لعمرو بن الغوث الطائي ، ولم يشر إلى ما قاله في شعراء طائيون [٣١] وقد حاولت جاهدا أن أقف على مصدر ينسبها لعامر بن جوين وحده فلم أجد والاستثناء الوحيد هو أنَّ القصيدة وردت في حماسة البحتري متنازعة بين عامر بن جوين ؛ ومنقذ بن مرة ، وإليكم المصادر التي ذكرت القصيدة أو أجزاء من القصيدة مرتبة حسب عزوها :

- حماسة البحتري : ١١٨ معزوة لعامر بن جوين أو منقذ بن مرة .
- البيت الأول في ذيل سمط اللالىء معزوا لعامر بن جوين .

المصادر التي عزتها إلى هني بن أحمر

- الكتاب لسيبويه : ١٦١/١
- جمهرة الأمثال للعسكري : ٢٨١/١
- معجم الشعراء للمرزباني : ١٦٩

لمصادر التي عزتها لعمرو بن الغوث الطائي

- من سمي عمرا من الشعراء : ٣٢

---

[٣٠] شعراء طائيون : ١٤ .

[٣١] أعلام طيء : ٢٣/١ .

- معجم البلدان مادة : أجأ

فيما عزتها الحماسة البصرية : ١٣/١ للفرغل الطائي أو هني بن أحمر .

ومثلما اختلف الرواة في قائلها ؛ اختلفوا في عدد أبياتها وروايتها ، لذلك لم أجد رأيا قويا ينسبها لعامر فرجحت أنها ليست له .

أ- البيت [٣٢] :

يا جفنة كإزاء الحوض قد هدموا منطقا مثل وشي اليمنة الحبره

قال في الهامش أنه وجد هذا البيت الذي وصفه باليتيم ضمن قصيدة لأبي قردودة الطائي ؛ وهو الصواب وكان عليه أن يفرد بابا تحت عنوان الشعر المتنازع ؛ ويضع هذا البيت وأمثاله تحته فيستريح ويريح ؛ ولكنه لم يفعل وقد وجدت ستة مصادر تعزو البيت لأبي قردودة ضمن قصيدة والمصادر هي :

- الوحشيات : ١٤٦
- أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام :٢٢
- الحيوان : ١٤٧/١ ، ٢٤٣/٤ ، ٣٣٢/٥
- البيان والتبيين : ١٥٢/١ ، ٣٤٩/١
- معجم الشعراء : ٢٣٦
- لسان العرب مادة : يمن

---

[٣٢] شعراء طائيون : ٢٤ .

ولم يعزُ البيت لعامر بن جوين سوى ابن قتيبة في المعاني الكبير : ١/٨٢٧ ، ٢/٨٨٧ وعلى ذلك استند ، وقد وجدت الأخفش يعزو البيت ضمن قصيدة في كتابه الاختيارين : ١٩٩ لعامر بن جوين ولم يقف السيد عبدالأمير على هذا المصدر المهم ، وطبقا لما تقدم فالبيت لأبي قردودة الطائي كما تؤكد المصادر ذلك .

جـ – البيتان رقم ١٢ و ١٤ في الصفحة السادسة عشرة : في النوادر في اللغة معزوان للبرج بن مسهر الطائي : ٧٨

د – البيت في الصفحة الثامنة عشرة :

فلا مزنة ودقت ودقها ولا أرض أبقل إبقالها

- البيت في خلق الإنسان في اللغة : ١٩٥ ، ٢٥١

هـ – القطعة مع بيت جديد لم يقف عليه في خزانة الأدب :

- القطعة في خزانة الأدب : ١/ ٥١ . ٥٤

و – البيت في الصفحة التاسعة عشرة :

هنالك لا أعطي مليكا ظلامة ولا سوقة حتى يؤوب ابن مندله

- البيت في ذيل الأمالي : ٨٢

- البيت في ديوان امرئ القيس ، الشعر المنسوب : ٤٧١

ز – البيت في الصفحة الثالثة والعشرين :

أردت بها فتكا فلم أرتمض لهْ ونهنهت نفسي بعدما كدت أفعلهْ

- البيت في ديوان امريء القيس ، الشعر المنسوب : ٤٧٢

- البيت في لسان العرب : ٧/ ٣٦٢

- البيت في تاج العروس : ٤/ ١٣٥

٢- عارق الطائي :

أ- البيتان في الصفحة الثامنة والعشرين :

فأقسمت لا أحتل إلا بصهـوة حرام عليك رمله وشقائقـــهْ

لئن لم تغير بعد ما قد صنعتم لأنتحين للعظم ما أنا عارقهْ

- التخريـج :

- البيتان في النوادر في اللغة : ٦١

ب - : القطعة في صفحة ٢٩ - ٣٠ :

١- ومن مبلغ عمرو بن هند رسالة

إذا استحقبتها العيس تنضى من البعـد

٢- أ يوعدني والرمل بيني وبينـهُ تبين رويدا ما أمامةُ من هنـد

٣- ومن أجأ حولي رمان كأنهـا قنابل خيل من كميت ومـن ورد

٤- غدرت بأمر كنت أنت دعوتنا إليه وبئس الشيمة الغدر بالعهـد

٥- وقد يترك الغدر الفتى وطعامه إذا هو أمسى حلبة من دم فصد

- التخريـج :

- الأبيات : ٢، ٣ ، ٤ في معجم البلدان مادة ملكان

- البيتان : ٤ ، ه في حماسة البحتري : ٢١١

- البيت في معجم البلدان ؛ مادة : تامل

٣- عروة بن زيد الخيل الطائي

أولا : قال السيد عبدالأمير الطائي في الصفحة ٣٣ من الكتاب : أنشدت ليلى بنت عروة بن زيد الخيل شعر أبيها في يوم المحجر :

١- بني عامر هل تعرفون إذا غدا　　أبو مكنف قد شدَّ عقد الدوابرِ

٢- بجيشٍ تضلُ البلقُ في حجراته　　ترى الأكم فيه سُجدا للحوافرِ

٣- وجمع كمثلِ الليلِ مرتجزِ الوغى　　كثير حواشيه ســريعُ البـوادرِ

وقد خرج القطعة من الأغاني الجزء ١٧ الصفحة ٢٥٦

والصواب أن القطعة لزيد الخيل الطائي لأن أبا مكنف هي كنية زيد الخيل وليس ابنه عروة ؛ وأن القطعة في ديوان زيد الخيل : ٦٥ وفي التذكرة السعدية منسوبة لزيد الخيل صراحة في الصفحة ٢٢٠ تحت الرقم ٢٠٦ برواية :

١- بني عامر ما تصنعون إذا عـدا　　أبو مكنف قد شدَّ عقد الدوابرِ

٢- بجيشٍ تضلُ البلقُ في حجراتـــه　　ترى الأكم فيه سُجدا للحوافرِ

٣- وجمع كمثلِ الليلِ مرتجس الوغى　　كثير تواليــه سريعُ البـــوادرِ

ثانيا : القصيدة ذات المطلع

إذا طرقت رجلي وقد نام صُحبتي　　بإيوان شيرين المزخرف حُلتِ

ورد منها أحد عشر بيتا في الأخبار الطوال : ١٩٨ باختلاف رواية :

١- ألا طرقت رحلي ...... بإيوان سيرين المزخرف خُلتي

٢- ولو شهدت يومي جلولاء حربنا　　..... المهول

٣- .... ضرب ..... خامل مجيد بطعن الرمح

المستدرك الثالث في الشعر :

١- عامر بن جوين الطائي وخصص له الصفحات : ١٤ - ٢٤

شعر عامر بن جوين الطائي الذي لم يقف عليه السيد عبدالأمير الطائي :

- أ -

قال عامر بن جوين الطائي يرد على تهديد المنذر بن النعمان الأكبر :

من البحر المديد

١- هاج رسم دارس طربا فطويلا ظلت مكتئبا [٣٣]

٢- إن رأيت الدار موحشة بلغاط كم لها رجبا [٣٤]

٣- دار هند بالستار وقد رث حبل العيد فانقضبا[٣٥]

٤- بين سيل الواديين كما نمنم ابنا منذر كتبا [٣٦]

٥- أنبأتك الطير إذا سنحت والغراب الوحف إذا نعبا[٣٧]

---

[٣٣] الطرب : هنا يعني الحزن ، وأصل الطرب : خفة تصيب الإنسان لشدة الحزن أو السرور ، ينظر اللسان مادة : طرب .

[٣٤] لغاط : اسم جبل لبني تميم ويقال : واد لبني ضبة ، وقيل ماء لبني مازن وبني ميذول وبني العنبر من أرض اليمامة ، ينظر معجم البلدان مادة : لغاط ، رجب يعني العام من باب تسمية الكل باسم الجزء وهو من الأشهر الحرم.

[٣٥] الستار : جبل بأجأ ، انقضب الحبل : انقطع .

[٣٦] نمنم الكتاب : رقشه وزخرفه .

[٣٧] الغراب الوحف : الكثير الريش ، نعب : صاح .

٦- إن هندا غير مسقبـــة بالديار كالذي حسبـا [٣٨]
٧- وعروب غير فاحشـــة قد ملكت شكرها حقبا[٣٩]
٨- ثــم آلت لا تكلمنـــا كل حي معقب عقبا
٩- ولقـــد آوي إلى ثبـــة يحسنون بينهم أدبـا [٤٠]
١٠- ثم أروي الواغلين ولم أك كلبا بينهـــم كلبـا [٤١]
١١- وكمي قـد أدوت لــه لم يكـن لقـــاؤه لعبـا [٤٢]
١٢- فتحا جزنـا بـه رمـــق جسد اللبات مختضبـا [٤٣]
١٣- وتخاطرنا النفوس وقد يفلـج الموائـل الندبــا[٤٤]
١٤- ولقد وصلت ذا رحـــم ونظرت نظرة عجبا
١٥- من ذرى حوران قلت له وكلانا ناظـر دأبــا [٤٥]

---

(٣٨) غير مسقبة : بعيدة ، السقب : القرب .
(٣٩) العروب من النساء : المتحببة إلى زوجها .
(٤٠) ثبة : الجماعة من الناس ١
(٤١) الواغل : الذي يدخل على القوم في شرابهم فيشرب معهم من غير أن يدعى إليه.
(٤٢) الكمي : الشجاع ، أدوت له : أي ختلته .
(٤٣) جسد اللبات : لصق بها الدم ، اللبات : جمع لبة وهي المنحر .
(٤٤) تخاطرنا بالنفوس : تراهنا على الموت ، يفلج الموائل الندبا : أي يفوز بالنجاة ، الرجل الماضي بالأمر .
(٤٥) حوران : كورة من أعمال دمشق وهي ذات قرى ومزارع ، وقيل : ماء بنجد وهو المقصود في قول الشاعر ، ينظر معجم البلدان مادة : حوران .

١٦- أ عبيد هل ترى ظعنا   أقبلت حزايقا عصبا[٤٦]
١٧- طائفات يتعسفن معا   من أعالي حائل كثبا[٤٧]
١٨- قاطعات بطن ملفقة   يبتدرن الهجم والقربا[٤٨]
١٩- جازعات بالغطاط معا   من أعالي عازف شعبا[٤٩]
٢٠- أ فأثلا قلت تحسبهم   أم نخيلا أينعت رطبا[٥٠]
٢١- وعلى الأحداج مغزلة   يبتذلن الدر والذهبا [٥١]
٢٢- أبلغ الملوك مألكة   من نأى في الأرض أو قربا [٥٢]
٢٣-أن حولي من ذرى أجأ   زلقا تخاله نصبا [٥٣]

---

[٤٦] حزائق : جماعات وهي الجماعات من الناس والطير ، والعصب : الجماعات واحدتها عصابة وهي الجماعة من الناس والخيل والطير .

[٤٧] يعتسفن : يسرن على غير هدى ، حائل : واد في جبل طيّء .

[٤٨] مافقه والهجم والغرب : مواضع ، وقيل الهجم ماء لبني فزارة مما حفرته عاد ، ينظر معجم البلدان مادة : الهجم .

[٤٩] جازعات : قاطعات الوادي عرضا ، الغطاط : أول الصبح ، عازف : اسم موضع .

[٥٠] الأثل : شجر من فصيلة الطرفاء .

[٥١] الأحداج : الأحمال وهي مراكب النساء ، مغزلة : امرأة ذات طفل.

[٥٢] الملوك : يقصد هنا المنذر بن النعمان الأكبر وبطانته ، المألكة : قصيدة الوعيد والهجاء ، والمألكة : الرسالة .

[٥٣] أجأ : أحد جبلي طيّء ويقع غرب فيد بمسيرة ليلتين والفاصلة بين جبلي طيّء عشرة ليال .

٢٤- حوله ترعى حمولتنا تأكل العضاه والكنبا [٥٤]

٢٥- يا بريقا بت أرقبه كانسا في المزن محتجبا[٥٥]

٢٦- بات يرقى في السماء كما حرقت حارية قصبا[٥٦]

٢٧- تحته ريح يمانية فتثير وادقا هدبا [٥٧]

٢٨- فتسح الماء ما سكنت فإذا هاجت له اضطربا

٢٩- فترعاه بنو ثعل وليسق نوؤه العشبا[٥٨]

٣٠- وبنو جرم وإن زعموا أن شعري كان مؤتشبا[٥٩]

٣١- إنني غير الذي زعموا واسط في طيّء نسبا [٦٠]

٣٢- إنني من عُصبة فرعت ذروة لما تكن ذنبا[٦١]

التخريج :

- القصيدة في قصائد جاهلية نادرة : ١٧٨- ١٨٣

---

[٥٤] الحمولة : الإبل ، العضاه : شجر كبير له شوك ، الكنب : نبات أبيض اللون كثير الشوك .

[٥٥] كانس : الظبية المستترة ، المزن : السحب البيضاء ، المزنة : الغيمة الممطرة .

[٥٦] حارية : امرأة منسوبة إلى الحيرة.

[٥٧] الوادق : السحاب ذو المطر والودق : المطر ، هدب : خيط السحاب .

[٥٨] بنو ثعل : قوم الشاعر .

[٥٩] بنو جرم : بطن من طيّء ، مؤتشب : مخلوط وغير صريح .

[٦٠] واسط في طيء : من طيّء صليبة وذو أصل راسخ مكين .

[٦١] إنّ قومه من علية طيّء وليس من الأذناب ، الغضبة : الصخرة الصلبة المركبة والمخالفة له .

ذكر السيد عبدالأمير الطائي من هذه القصيدة البيت الأخير [٦٢] مع شطرين هما [٦٣] : عجزا البيتين الخامس والسابع فضلا عن صدر وعجز لم يروهما الأخفش [٦٤] وقد صنعت منهما بيتا ملفقا جعلته سادسا وحسب اجتهادي وذلك إتماما للفائدة .

١- أ أظعان سلمى تلكم المتحمله　　　لتصرمني إذا خلتي متدلله [٦٥]

٢- فما بيضة بات الظليم يحفها　　　إلى جوجوء هاف بميناء حومله [٦٦]

٣- ويفرشها بين الجناح ودفه　　　ويثني عليها زف هدباء مخمله [٦٧]

٤- بأحسن منها يوم قالت : ألا ترى　　　تبدل خليلا إنني متبدله

٥- ألم تر كم بالجزع من ملكاننا　　　وكم بالصعيد من هجان مؤبله [٦٨]

٦-أردت بها فتكا فلم ارتمض له　　　تسير صحاحا ذات قيد ومرسله

٧- ولم أر شرواها خباسة واحد　　　ونهنهت نفسي بعدما كدت أفعله [٦٩]

---

(٦٢) شعراء طائيون : ١٩.

(٦٣) المصدر السابق نفسه : ٢٣ .

(٦٤) المصدر السابق نفسه : ٢٣ .

(٦٥) وردت هند في معجم البلدانبدلا من سلمى.

(٦٦) الميثاء : الرملة السهلة .

(٦٧) الدف : الجنب ، الزف : صغار ريش النعام ، هدباء : سابغة الريش .

(٦٨) المؤبلة : السمينة .

(٦٩) الخباسة : الغنيمة .

٨- إذا أجـــأ تلفعـــت بشعابهـــا علـي وأضحت بالعمـاء مكللـه[٧٠]

٩- وأصبـحت العوجـاء يهتز جيدهـا كجيد عروس أصبحت متبذله [٧١]

١٠- وتصبح من غب الضباب كأنما تروح قين الهضب عنها بمصقله

١١- وحولي سلامـان الحمـاة وسنبس يقودون شعثا كالقسي المعطلـه [٧٢]

١٢- أطاعت لها البهمى وجدن متونها فهن سراع سدوها غير نهبلـه [٧٣]

١٣- هنالك لا أخشى أن تنال ظعينتي إذا حل بيني وبين شوط وغلغله[٧٤]

١٤- وآليت لا أعطـي مليكا ظلامـة ولا سوقة حتى يؤوب ابن مندله [٧٥]

التخريـج :-

- القصيدة في الاختيارين عدا السادس : ١٣٥
- القصيدة في كتاب الفصوص عدا السادس : ٢٠٨
- ١، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٧ في معجم البلدان مادة : ملكان
- ٥ ، ٧ ، ٨ في مجموعة المعاني : ١١٣
- السابع في ملحق ديوان امريء القيس : الشعر المنسوب : ٤٧٢

---

[٧٠] تلفعت : استلمت ، الشعاب : الطرق في الجبال .

[٧١] العوجاء : هضبة بين جبلي طيّء .

[٧٢] المعطلة : التي تركت بلا عناية ولا اصلاح .

[٧٣] السدو : اتساع الخطو ، النهبلة : المشي في ثقل .

[٧٤] شوط وغلغلة : جبلان في أجأ في ديار طيّء .

[٧٥] ابن مندله : رجل كان ملكا لسليح بن قضاعة من الضجاعم يقال له الحارث غزا فلم يرجع، الاشتقاق : ٥٤٦ .

- الرابع عشر في ملحق ديوان امريء القيس : الشعر المنسوب : ٤٧١
- الرابع عشر في ذيل آمالي القالي : ١٧٧
- السابع في شرح جمل الزجاجي : ١/١٣٢
- السابع في المغني اللبيب : ٢/٦٤٠ بدون عزو
- السابع في اللسان مادة : خبس معزوا لامرئ القيس
- الرابع عشر في اللسان مادة : ندل
- السابع في تاج العروس مادة خبس معزوا لعامر بن جوين أو امريء القيس

– ج –

ذكر السيد عبدالأمير من هذه القصيدة قطعتين[٧٦] وهما من قافية واحدة وغرض واحد وعلى بحر واحد ، وقد وجدت عبدالقادر البغدادي[٧٧] يذكر إحدى القطعتين مع إضافة بيت رابع ، ووجدته مرة ثانية يذكر من القصيدة بيتين [٧٨] لم تذكرهما المصادر الأخرى فصنعت من القطع الثلاث قصيدة رتبتها حسب اجتهادي وقد يكون ذلك مغايرا لما قاله الشاعر ، وذلك لفقدان أجزاء أخرى من القصيدة ، وعذري أني رجوت الفائدة من المتوافر بين يدي :

---

[٧٦] شعراء طائيون : ١٨ ، ٢٣ .
[٧٧] خزانة الأدب : ١/ ٥ .
[٧٨] المصدر السابق نفسه : ٢/١١٧ .

قال عامر بن جوين الطائي متغزلا بهند بنت امريء القيس الكندي :

من البحر المتقارب

١- ألا حـي هنـــدا وأطلالها وتظعان هند وتحلالها [٧٩]

٢- هممت بنفسي كل الهموم فأولى لنفسي أولى لهـا[٨٠]

٣- سأحمل نفســي على آلـة فإما عليها و إما لهـا[٨١]

٤- جارية من بنـــات الملـــو .... ك قعقعت بالرمح خلخالها[٨٢]

٥- ككر فئة الغيث ذات الصبـ...... ير تأتي السحاب وتأ تآلها [٨٣]

٦ - تواعدتها بعد مر النجـو ....م كلفاء تكثر تهطالها

٧- فلا مزنة ودقـــت ودقهـا و لا أرض أبقل إبقالها

٨- وداهية من دواهي المنون يحسبها الناس لا أخا لها

٩- دفعت سنا برقها إذ بـدت وكنت على الجهد جمالها

التخريج :

- الأبيات : ٤، ٥ ، ٦ ، ٧ في خزانة الأدب : ٥١/١
- الأبيات : ١، ٢ ، ٣ في الأغاني : ٩٦/٩
- الأبيات : ٤ ، ٥ ، ٧ في اللسان مادتي : صبر ، كرفأ

---

[٧٩] هند : هي بنت حجر الكندي وهي شقيقة الشاعر امرئ القيس .

[٨٠] أولى : توعد ووعيد .

[٨١] آلة : حالة تعني إما الموت أو الحياة ، وقيل هي الحرية .

[٨٢] قعقعت : أي حركتها فهربت فظهر صوت خلخالها.

[٨٣] الكرفئة والصبير : السحاب الضخم الثقيل وهي السحب التي لم تمطر بعد .

- البيتان : ٨ ، ٩ في خزانة الأدب : ١١٧/٢
- البيتان : ٢ ، ٣ في ديوان الخنساء : ٨٤
- البيت الخامس في ديوان الخنساء : ١٠٤ وقال ابن الأعرابي أنه ليس لها .
- السابع في الكامل في اللغة والأدب : ٩١/٣
- السابع في أوضح المسالك : ٣٥٤/١
- السابع في شرح جمل الزجاجي : ٣٩٢/٢ ، ٥٤٩/٢ ، ٦١١/٢
- الثامن في شرح جمل الزجاجي : ٤١٢/٢
- الخامس في اللسان مادة : أول
- السابع في خلق الإنسان في اللغة : ١٩٥ ، ٢٥١
- السابع في رغبة الآمل : ١٣٥/٦

– د –

قال عامر بن جوين الطائي :

من البحر الطويل

١ – فيا ليتني من بعد ما طاف أهلها

هلكت ولم أسمع بها صوتَ ايسان [٨٤]

---

[٨٤] إيسان : إنسان وهي لهجة طيّء ، اللسان مادة : أنس .

التخريج :

- البيت في المحتسب : ٢٠٣/٢

- البيت في الضرائر الشعرية : ٢٢٨

- البيت في الممتع : ٣٧٢

- البيت في المقرب : ٥٢٨

- البيت في اللسان مادة : أنس ، وقد حرفت جوين إلى جرير .

٣ - عارق الطائي وهو قيس بن جروة : وخصص له الصفحات ٢٦ - ٣٢

قال قيس بن جروة :

أصبح من أسما قيس كقابض ... على الماء لا يدري بما هو قابضُ

فإن أباها مقسم بيمينه ... لئن نبضت كفي وأني لنابضُ

ثم رآني لا أكونن ذبيحة ... وقد كثرت بين الأعم المضائضُ

- التخريج :

- القطعة في النوادر في اللغة : ٦٢

٤- عدي بن حاتم الطائي وخصص له الصفحات : ٥٣ - ٧١

ديوان شعر عدي بن حاتم الطائي صنعه وحققه السيد قيس العطار ونشره في طبعة أولى في سنة ١٤٠٠هـ - ٢٠٠٠م ونشره في إيران ، فكان ثلاثة وخمسين بيتا وثلاثين بيتا من الرجز فضلا عن عشرة أبيات من الرجز متنازعة مع حجر بن عدي الكندي ،

أما ما جمعه السيد عبدالأمير الطائي فهو تسعة عشر بيتا فقط ، ولكن اللافت للنظر على مجموع السيد عبدالأمير ، أنه وقف على أربعة أبيات لم يقف عليها السيد قيس العطار وهي :

أ- في الصفحة الحادية والستين قال : حرم عدي بن حاتم الطائي الخمرة على نفسه من قبل أن يحرمها القرآن فقال :

وإني لأرجو أنْ أموت ولم أنلْ　　متاعا من الدنيا فجورا ولا خمرا

ب - في الصفحة السادسة روى السيد عبدالأمير بيتا ثالثا لم يقف عليه قيس العطار وهو :

أصبحت حشا مميتا خلقا　　قلبي لحب الحياة في لبس

جـ - وقال في أخذ الثأر والإستشفاء بالعدو : (أراد التشفي)

من مبلغ أفناء مذحج أنـــي　　ثأرت بخالـــي ثـــم لـــم أتأثـــم

تركت أبا بكر ينوءُ بصدره　　بصفين مخضوب الكعوب من الدم

يذكرني يا سين حين طعنته　　فهلا تلا يا سين قبل التقـــدم

هذا ما أخلت به رواية السيد قيس العطار أما الشعر الذي لم يقف عليه السيد عبدالأمير وذكره السيد قيس العطار فهو :

أولا : الشـعر

(١)

همت قبائل طـيّء أن ترتد عن الإسلام ، فقام سيدهم عدي بن حاتم الطائي ، فقال : يا معشر طـيّء إنكم إن أقمتم على دين الإسلام ، أصبتم

الدنيا والآخرة ، وإن رجعتم عنه خسرتم الدنيا والآخرة ، واستغنى الله عنكم ... ثم أنشأ يقول :

من الطويل

ألا إن هذا الدين أصبح أهله | على مثل حد السيف بعد محمد
ولا ذاك عن ذل ولا عن مخافة | على الدين والدنيا لإنجاز موعد
ولكن أصبنا بالنبي فليلنا | طويلا كليل الأرمد المتسهد
وأنا وإن جاشت فزارة كلها | وذبيان في موج من البحر مزبد
أجر لهم فيها ذيول غروره | طليحة مأوى كل غاو و ملحد
نغاورهم بالخيل حتى نقيمهم | بصم العوالي والصفيح المهند
وحتى يقروا بالنبوة أنها | من الله حق والكتاب لأحمد
وقد سرني منكم معاشر طيء | حماية هذا الدين من كل معتد
وبيعكم أموالكم ونفوسكم | رجاء الذي يجزي به الله في الغد
وإعطاؤكم ما كان من صدقاتكم | بغير جهاد من لسان ولا يد

القصيدة في الصفحة الثامنة والستين .

(٢)

قال عدي بن حاتم الطائي مخاطبا الإمام عليا (عليه السلام) :

من الطويل

ونحن نصرنا الله من قبل ذاكمُ | وأنت بحق جئتنا فستنصرُ
سنكفيك دون الناس طرا بأسرنا | وأنت به من سائر الناس أجدرُ

البيتان في الصفحة الثانية والسبعين .

(٣)

قال يعاتب ابنه زيد بعد أن قتل قاتل خاله ؛ والتحاقه بمعسكر معاوية بن أبي سفيان :

من الطويل

يا زيد قد عصبتني بعصابـــة وما كنت للثوب المدنس لابســا

فليتك لم تخلق وكنت كمن مضى وليتك إذ لم تمض لم تر حابسا

ألا زاد أعداء وعق ابن حاتـــم أباه وأمسى بالفريقين ناكســـا

وحامت عليه مذحج دون مذحج وأصبحت للأعداء ساقا ممارســا

نكصت على العقبين يا زيد ردة

وأصبحت قد جدعت منا المعاطسا

قتلت امرأ من آل بكر بحابس فأصبحت مما كنت آمل آيسا

القطعـة فـي الصـفحة الثالثـة والسـبعين ، وقـد ذكـر منهـا السـيد عبدالأمير البيتين الأول والرابع .

(٤)

وقال مخاطبا عبدالله بن زبير من الطويل

أما وأبي يابن الزبير لو انني لقيتك يوم الزحف ما رمت لي سخطا

وكان أبي في طيء وأبو أبي صحيحين لم تنزع عروقهما القبطا

ولو رمت شتمي عند عدل قضاؤه

لرمت به يابن الزبير مدى شحطا

القطعة في الصفحة الثامنة والسبعين .

(٥)

وحينما دعا الإمام علي (عليه السلام) إلى حرب الخوارج ، خرج عدي ابن حاتم الطائي بين يديه وهو يقول :

من الطويل

نسير إذا ما كاع قوم وبلدوا برايات صدق كالنسور الخوافق
إلى شـر قوم مالشراة تحزبـوا وعادوا اله الناس رب المشارق
طغاة عماة مارقين عن الهدى وكل لعين قوله غير صادق
وفينا عليّ ذو المعالي يقودنا إليهم جهارا بالسيوف البوارق

القطعة في الصفحة الثالثة والثمانين .

(٦)

وقال مخاطبا معاوية بن أبي سفيان :

من الوافر

يحاولني معاوية بن حرب وليس إلى الذي يرجو سبيـلُ
يذكرني أبا حسـن عليـا وحظي في أبي حسن جليـلُ
يكاشرني ويعلم أن طرفي على تلك التي أخفي دليلُ
ويعلم أننا قوم جفـاة حراديون ليس لنا عقـولُ
وكان جوابه عندي عتيدا ويكفي مثله مني القليـلُ

وقال ابن الوحيد وقال عمرو:

عدي بعد صفين ذليلُ

فقلت : صدقتما قد هد ركني | وفارقني الذي بهم أصـول
ولكني على ما كـان منـي | أبلبلُ صاحبيَّ بما أقولُ
وإن أخاكم في كل يـوم | من الأيام محملهُ ثقيلُ

القصيدة في الصفحة السادسة والثمانين وقد ذكر منها السيد عبدالأمير البيتان الأول والثاني .

(٧)

وقال :

من الطويل

يرى ابن حريث أن همي مالـه | وما كنت موصوفا بحب الدراهـم
وقالت قريش لا تحكمه إنه | على كل ما خال عدي بن حاتـم
فيذهب منك المال أول وهلـة | وحمامهـا والنخـل ذات الكمائـم
فقلت معاذ الله عن تـرك سنة | جرت من رسول الله والله عاصمي
وقلت معاذ الله من سوء سنـة | تحدثها الركبان أهـل المواسـم

القصيدة في الصفحة الرابعة والتسعين .

(٨)

وقال عندما بارز همام بن قبيصة النميري في معركة صفين ، وكان همام قبل ذلك يشتم الإمام عليا (عليه السلام) :

من الطويل

أ همام لا تذكر مدى الدهر فارسا   وعض على ما جئته بالأباهم
سما لك في نقع العجاجـة فارس   شجاع مناع ذو شجا وغماغم
فوليته لمـا سـمعت نـداءه   إليك فخذها من عدي بن حاتم
فأصبح مطروحا لدى حومة الوغى   وأعظم من هذا شتيمة شاتـم

القطعة في الصفحة السادسة والتسعين .

ثانيا : الرجـز

(١)

إرتجز في صفين قائلا عندما خرج لملاقاة عبدالرحمن بن خالد بن الوليد:

أرجو إلهي و أخـاف ذنبـي
وليس شيء مثل عفو ربي
يابن الوليد بغضكم في قلبي
كالهضب بل فوق قنان الهضب

- الأبيات في الصفحة السادسة والستين ،

(٣)

وقال مرتجزا في صفين :

أقول لما أنْ رأيت المعمعه

واجتمع الجندان وسط البلقعه

هذا علي والهدى حقا معه

يا رب فاحفظه ولا تضيعه

فأنه يخشاك ربي فارفعه

أو كاده بالبغي منك فاقمعه

- الأبيات في الصفحة الثمانين

(٤)

وقال مرتجزا في صفين :

يا صاحب الصوت الرفيع العالي

إن كنت تبغي في الوغى نزالي

فأدنُ فأني كاشف عن حالي

تفدي عليا مهجتـــي و مالــي

وأسرتـــي يتبعهـــا عيالـــي

- الأبيات في الصفحة الحادية والتسعين.

(٥)

وقال أيضا :

أنا عدي ونماني حاتـــمُ

هذا علي بالكتاب عالـــمُ

لم يعصه في الناس إلا ظالمُ

- الأبيات في الصفحة الثالثة والتسعين .

(٦)

وقال أيضا :

قد علمت غسان مع جذام

أني كريم ثابت المقـام

في النسب في آبائنا الكرام

أحمي إذا ما زيل بالأقدام

- الأشطر في الصفحة التاسعة والتسعين .

(٧)

وقال أيضا :

أبعد عمار وبعد هاشـــم

وابن بُديـل فارس الملاحم

ترجو البقا من بعدُ ياابن حاتم

فقد عضضنا أمس بالأباهم

فاليوم لا يقرع سن نـــادم

لابد أن يحمي حمى المحارم

ليس امرؤ من يومه بسالـــم

- الأبيات في الصفحة الواحدة بعد المائة .

وفي ديوانه أرجوزة من عشرة أبيات متدافعة مع حجر بن عدي الكندي وقد رجحها السيد قيس العطار لصالح حجر وذلك من خلال مصادر تخريج الأرجوزة ، وأنا أرجح أنها ليست له :

يا رب سلم لنا عليا

سلم لنا المبارك التقيا

المؤمن المسترشد الرضيا

واجعله هادي امة مهديا

لا خطل الرأي ولا غويا

وأحفظه ربي وأحفظ النبيا

فيه فقد كان لنا وليا

ثم ارتضاه بعده وصيا

وقال هذا لكم وليا

من بعد إذ كان بكم حفيا

الأبيات في الصفحة الرابعة بعد المائة .

والحق يقال : إنَّ عمل السيد قيس العطار أكثر اتقانا وجودة ؛ وأوسع رواية ؛ وأكثر شرحا وتفصيلا من عمل السيد عبدالأمير الطائي ؛ ومع ذلك يستحق الاثنان الإشادة والتقدير .

٥- حُريث بن عتّاب الطائي

أفرد السيد عبدالأمير الصفحات ٧٢ – ٨٢ من كتابه ؛ وقد استدركت عليه خمسة عشر بيتا بواقع خمس نصوص وهي :

-أ-

قال يهجو جريرا :

من الطويل

١- أقول لها أُمي سليطا بأرضها

فبئس مناخُ النازلينَ جريــرُ

٢- جريرٌ ابنُ ذاتِ البظرِ هل أنتَ زائلٌ

لقدركَ دونَ النازليـنَ سـتورُ

٣- ألستَ كُليبا وأمكَ كلبةً

لها حولَ أطنابِ البيوتِ هريرُ

٤- فلو عند غسان السُليطي عرّستْ

رغا قرنٌ منها وكاسَ بعيرُ

٥- فتىً هو خيرٌ منكَ نفسا ووالدا

عليكِ إذا كانَ الجوارُ بجيرُ

التخريـج :

- القطعة في الأغانـي (الدار): ٨ / ٢٦ – ٢٧
- ١ ؛ ٤ ؛ ٣ في المؤتلف والمختلف : ٢٢٢ ، ٥٣
- ١ ؛ ٢ ؛ ٣ في النقائض : ١ / ٣٢ – ٣٣
- ١ ؛ ٤ في لسان العرب ؛ مادتي : قرن ؛ كوس
- ١ ؛ ٣ في معجم الشعراء : ٨٧
- الرابع في المعاني الكبير : ١٢٤٢
- الشطر الثاني من الرابع في المعاني الكبير : ٣٩٣
- الشطر الثاني من الرابع في إصلاح المنطق : ٥٤

.ب.

وقـال :

من الطويل

١- ضللنا بيومٍ عند أمِّ مُحلمٍ

نشاوي ولم نشرب طِلاءً ولا خمرا

٢- إذا صمتتْ عنا صحَوْنا لصمتِها

وإنْ نطقتْ كانتْ لألبابنا شُكرا

التخريـج :

- النتفة في التذكر السعدية : ٥٣١ معزوة لنُعيم النبهاني ، وهو اسم آخر لحُريث بن عتاب المعروف بالأعور النبهاني .

. ت .

وقـال :

من الطويل

١- لنا نسوةٌ لم يجرِ فيهنَّ مُقسما

خميسُ ولا يعدُّ التساهمُ مربـعُ

٢- حماهنَّ من نبهانَ جمعُ عرمرمٌ

وضمَّ العوالي والحجازُ الممنعُ

٣- يرى خارجيا لا يزالُ إذا بدا

تشيرُ لهم عينٌ إليــهِ وأصبـعُ

التخريــج :

- القطعة في أدب الخواص للمغربي : ٩٤

- ث -

وقال حُريثُ بن عناب : من الطويل

١- إلى طلحة الفياض أعملتُ نصـها تخبُّ برحلي تارةً ثمَ ترقِلُ

٢- إذا ما أتاهُ ســـــائلٌ من جنابـه يكونُ شـفيعيهِ هشامٌ ونوفلُ

التخريــج :

- النتفة في أدب الخواص للمغربي : ١٣٨

. جـ .

وقال حُريث بن عنّاب :

من الطويل

١- قِفا فانظرا هل يرفعُ الآلُ رفعةً

لنا نخلتي وادي النّقا فنراهُما

٢- هُما نخلتانِ طالتا وأرجحنّتا

وطابَ بربعيِّ الثّرى مَغرِساهُما

٣- ظلالهُما تشفي من الداءِ والجَوى

ويشفي من الخبلِ الطويلِ جناهُما

التخريــج :

- القطعة في حماسة المحدثين للخالديين : ٣٨٥

٦- عروة بن زيد الخيل الطائي

وقد افرد لـه الصفحات ٣٣ – ٣٧ ؛ وقد استدركت عليـه أربعة عشر بيتا بواقع قطعتين مع بيتين على النص الأول وهي كما يأتي :

. أ .

قال عروة بن زيد الخيل :

١- في القصيدة ذات المطلع

إذا طرقت رجلي وقد نام صُحبتي بإيوان شيرين المزخرف حُلتِ

بيت لم يقف عليه السيد عبد الأمير الطائي وهما بعد البيت الحادي عشر وهو :

وكم من عدو أشـــوس متمرد   عليه بخيلي في الهياج أظلـت

وبيت آخر بعد البيت بعد البيت الثالث عشر وهو :

فلا ثروة الدنيا نريد اكتســابها   إلا أنها عن وفرها قد تحلـت

التخريج :

- البيتان في الأخبار الطوال : ١٩٨

. ب .

وقال عروة [٨٥] :

لقد علمت عمرّو ونبهانُ أنني   أنا الفارس الحامي إذا القوم أدبروا
وأني إذا كروا شددتُ أمامهم   كأني أخو قصباء جهـمٌ غضنفـرُ
صبرتُ لأهل القادسية مُعلما   ومثلي إذا لـم يصبر القرن يصبرُ
فطاعنتهم بالرمح حتى تبددوا   وضاربتهم بالسيف حتى تكركروا
بذلك أوصاني أبي وأبو أبـي   بذلك أوصـــــاه فلســت أقصــرُ
حمدتُ الهي إذ هداني لدينـهِ   فللـــه أسعى ما حييــتُ وأشـكرُ

---

[٨٥] توهم المحقق وقال عروة بن الورد والصواب عروة بن زيد الخيل لأن ابن الورد مات في الجاهلية ولم يدرك الإسلام .

التخريـج :

- القطعة في الأخبار الطوال : ١٨١ – ١٨٢

ت .

وقال عروة بن زيد الخيل الطائي :

هاجت لعروة دار الحي أحزانـا   واستبدلت بعد عبدالقيس همذانا

وقد أرانا بهـا ؛ والشملُ مجتمعُ   إذ بالنُّخيلة قتلـى جنـد مِهرانـا

أيام سـار المثنى بالجنـود لهم   فقتل القوم من رَجْـلٍ وركبانـا

سما لأجناد مهـران وشـيعتـه   حتى أبـادهم مثنـى ووحدانـا

ما إن رأينا أميرا بالعراق مضى   مثل المثنى الذي من آل شيبانا

إنَّ المثنى الأمير القرمُ لا كذب   في الحرب أشجعُ من ليث بخفانا

التخريـج :

- القطعة في الأخبار الطوال : ١٦٩

٧- حُريث بن زيد الخيل الطائي :

وقد افرد لـه صفحتين هما ٥١ – ٥٢ ؛ وقد استدركت عليـه ستة عشر بيتا بواقع قصيدة وقطعتين وهي كما يأتي :

أ .

قال حُريث بن زيد الخيل وهو دنفٌ :

يسـألني عليّ كيف حالـي   وحالي أنني دنفٌ جريـحُ

ومال والذين هدى مقـري   سوى أني لسوءتها أصيـحُ

وأنتي لا أقرُّ بها وأتـــــي   لأهل الدين والدنيا نصيـــحُ
أبا حســنٍ هداك الله دعهـا   ومتنُ أديمها منها صحيـــحُ
أتطمعُ في معاوية بن حـرب   وعمرو إنَّ ذا منا قبيــــحُ
وقولها ومن حجت إليــــه   خفاف البزل في البيدا ربيحُ

التخريـج :

- القطعة في كتاب الفتوح : ٤/٧

. ب .

وقال في حربه لردة طليحة بن خويلد الأسدي :

ألا أبلغ بني أسد جميعــا   وهذا الحيُ من غطفان قيلـي
بأنَّ طليحة الكذاب أمسى   عدو الله حادَ عن الســـبيلِ
دعاكم إلى الشقاء فجئتموهُ   وكنتم في الحوادث شرَّ جيلِ

التخريـج :

- القطعة في منح المدح : ٧٧

. ت .

وقال في منعه لقبيلة طيّء من الردة :

أبى الله تخشيني أخت بني نصر   فقد قام بالأمـر الجلي أبو بكــر
نجيّ رسول الله في الغار وحده   وصاحبه الصّديق في معظم الأمر
بنو أسد من بعد ذُبيان ردهـم   طليحةُ من بعد الضلال إلى الكفـر
فقل لبني بـدر إذا ما لقيتهُـــم   متى كنتمُ الأذناب آل بني بـــدر

فإن تمنعوا حقّ الزكاة وتتركــوا صلاة وفي هاتين قاصمة الظهــر

فنحنُ لأجلاب الحوادث عُرضة وما مثلنا حيّ على العُسر واليُسر

نقاتلكم في الله حتّى نقيمكـــم بصُـم العوالــي والمُهنـدة السُـــمر

التخريـــــج :

- القصيدة **في حروب الردة** : ١٠٠ - ١٠١

المصادر والمراجع :

١- الأخبار الطوال – للعلامة أبي حنيفة أحمد بن داوُد الدينوري المتوفى سنة ٢٨٢هـ ؛ قدم له ووثق نصوصه ووضع حواشيه الدكتور عصام محمد الحاج علي ؛ منشورات محمد علي بيضون ؛ دار الكتب العلمية ؛ ط ٢ ؛ بيروت – لبنان ؛ (د . ت) .

٢- أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام . أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي (ت٢٤٥هـ) ، تحقيق عبدالسلام هارون ، ط١ ، ١٣٧٤هـ ـ١٩٦٤م ، مكتبة الخانجي بمصر ، ومكتبة المثنى ببغداد ، مطبعة التأليف والترجمة والنشر ، (د.ت) .

٣- الإشتقاق . أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ) ، تحقيق عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي بمصر ، (د.ت) .

٤- الإصابة في تميز الصحابة . ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) حقق اصوله وضبط أعلامه ووضع فهارسه علي محمد البجاوي ، دار نهضة مصر للطبع ولنشر ، القاهرة ، (د.ت) .

٥- أعلام طيء . عبدالأمير مهدي الطائي ، ط١ ، ١٩٩١م ، بغداد .

٦- الأغاني . أبو الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦هـ) ، مصورة دار الكتب ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، (د.ت) .

٧- أمالي المرتضى ـ للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي (ت٤٣٦هـ) ، تحقيق أبو الفضل محمد إبراهيم ، دار الكتاب العربي ، ط٢ ، ١٣٨٧هـ . ١٩٦٧م ، بيروت .

٨- أوضح المسالك ابن هشام الأنصاري عبدالله بن يوسف ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، ١٩٦٦م ، بيروت .

٩- أنساب الأشراف . أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، تحقيق الدكتور سهيل زكار ، ورياض زركلي ، دار الفكر ، ط١ ، ١٩٩٦م ، بيروت .

١٠- أيام العرب في الجاهلية . محمد أحمد جاد المولى وزميلاه . المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، (د.ت) .

١١- البيان والتبيين ـ الجاحظ (ت٢٥٥هـ) ، تحقيق عبدالسلام هارون ، ١٣٦٨هـ . ١٩٤٩م ، مصر .

١٢- تاج العروس من جواهر القاموس . المرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ) ، ط١، ١٣٠٦هـ ، مصر .

١٣- تاريخ الطبري . أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ) ، تحقيق أبو الفضل محمد إبراهيم ، ط٢ ، مصر ، (د.ت) .

١٤- تاريخ اليعقوبي . أحمد بن أبي يعقوب (ت٤٧٦هـ) ، دار صادر ، ١٣٧٩هـ . ١٩٦٠م ، بيروت .

١٥- التذكرة السعدية في الاشعار العربية – تأليف محمد بن عبدالرحمن بن عبدالمجيد العبيدي ؛ تحقيق الدكتور عبدالله الجبوري ؛المكتبة

الأهلية في بغداد ؛ مطابع النعمان – النجف الأشرف ١٣٩١هـ – ١٩٧٢م .

١٦- جمهرة الأمثال . أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) ، تحقيق أبو الفضل محمد إبراهيم ، وعبدالمجيد قطامش ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ . ١٩٨٨م .

١٧- حماسة البحتري . أبو عبادة الوليد البحتري (ت٢٨٤هـ) ، ضبطه وعلق على حواشيه كمال مصطفى ، طبع سنة ١٩٢٩م في المطبعة الرحمانية بمصر .

١٨- الحماسة البصرية – صدر الدين بن أبي الفرج (ت٦٥٩هـ) ، ١٣٨٣هـ . ١٩٦٤م ، حيدر آباد ، الهند .

١٩- الحيوان – الجاحظ ، تحقيق عبدالسلام هارون ، ط ٢ ، مصر ، (د.ت) .

٢٠- ديوان امرئ القيس – تحقيق أبو الفضل محمد إبراهيم ، ط٤ ، دار المعارف بمصر ، (د.ت) .

٢١- ديوان الخنساء شرح أبي العباس ثعلب (ت٢٩١هـ) ، تحقيق د. أنور أبو سويلم ، ط١ ، ١٤٠٩هـ . ١٩٨٨م ، دار عمان ، الأردن.

٢٢- ديوان عدي بن حاتم الطائي– جمع وتحقيق وشرح قيس العطار ، ١٤٢١هـ . ٢٠٠٠م ، طهران .

٢٣- ذيل الآمالي – أبو علي القالي ، مراجعة لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة ، دار الجيل ، ط٢ ، ١٩٨٧م ، بيروت .

٢٤- ذيل سمط اللالىء . أبو عبيد البكري (ن٤٨٧هـ) ، تحقيق عبدالعزيز الميمني ، ١٩٣٦م ، مصر .

٢٥- الـردة – لأبي عبدالله محمد بن عمر بن واقد الواقدي ، قدم له وحققه وعلق عليه الدكتور محمود عبدالله أبو الخير ، طبع دار الفرقان ، ط١ ، ١٤١١هـ – ١٩٩١م ، عمان ، الأردن.

٢٦- رغبـة الآمـل فـي كتـاب الكامـل – سـيد علـي المرصـفي ، ط١ ، ١٩٢٨هـ ، مصر.

٢٧- شرح جمل الزجاجي – ابن عصفور الأشبيلي (ت٦٦٩هـ) تحقيق الدكتور صاحب أبـو جنـاح ، احيـاء التـراث الإسـلامي ، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م ، بغداد.

٢٨- شعراء طـائيون – جمـع ودراسـة وتحقيق عبدالأمير مهدي الطـائي ، ط١ ، ١٤١١هـ ١٩٩٠م ، بغداد .

٢٩- العبـاب الزاخـر واللبـاب الفـاخر – الصـاغاني (ت٦٥٠هـ) ، تحقيق الدكتور فير ومحمد حسن ط١ ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٣٩٨هـ . ١٩٧٨م ، بغداد .

٣٠- فتوح الإسـلام لبلاد العجم وخراسـان – أبـو عبدالله محمد بن عمر الواقدي (ت٢٠٧هـ) ، وقف على طبعه عزيـز أفندي زنـد ، مطبعة المحروسة ، ١٣٠٩هـ ١٨٩٦م ، مصر .

٣١- فتوح البلدان أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، نشره الدكتور صلاح الدين المنجد ، مكتبة نهضة مصر ، (د.ت) .

٣٢- قصائد جاهلية نادرة – الدكتور يحيى الجبوري ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ . ١٩٨٨م بيروت .

٣٣- الكتاب – أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه (ت١٨٠هـ) تحقيق عبدالسلام هارون ، دار القلم ، ١٣٨٥هـ. ١٩٦٦م ، بيروت .

٣٤- كتاب الإختارين – صنعة الأخفش الأصغر (ت٣١٥هـ) ، تحقيق فخر الدين قباوة ، مطبعة محمد هاشم الكتبي ، ١٣٩٤هـ . ١٩٧٤م ، دمشق .

٣٥- كتاب الفصوص – أبو العلاء صاعد بن الحسن البغدادي ، دراسة وتحقيق محسن إسماعيل محمد ، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الفلسفة والآداب بجامعة غرناطة ، ١٩٨٥م .

٣٦- الكامل في التاريخ . ابن الأثير (ت٦٣٠هـ) ، ١٣٨٥هـ . ١٩٦٥م ، بيروت .

٣٧- الكامل في اللغة والأدب والنحو والتصريف – المبرد (ت٢٨٥هـ) ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، ١٣٥٦هـ . ١٩٣٧م ، مصر .

٣٨- لسان العرب ابن منظور (ت٧١١هـ) ، أعاد بناءه على الحرف من الكلمة يوسف خياط ، ونديم مرعشلي ، دار لسان العرب ، بيروت ، (د.ت) .

٣٩- مجموعة المعاني – المؤلف مجهول ، تحقيق عبدالمعين الملوحي ، ط١ ، ١٩٨٨م ، دمشق.

٤٠- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها . أبو الفتح عثمان ابن جني ، تحقيق علي النجدي ، الدكتور عبدالعليم النجار ، الدكتور عبدالفتاح اسماعيل شلبي ، ١٣٨٦هـ ، القاهرة .

٤١- مروج الذهب ومعادن الجوهر . أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، ط٣ ، ١٣٧٧هـ . ١٩٥٨م ، مصر .

٤٢- معجم البلدان – ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) ، ١٣٧٥هـ ١٩٥٦م ، بيروت .

٤٣- معجم الشعراء – المرزباني (-٣٨٤هـ) ، تحقيق عبدالستار محمد القراج ، ١٣٧٩هـ . ١٩٦٠م ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي ، (د.ت) .

٤٤- المغني اللبيب من كتب الأعاريب – ابن هشام الأنصاري ، حققه وفصله وضبط غرائبه محمد محيي الدين عبدالحميد ، مطبعة المدني القاهرة ، (د.ت) .

٤٥- المقرب . علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور (ت٦٦٩هـ) ، تحقيق أحمد عبدالستار الجواري ، عبدالله الجبوري ، مطبعة العاني ، ١٩٨٦هـ ، بغداد .

٤٦- الممتع في التصريف – ابن عصفور ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، ١٣٩٠ هـ ، حلب ، سوريا

٤٧- من اسمه عمر من الشعراء . أبو فهد مزوج القدوسي ، كتاب حققه حمد الجاسر ونشره مسلسلا في مجلة العرب السعودية (العدد ٧) السنة الرابعة ١٩٧٠م .

٤٨- منح المدح - لابن سيد الناس ، تقديم وتحقيق عفت وصال حمزة ، دار الفكر ، ط١ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، سوريا ، دمشق .

٤٩- النوادر في اللغة - أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري (ت٢١٥هـ) صححه وعلق عليه سعيد الخوري الشرتوني اللبناني ، ط٢ ، ١٣٨٧هـ . ١٩٦٧م ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، (د.ت).

٥٠- الوحشيات أبو تمام حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١هـ) علق عليه وحققه عبدالعزيز الميمني الراجكوتي ، وزاد في حواشيه محمود محمد شاكر ، دار المعرف ، ١٩٦٣م ، مصر .

إدارة المشاعر للمرشد السياحي واثرهما في رضا السائح

دراسة ميدانية(*)

خلود وليد جاسم العكيلي

كلية الإدارة والإقتصاد– الجامعة المستنصرية

الملخص :

إتجهت المنظمات السياحية الحديثة الى مواكبة التغيرات في منظمات الأعمال المتسارعة الخطى والتنافس العالمي الى البحث والدراسة والسعي لترسيخ مفاهيم إدارة المشاعر واهدافها ووظائفها لتمكين الموارد البشرية على التميز والنجاح .

المقدمـة :

تعد المشاعر من الموضوعات المهمة في ادبيات علم النفس والسلوك التنظيمي ، ودعت الحاجة الى التكامل والتواصل في كل حقول المعرفة والعلوم والعلاقات الانسانية وادارة المشاعر والعاملين لكل المستويات الادارية ، وتلمست المنظمات السياحية اهمية ادارة المشاعر والقدرات الشعورية والمشاركة الوجدانية ، والتعرف على عواطف الاخرين بادراك ووعي

(*) بحث مستل من اطروحة ، وهو جزء من متطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في علوم السياحة باشراف الاستاذ الدكتور فلاح تايه النعيمي .

في اعداد ملاكات كفوءة في تنفيذ البرامج والانشطة السياحية وادارة مشاعر السياح والمجاميع السياحية ، وانجاح المنظمة السياحية .

المبحث الاول : إدارة المشاعر

المفهوم ، الأهمية ، الأهداف

بدأ الاهتمام حديثا بمفهوم أدارة المشاعر كبنية نفسية يمكن من خلالها فهم الكثير من الجوانب للسلوك الإنساني ومحاولة البحث عن العلاقة بين الجانب العقلي والوجداني والعاطفي وأدارتها ومدى التجانس والتفاعل مع الذات والأخرين والسيطرة وضبط النفس للعمل على نجاح الفرد والمنظمة وكما يأتي :

اولا : المفهوم

اتجهت الإدارات الحديثة الى مواكبة التغيرات في منظمات الأعمال المتسارعة الخطى الى البحث والدراسة على أن إدارة المشاعر تهتم في فهم وإدارة (الوجدان والانفعالات والعواطف وضبط النفس والذات والمزاج والقدرة ، تحقيق التفاعل والتواصل مع الأخرين وتعلم المهارات الإيجابية) .

تختص إدارة المشاعر بدراسة الفرد ولاسيما العمليات العقلية (كالإحساس والأدراك والوعي والوجدان والعاطفة ومعرفة النفس ودواخلها وانفعالاتها وميولها ، وتعد هي الأساس للفهم والمعرفة والمعلومة ، وجاء اهتمام علماء الإدارة بالعلاقات الإنسانية للعاملين فيما بينهم وبين المستويات الإدارية وعلاقاتهم بالبيئة المحيطة ذات العلاقة . ويرى

(ستونستال ، ١٩٦٦: ٥) أن زيادة الوعي والفهم لعلاقات الأفراد يساهم في القدرة على التوجيه والقيادة لهم .

أن التعرف على الاتجاهات الشخصية والعاطفية للقيادات الإدارية والعاملين باختلافاتهم يساهم في خلق جو من التعاون في المنظمة ، وأن التفاعلات بين الأفراد والتكامل في مواقف العمل بشكل مثمر ومتعاون فيه رضا اقتصادي ونفسي واجتماعي وشعور بالسعادة ، وتعد كل العوامل العقلية والنفسية المحيطة ببيئة العمل من العوامل المؤثرة على الروح المعنوية وتزيد من حماسهم . (الحربي ، ٢٠٠٣: ٣٤)

وتعرف إدارة المشاعر بأنها (القدرة على توجيه النفس بأن افعالها وانفعالاتها وعواطفها نحو الأهداف التي تصبو الى تحقيقها في كل ما يملكه الفرد من أفكار وذات ووجدان ومهارات واستغلالها الاستغلال الأمثل في تحقيق الأهداف المنشودة) .

وأن القدرة على توجيه العمليات العقلية (كالإحساس والأدراك والوعي المرتبطة بالحالة الوجدانية والانفعالية واستغلالها لتحقيق السعادة والرضا والشعور بالأمل هو ما يسمى بإدارة المشاعر .

إنّ فهم سلوك الأفراد وطريقة تصرفاتهم وتفاعلهم في المواقف المختلفة لهُ أثر كبير في نجاح المنظمات السياحية ، ولفهم سلوكهم يجب الوقوف على طريقة إدراكهم وأحاسيسهم للبرامج والخدمات المقدمة واستجابتهم لها من خلال اختيار وتنظيم المعلومات وتفسيرها بناءً على مخزون من خبرات وتجارب الفرد .

ثانيا : الأهمية : أهمية إدارة المشاعر

تسعى الإدارات السياحية الى تتبع مبدأ إدارة المشاعر لأهمية المواصفات النفسية والعقلية والوجدانية والبدنية للعاملين وأن يتصفوا بالصدق والإخلاص والثقة بالنفس والصحة واللياقة .

١- تساهم إدارة المشاعر الى التكامل والتجاوب والتفاعل بين الأفراد في محيط العمل وبين المجاميع السياحية الذي يدفعهم الى الأداء الفعال وإشباع حاجاتهم النفسية والاجتماعية .

٢- تسهم في التعبير عن الذات الإنسانية والإحساس بالأمان والراحة والاطمئنان والمكانة الاجتماعية سواء بين الأفراد العاملين فيما بينهم أو مع البيئة الخارجية للعمل.

٣- تسهم في تأجيج الشعور بالانتماء للعمل بسبب قدرتها على خلق بيئة للعمل أساسها الألفة والمحبة والتعاون والصدق والأمانة .

٤- تسهم إدارة المشاعر في الثبات في المواقف و الاتزان العاطفي لضمان حسن التصرف في المواقف المفاجئة والحرجة التي يتعرض لها .

٥- خلق شخصية مستقرة وناضجة متكاملة تمكنه من التعامل مع ثقافات ومستويات مختلفة من البشر في أي وقت وأي مكان .

٦- تفهم معايير التعامل المقبول وغير المقبول .

٧- التحكم والسيطرة وعدم التسرع .

ثالثاً : أهداف إدارة المشاعر

أن قدرة الفرد على الانتباه والأدراك الجيد لانفعالاته ومشاعره وفهمهما وصياغتها بوضوح وتنظيمها للتأثير والتواصل مع مشاعر الآخرين للوصول الى علاقات إيجابية تساعده على النجاح وتحقيق أهداف المنظمة وتهدف إدارة المشاعر الى العديد من الأهداف منها :

١- معرفة الوعي الذاتي :

أن المعرفة النفسية وفهم الذات وتمييز انفعالاتها وتطويرها والفرق بين المشاعر والأفعال وإحساس الفرد وقدرته على تحديد خياراته التي تنسجم مع هويته ومبادئ عمله تضعه في حدود التصرف السليم ، ويرى (Goleman,١٩٩٥:٤٤) أن الوعي الذاتي يهدف الى التحكم بالاندفاعات والمثابرة والحماسة والدافعية والتعاطف واللباقة .

٢- التعرف على عواطف (انفعالات) الآخرين :

وتهدف الى التقاط الإشارات والتعابير والرموز التي تدل على أن هناك من يحتاج اليهم ، والقدرة على مواجهة وتحريك أحاسيسهم وإقامة علاقات ناضجة بالإقناع والتأثير فيهم والإنصات اليهم. (Goleman,١٩٩٥:٥٩)

٣- الأدراك الوجداني : (Perceiving Emotions) *

ويتمثل في إدراك الانفعالات الذاتية والخاصة بالآخرين من خلال الكفاءة في معرفة وفهم التغيرات غير اللفظية والأفكار واللغة والصوت

والتصرفات التي تظهر على وجههم والاستجابة بما يتلاءم وهذا الأدراك على التصرف وحل المشكلات (فوقية ، ٢٠٠١:٢٥٥) والميل وتنظيم استخدام الوجدان للتكيف مع الذات ومع الأخرين .

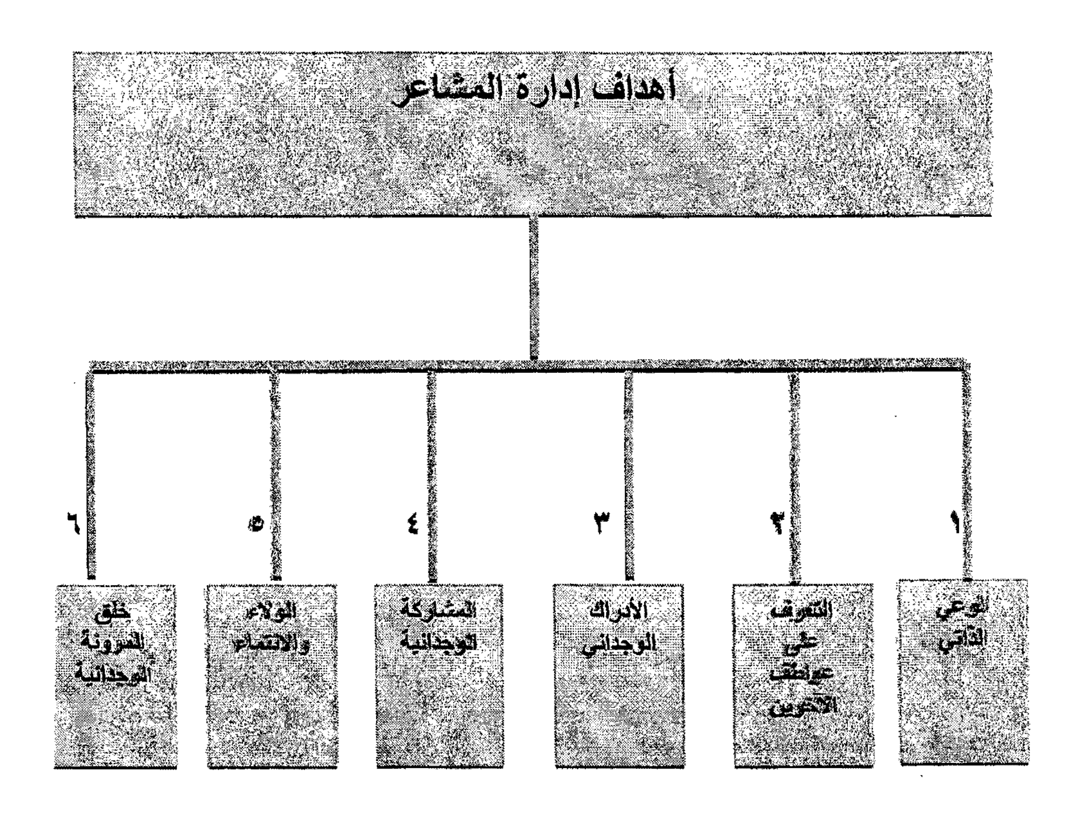
٤- المشاركة الوجدانية :

إن أدراك التكوين الداخلي للآخرين عاطفيا ومعرفيا والتفكير في وجهة نظرهم وفهمهم واستيعابهم لخلق علاقات إنسانية هو ما تسعى اليه الأدارات السياحية ، فالانتباه والأصغاء والاستماع للأخرين والتواصل وفهم إحساسهم وآلامهم أو أفراحهم من خلال التفاعل العقلي والانفعالي تمكن الفرد والأخرين العمل بوعي وحماس ذاتي . (Davis,١٩٦٦:٤٢٧)

٥- الولاء والانتماء :

يتم من خلال الأدراك والوعي والفهم لحاجات الآخرين وحبهم والاحتفاظ بهم وأجراء العلاقة معهم (القطان ، ٢٠٠٢:٢) ويرى (An & Noh,٢٠٠٩:٢٩٣) أنه التجاوب والتعاطف والمصداقية ، ويتعلق الولاء بوجدان الفرد اتجاه الآخرين أو جماعة معينة وإبداء الإخلاص والمحبة والاندماج نحوهم لاهتمامه بهم (رونالد.ي ريجيو ، ١٩٩٩:٢٧٦) . كذلك الانتماء الذي تسعى اليه الإدارة السياحية من خلال أشباع حاجات الأفراد عن طريق الارتباط والتوحد مع الأخرين لغرض شعورهم بالقبول والتميز . (المطيري ، ٢٠٠٦:١٥)

٦- خلق المرونة السياسية على التكيف وخلق البدائل والخيارات في أسلوب التعامل بنجاح مع الآخرين بالمواقف والضغوطات والأزمات والابتعاد عن الصلابة في نمط التفكير والحزم المختلفة وتعد المرونة الوجدانية استجابة انفعالية وعقلية تهدف الى التكيف الإيجابي للفرد للتوسط أو التغير أو الأخذ بأيسر الحلول. (الأحمدي ، ٢٠٠٧: ٤)



شكل (١) يوضح أهداف إدارة المشاعر

المبحث الثاني : الرضا

أولا : – الرضا

يعد الرضا من المواضيع التي نالت اهتمام كثير من الباحثين في العلوم الإدارية والسياحية ، وتسعى المنظمات السياحية الى الاستمرار والبقاء والتميز في ظل المتغيرات العالمية الجديدة والأبتكارات المتنوعة والسريعة على مختلف الأصعدة لتلبية رغبات وحاجات وميول واذواق مختلف شرائح السياح وتوقعاتهم ، ويعد الرضا من مؤشرات الجودة والخدمة والبرامج السياحية المتميزة ، واصبحت المنظمات تعد السائح اصلا من أصولها ومورداً مهما وهو أساس بقائها ومكاسبها ويقوي ويدعم حصتها ومكانتها بين المنظات، فإرضاء وكسب ولاء السياح ، وجذب اكبر عدد منهم والحفاظ عليهم يتم من خلال عدة متطلبات واساليب وطرق تنتهجهاالادارة السياحية لتحسين خدماتها المقدمة وتهيئة كوادر مهنية كفوءة متمثلة (بالمرشد السياحي) وبسمات وخصائص شخصية مميزة ،ومهارات وتنظيم وإدارة وقت البرامج السياحية وتقديم أفضل ما عندهم لتفوق توقعاتهم وتكسب رضاهم وولاءهم ولتحقيق النجاح للمنظمة.

والرضا تم إدراكه كقيمة أو شعور يرتبط بمقدار حب السائح للبرنامج المنفذ والخدمات الأخرى بعد تجربتها وأن يكون إستجابة للتوقعات أم عدم الإستجابة ويَعد المحور الأساس لتوثيق العلاقة الترابطية الدائمة بين السائح والمنظمة وذلك لتحقيق قناعة لديه بأن جميع الخدمات المقدمة اليه مطابقة

لتوقعاته وحاجاته وتهدف الى بناء علاقات مستقبلية طويلة الأمد مبنية على أساس تبادل المنفعة بين الطرفين . (الطائي والعبادي ، ٢٠٠٩:٢٢٢) .

والرضا في اللغة هو الموافقة والقبول والإرتياح والإستحسان ، وهي من أعمال القلوب . واصطلاحا هو طيب النفس بما يُصيبه ويقويه مع عدم التغيير ، وهو القناعة والإكتفاء ، والرضا ضد السخط (مادة رضى ، لسان العرب : ١٤/٣٢٣) .

ويُفسر الرضا على أنه (شعور أو مشاعر) فيرى (Kotler,٢٠٠٦:١٤٤) أنه شعور شخصي بالبهجة أو بخيبة الامل نتيجة مقارنة أداء الخدمة او المنتج مع توقع السائح ، أما (الحسنية ، ٢٠٠٩:٢٨٧) فهو الشعور بالسعادة والإبتهاج الذي يحصل عليه الفرد نتيجة إشباع حاجة أو رغبة عنده ، اما (الربيعي ، ٢٠٠٥: ٦٧) فهو شعور وجداني يترجم الى حالة من القناعة والقبول التي يكون عليها الفرد من جراء أستخدام الخدمة . ويرى (Lendrevie,Lidon,٢٠٠٣:٩١١) إنها مشاعر سرور او عدم سرور تنشأ من المقارنة بين الخدمات المتوقعة وتجربة الأستهلاك ، فهي مشاعر . وذهب الباحثون الى إنه (إحساس) فيرى (Kotleretal,١٩٩٩ :) إنه إحساس الفرد بالمتعة أو الإحباط الناتج عن إداء المنتج او القيمة المتحصل عليها من أستخدام الخدمة مقارنه بتوقعه قبل الأستخدام وهو الإحساس بالقبول والسعادة والحماسة والبهجة .

فأعطى الباحثون وصفا للرضا بأنه (الحالة النفسية) للفرد السائح التي يشعر بها عندما يحصل على مكافأة كافية وخدمات مميزة مقابل التضحية بالنقود والمجهود (العجارمة ، ٢٠٠٥:٣٥١) وأكد (Belin,٢٠٠٢:١٠٧)

أنه حالة نفسية لما بعد الخدمة وأستهلاكها يُترجم ببساطة بشعور عابر ناتج عن الفرق بين توقعات العميل والأداء المدرك ويعتمد على المواقف السابقة تجاه الخدمة .

ثانيا – الخصائص الشخصية للمرشد السياحي

تتميز الإدارة السياحية عامة والمرشد السياحي خاصة بصفات شخصية وقيادية متزنة ومؤثرة وفعالة . فالذكاء والقدرات والثقافة والمعلومات والمرونة وتقبل الأفكار هي مقومات شخصية وكذلك الإحساس والإستماع والدقة وما يحملهُ في أعماق النفس وما يتسم به المرشد السياحي من صفات أخلاقية كالصدق والتسامح والانبساط وايضاً الصفات الجسمية كالنشاط والحيوية والجمال واللياقة وحدة الحواس ، فهي كل الصفات الجسمية والعقلية والمزاجية والوجدانية والاخلاقية والاجتماعية التي تميزه عن غيره تمييزا واضحا (John&et.al, ١٩٩٤:١٠٦) ، ووصفت الخصائص الشخصية بأنها مجموع النزعات السلوكية والانفعالية للفرد وهي معقدة وتحمل خصائص ومميزات تميزه عن الاخرين (Laird et al,١٩٧٥:٢٦) ويرى (عبادة ، ٢٠٠١:١٣) انها نظام متكامل من السمات الجسمية والعقلية والاجتماعية والانفعالية الثابتة نسبيا التي تميز الفرد وتحدد اسلوب تعامله وتفاعله مع الاخرين ، وكذلك مع البيئة الاجتماعية والمادية المحيطة به .وتتمثل لدى شخصية المرشد السياحي عدد من الخصائصْ منها :-

١- الصفات والقدرات والمهارات التي تتصل بالمرونة والتجدد في التفكير وعدم التعصب او التحمس في تنفيذ البرنامج السياحي .

٢- الطاقات الدافعة والقدرات الكامنة والطلاقة في التعبير وإتقان اللغات المتعددة .

٣- الإحساس بالاخرين .

٤- الثقة بالنفس والقدرة على المواجهة والخروج عن النمطية .

٥- الاصالة والعزيمة والاصرار على التجديد .

٦- الذكاء والالمعية وتحقيق التميز . (عبد الفتاح ،٦١:١٩٩٥) .

ثالثا : ضبط النفس Self-control

يُعد من المواضيع المهمة في المنظمات السياحية ولاسيما لدى المرشد السياحي الذي يتمكن من خلق عادات وأفكار وافعال لتطوير وتحقيق هدفه وهدف المنظمة وهو كظم الغيظ او السكوت او السيطرة على الانفعالات وهو الحكمة ، ويتمثل في القدرة على الاتزان الانفعالي.

ومن المؤشرات التي تدل على توفرها لدى المرشد السياحي هو قدرته على مواجهة ومرافقة اعداد من المجاميع السياحيةوعدم شكة بمبادئة التي يؤمن بها وعدم الخضوع للضغوط..

المهارات Skills

يعد التسارع في النمو المعرفي والتقني والقيمي من متطلبات العصر مما يستدعي بذل الجهود الكبيرة لتحقيق التناغم الايجابي بين المنظمة السياحية والبيئة الخارجية والبيئه الداخلية وتزويد أفرادها وتمكينهم بمهارات تساهم في تحقيق الاهداف المرجوة .

وترتبط المهارات بكل أشكالها بتكامل شخصية المرشد السياحي التي تعني الانسجام والتوازن في السلوكيات ولتحقيقها يتطلب الكثير من المُثل العليا (كالأمانة والاخلاص والاخلاق) والقدرة على التعامل مع مختلف الثقافات وبشكل ايجابي وفني لأنعكاسه على المنظمة وسمعتها .

وتصنف المهارات الاساسية الى :. مهارات الوعي بالذات ، التعاطف ، إتخاذ القرار ، حل المشكلات ، مهارات الاتصال والتواصل ، العلاقة بين الاشخاص ، التفكير الابداعي الخلاق ، التعامل مع العواطف ، التعامل مع الضغوط (وافي ، ٢٠١٠:٤٢) .

وجاءت تصنيف اليونيسف لتشمل المهارات النفسية والاجتماعية والعلاقات بين الافراد منها : - ١ مهارات التواصل الخاص بالعلاقات بين المرشد والسياح .

- التواصل اللفظي / غير اللفظي .
- التعبير عن المشاعر ، وابداء الملاحظات ، تلقي الملاحظات .
- مهارات التفاوض.
- التقمص العاطفي (نفهم الغير) .
- التعاون . وعمل الفريق
- مهارات التأثير في السياح وأقناعهم . .
- مهارات صنع القرار وحل المشكلات اثناء البرنامج السياحي .
- مهارات إدارة المشاعر للمرشد السياحي.
- المشاعر الايجابية ، التقدير ، الثناء .
- التعامل مع الفشل ، والاساءة ، والصدمات .

- مهارات إدارة التعامل مع الضغوط .
- إدارة الوقت .
- التفكير الايجابي .
- التفكير الابداعي . (واقي ،٢٠١٠:٤٤) .

وتسهم المهارات في عملية تحسين الاداء الإداري والقدرة على التأثير في الآخرين ، ويمكن أجمال المهارات كالاتي :-

١- المهارات الادارية .
٢- المهارات الذاتية .
٣- المهارات الفنية .
٤- المهارات الانسانية
٥- المهارات الذهنية
٦- المهارات اللغوية

المبحث الثالث : الجانب العملي

اولا : منهجية البحث

أ. مشكلة البحث : تعد المشاعر مصدر وثروة أدركتها المنظمات السياحية وتوجهت نحوها التوجه الصحيح والرؤية السليمة ، وتعد القدرات الشعورية التي توظف من الإدارات والقيادة هي النجاح المؤكد في تنفيذ البرامج السياحية وكل أنشطة المنظمة ، وتعد في أدبيات الموارد البشرية هي الأسلوب الأمثل في إدارة مشاعر العاملين والضيوف من خلال التفاعل الإيجابي مع الآخرين ، والتعاطف والتكييف مع أنواع المشاعر الإيجابية او السلبية والتحكم والسيطرة على الذات والبيئة المحيطة بالعمل والضيوف (السياح) وضبط النفس والقدرة على الاتزان العاطفي والحكمة والمهارات في تنفيذ البرنامج السياحي لإرضاء السائح وبالإمكان تحديد المشكلة في الأسئلة التالية : -

١. لم تعتمد مفاهيم ادارة المشاعر أساسا او معيارا في اختيار القيادات والعاملين في المنظمة السياحية .
٢. ما هي الخصائص الشخصية والمهارات التي يمتلكها المرشد السياحي .

ب. اهمية البحث

١. تسليط الضوء على مفاهيم النظام المعرفي والسلوكي لإدارة المشاعر للمرشد السياحي باعتبارها من المفاهيم الحديثة في أدبيات السياحة .

٢. إبراز دور إدارة المشاعر واهدافها ووظائفها وتأثيرها في رفد المنظمات السياحية بعناصر كفوءة ومتمكنة من المرشدين السياحيين .

٣. تعزيز المنظمات السياحية بملاكات لها خصائص شخصية ومهارات تساهم في تنمية وتطوير عملها وكسب رضا السائح .

ث. هدف البحث

١. فتح آفاق وقنوات بحثية جديدة في مجال ادارة المشاعر للمرشد السياحي والعاملين في المنظمة .

٢. فهم وظائف واهداف ادارة المشاعر التي تساهم في تحسين قدرات المرشد السياحي وزيادة مهارته لإرضاء السائح ونجاح المنظمة .

٣. التعرف على العلاقة بين إدارة المشاعر واهدافها ووظائفها وبين متطلبات رضا السائح من الخصائص الشخصية وضبط النفس والمهارات للمرشد السياحي والعاملين في المنظمة .

فرضية البحث

نفرض أن

- إدارة المشاعر للمرشد السياحي لا تؤثر في متطلبات رضا السائح .
- إدارة المشاعر للمرشد السياحي لها تأثير كبير في متطلبات رضا السائح .

ثانيا : التوزيع التكراري لأفراد عينة البحث

١- التوزيع التكراري لإفراد عينة البحث حسب الجنس: من خلال تحليل إستمارة الإستبانة بعد ملئها من قبل أفراد عينة البحث (مكاتب وشركات السياحة والسفر والمتاحف) التي كانت بواقع (١٠٠) استمارة على وفق ما يأتي في الجدول (١) :

جدول (١) توزيع تكراري لعينة الدراسة بحسب الجنس

المعلومات	الفئة	النسبة المئوية
الجنس	انثى	٤٣
	ذكر	٥٧
المجموع		١٠٠٪

٢- التوزيـع التكـراري لأفـراد عينـة البحـث حسـب الفئـة العمريـة : خـلال تفريـغ البيانـات الخاصـة بالفئـة العمريـة لأفـراد عينـة البحـث وكمـا موضح في الجدول (٢) :

الفئة العمرية	٣٥ سنة فأقل	٣١
	من ٣٦ إلى ٤٥	٣٩
	من ٤٦ إلى ٥٥	٢٣
	٥٦ فأكثر	١٦
المجموع		١٠٠٪

جدول (٢) توزيع تكراري لعينة الدراسة بحسب الفئة العمرية

٣- التوزيع التكراري لأفراد عينة البحث حسب التحصيل العلمي :

من خلال البيانات الخاصة بالتحصيل الدراسي للعينة وكما موضح بالجدول (٣) :

جدول (٣) توزيع تكراري لعينة الدراسة بحسب التحصيل العلمي

التحصيل العلمي	اعدادية	١٧
	دبلوم	١٨
	بكالوريوس	٥٣
	شهادات عليا	١٢
المجموع		٪١٠٠

٤- التوزيع التكراري لأفراد عينة البحث حسب الوظيفة : تبين من خلال تفريغ البيانات الخاصة بحسب الوظيفة من الجدول (٤) :

جدول (٤) توزيع تكراري لعينة الدراسة بحسب الوظيفة

الوظيفة	متقاعد	٢٠
	موظف	٢٥
	طالب	٢٤
	بدون عمل	١٠
	اعمال حرة	٢١
المجموع		١٠٠٪

ثالثاً : عرض البيانات وتحليلها

تحليل البيانات الخاصة بأهداف ادارة المشاعر:

١- اهداف ادارة المشاعر : بلغت قيمة الاهمية النسبية (٧٩.٩٥ ٪) وهي نسبة عالية تؤكد اتفاق عينة الدراسة على معظم فقرات هذا المحور ، حيث سجل الوسط الحسابي لهذا المحور (٥.٦) وهي أكبر من قيمة الوسط الفرضي البالغة (٤) وهذا يعني ان اجابات العينة لهذا المحور متجهة نحو الاتفاق ، وبانحراف معياري (١.٠٩) ، ما يشير الى مدى تجانس الاجابات بخصوص الاهداف كما في جدول (٥)

جدول (٥) مدى تجانس الاجابات بخصوص الاهداف

المحاور	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الاهمية النسبية
الادراك الوجداني	٥.٨	١.٠٣	٨٢.٨٦
الولاء والانتماء	٥.٥٧	١.١٧	٧٩.٥٧
خلق المرونة الوجدانية	٥.٤٢	١.٢٢	٧٧.٤٣
الأهداف	٥.٦٠	١.٠٦	٧٩.٩٥

٢- وظائف ادارة المشاعر : بلغت قيمة الاهمية النسبية (٨٠٪) وهي نسبة عالية تؤكد اتفاق عينة الدراسة على معظم فقرات هذا المحور، حيث سجل الوسط الحسابي لهذا المحور (٥.٦) وهي أكبر من قيمة الوسط الفرضي البالغة (٤) وهذا يعني بان اجابات العينة لهذا المحور متجهة نحو الاتفاق ، وبانحراف معياري (١.٠٩)، ما يشير الى مدى تجانس الاجابات بخصوص وظائف ادارة المشاعر كما في جدول (٦) .

جدول (٦) مدى تجانس الاجابات بخصوص وظائف ادارة المشاعر

	المحاور	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الاهمية النسبية
القيادة	المبادرة واتخاذ القرار	٥.١٥	١.٤٧	٧٣.٥٧
	الذكاء العاطفي والاجتماعي والوجداني	٤.٢٤	١.٧٤	٦٠.٥٧
	بث روح التعاون والتشجيع	٥.٩	١.٦٥	٨٤.٢٩
	الاجمالي	٥.١	١.٣٥	٧٢.٨١
التكيف	بناء علاقات مرضية مع السائح	٥.٧٩	١.١٣	٨٢.٧١
	المرونة وإيجاد الحلول	٥.٥٤	١.٣٩	٧٩.١٤
	الابتعاد عن التوترات والصراعات	٥.٦٩	١.٢٩	٨١.٢٩
	الاجمالي	٥.٦٧	١.١٦	٨١.٠٥
الاحتواء	الاستيعاب وغمر المجموعة بالاحترام	٥.٦٥	١	٨٠.٧١
	فهم الملامح والتعابير	٥.٨٦	٠.٩٦	٨٣.٧١
	التطبيع وخلق أجواء مريحة	٥.٦٦	٠.٩٣	٨٠.٨٦
	الاجمالي	٥.٧٢	٠.٨٨	٨١.٧٦

التفاعل	التأثر والتأثير المتبادل للثقافات	٥.٧٥	٠.٧٦	٨٢.١٤
	استجابة وتجارب المرشد مع المجاميع	٥.٦٤	١	٨٠.٥٧
	الاندماج بين المرشد والسياح	٥.٩٢	١.١١	٨٤.٥٧
	الاجمالي	٥.٧٧	٠.٨٩	٨٢.٤٣
السيطرة	التحكم بالقرارات والسياسات	٥.٧٦	٠.٩٥	٨٢.٢٩
	ضبط ردود الأفعال للمجاميع	٥.٨	٠.٩١	٨٢.٨٦
	عدم ترك العنان للغضب ورد الفعل السريع	٥.٥٥	٠.٨	٧٩.٢٩
	الاجمالي	٥.٧	٠.٨١	٨١.٤٨
التعاطف	مشاركة الآخرين مشاعرهم	٥.٨٨	٠.٨٦	٨٤
	الاستجابة والفهم وتقدير احتياجات السياح	٥.٩١	٠.٩٢	٨٤.٤٣
	الإصغاء والملاحظة لكل أفراد المجموعة	٥.٤٨	١.٥٤	٧٨.٢٩
	الاجمالي	٥.٧٦	١.٠١	٨٢.٢٤
التعبير	الارتجال والسرعة في المواقف المفاجئة	٥.٣٤	١.٤٤	٧٦.٢٩

	اللباقة والاسترسال	٥.٥٦	١.٣٤	٧٩.٤٣
	الأسلوب البليغ والخيال الخصب في الشرح	٥.٥٤	١.٣٦	٧٩.١٤
	الاجمالي	٥.٤٨	١.٢٥	٧٨.٢٩
	الوظائف	٥.٦٠	١.٠٩	٨٠.٠٠

نستنتج من ذلك :

- حصلت فقرة التفاعل على مستوى اهمية نسبية بلغت (٨٢.٤٣) في حين كانت فقرة القيادة اقل مستوى اهمية بقيمة (٧٢.٨١) .
- تمتاز فقرة التفاعل بأهمية عالية وذلك باستجابة وتجاوب المرشد مع السائح والمجاميع السياحية بشكل مباشر ما يحقق التبادل الثقافي والتعاون والانسجام.

٣- الخصائص الشخصية: بلغت قيمة الاهمية النسبية (٧٦.٤٣٪) وهي نسبة عالية تؤكد اتفاق عينة الدراسة على معظم فقرات هذا المحور، حيث سجل الوسط الحسابي لهذا المحور (٥.٣٥) وهي أكبر من قيمة الوسط الفرضي البالغة (٤) وهذا يعني ان اجابات العينة لهذا المحور متجهة نحو الاتفاق بشدة، وبانحراف معياري (١.٠٧) ، ما يشير الى مدى تجانس الاجابات بخصوص الخصائص الشخصية كما في جدول (٧) .

جدول (٧) مدى تجانس الاجابات بخصوص الخصائص الشخصية

المحاور	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الاهمية النسبية
الحكمة	٥.٥٢	١.١٥	٧٨.٨٦
الإحساس بالآخرين	٥.٢٥	١.١٥	٧٥
التمتع بالنشاط والحيوية	٥.٠٧	١.١٣	٧٢.٤٣
إتقان اللغات الاجنبية	٥.٧	١.٠١	٨١.٤٣
ضبط النفس	٥.٧٢	١.١٦	٨١.٧١
المرونة وتقبل الأفكار	٤.٨٣	١.٢٦	٦٩
الخصائص الشخصية	٥.٣٥	١.٠٧	٧٦.٤٣

وامتازت فقرة المرونة وتقبل الافكار بقيمة (٦٩) بينما كانت فقرة ضبط النفس هي اعلى مستوى اهمية (٨١.٧١) اذ ترتبط هذه الفقرة بالاتزان العاطفي والتمتع بالنضوج وعدم الخضوع للضغوط من الاخرين وهذا ما اكدته اجابات عينة الدراسة.

٤- المهارات : بلغت قيمة الاهمية النسبية (٧٩.٥٧ ٪) وهي نسبة عالية تؤكد اتفاق عينة الدراسة على معظم فقرات هذا المحور، حيث سجل الوسط الحسابي لهذا المحور (٥.٥٧) وهي أكبر من قيمة الوسط الفرضي البالغة (٤) وهذا يعني ان اجابات العينة لهذا المحور

متجهه نحو الاتفاق بشدة ، وبانحراف معياري (١.١٤) ، مما يشير الى مدى تجانس الاجابات بخصوص المهارات كما في جدول (٨) .

جدول (٨) مدى تجانس الاجابات بخصوص المهارات

المحاور	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الاهمية النسبية
ادارية	٥.٣١	١.٥	٧٥.٨٦
فنية	٥.٠٣	١.٦٥	٧١.٨٦
انسانية	٥.٧٨	١.٠٩	٨٢.٥٧
لغوية	٥.٨٧	٠.٩٧	٨٣.٨٦
بناء علاقات طيبة مع جميع السياح	٥.٨٨	٠.٨٣	٨٤
المهارات	٥.٥٧	١.١٤	٧٩.٥٧

المبحث الرابع : الاستنتاجات والتوصيات

اولا :الاستنتاجات

١- تمتاز إدارة المشاعر بالإحساس والادراك والوعي والوجدان والعاطفة بأعتبارها المفاهيم الاساسية لتوليد المعلومة والمعرفة بما يحقق زيادة الوعي لدى المجاميع السياحية .

٢- تمتاز ادارة المشاعر بعدة اهداف (الادراك الوجداني ، والولاء والانتماء ، وخلق المرونة الوجدانية) لبناء علاقة انسانية مستمرة والانفتاح بالتفكير والاستجابة والتكيف مع الآخرين .

٣- يظهر الرضا كقيمة وشعور يدركه السائح ويقيم الخدمات المقدمة بعد تجربتها ويكون التوقعات سواء كانت استجابة او عدم استجابة .

٤- تساهم الخصائص الشخصية التي يمتلكها المرشد السياحي من حكمة وضبط النفس واتقان اللغة والمرونة وتقبل الافكار من بناء اواصر المحبة والتجاوب بين السائح والمنظمة السياحية .

٥- ترتبط المهارات بكل اشكالها بتكامل شخصية المرشد السياحي وقدرته على التعامل مع مختلف الثقافات وخلق قنوات التواصل والتعامل في المواقف الصعبة وبناء علاقات طيبة من كسب رضا السائح .

ثانيا : التوصيات

١- يتطلب من الادارات السياحية التوجه بإدارة سلوك السائح واحتياجاته بالعقل والقلب وتوظيف امكانية المرشد السياحي والعاملين على فهم وادارة الذات والاخرين والتعاطف والسيطرة على الانفعالات .

٢- ضرورة استقطاب اكبر عدد من المجاميع السياحية من خلال العمل على خلق المرونة الوجدانية والتكيف والتلاؤم والمواجهة الايجابية من قبل المرشد ورفع مستوى الولاء والانتماء للمنظمة السياحية .

٣- يتحتم على الأدارة السياحية البحث عن التميز والريادة بوجود افراد يتمتعون بصفات وخصائص شخصية متزنة وقادرة على تقديم المشورة

للأخرين وحل المشاكل وقبول التوجهات الحديثة في ادارة البرامج السياحية .

٤- اتباع اساليب جديدة في ادارة المنظمة وتمكين العاملين ذوي المهارات بأستخدام طرق تتسم بالدقة والبراعة في الاداء والتعامل بإيجابية مع المواقف والانسجام مع الآخرين لتحقيق التناغم بين المنظمة والمجاميع السياحية والبيئة الخارجية .

٥- تبني شخصية لها القدرة على الادراك الوجداني والولاء واستيعاب المجاميع السياحية وخلق اجواء مريحة بتنوع ثقافاتها واتجاهاتها في تنفيذ وتميز البرامج السياحية .

المصادر :

١- الاحمدي ، انس سليم ، المرونة : حدود المرونة بين الثوابت والمتغيرات ، ط١، مؤسسة الامة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ٢٠٠٧ .

٢- الربيعي ، منى شفيق ، التسويق بالعلاقات / المنظمة العربية للتنمية الادارية القاهرة ، ٢٠٠٥ .

٣- رونالد . ي ، ريجيو ، علم النفس الصناعي والتنظيمي ، ت فارس حلمي ، ط١، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن ، ١٩٩٩.

٤- سلثونستال ، روبرت ، العلاقات الانسانية في ادارة الاعمال ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٦.

٥- الطائي يوسف حجيم ، العبادي هاشم فوزي . اداره علاقات الزبون ، دار الوراق عمان ، ٢٠٠٩ .

٦- العجارمة ، تيسير ، التسويق المصرفي ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، ط١ الاردن ، ٢٠٠٥ .

٧- قريبع . محمد عبادة ، القيم الحضارية الخالدة من الدين الاسلامي ، المجلة الجامعة ، العدد ٧ ، (٢٠٠١)

٨- لسان العرب ، محمد بن مكرم الانصاري ، مادة رضى ، الدار المصرية للتأليف والترجمة

٩- المطيري ، نايف ، العوامل الشخصية والوظيفية وعلاقتها بالانتماء الوظيفي ، جامعة نايف العربية للعلوم الامنية ، الرياض ، ٢٠٠٦.

١٠- وافي ، عبد الرحمن جمعة ، المهارات الحياتية وعلاقتها بالذكاءات المتعددة لدى طلبة المرحلة الثانوية في قطاع غزة ، ٢٠١٠.

الدوريات

١١- الحسنية ، سليم أبراهيم ، مدى رضا طلبة كلية الادارة والاقتصاد في جامعة حلب عن مستوى الاداء الاداري والاكاديمي ، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية ، المجلد ٢٥ ، العدد الثاني ، ٢٠٠٩.

١٢- عبد الفتاح ، فوقية ، الذكاء الاجتماعي لمعلمة الروضة وعلاقته بذكاء اداتها ، المجلة المصرية للدراسات النفسية ، العدد(٣٢) ، ٢٠٠١ ، مصر .

١٣- عبد الفتاح ، نبيل ، مهارات التفكير الابداعي ، وعلاقتها بعملية إتخاذ القرار ، مجلة الاداري ، العدد ٦٠ ، ١٩٩٥.

الرسائل العلمية

١٤- الحربي ، علي بن سعد ، أهمية دور معلمي العلوم الطبيعية في تنمية القيم العلمية لدى طلاب الصف الثالث الثانوي ، درجة الدكتوراه ، كلية التربية ، جامعة أم القرى / المملكة العربية السعودية ، ٢٠٠٣ .

١٥- القطان ، عبير جاسم ، تقويم أثر التسويق بالعلاقات على ولاء طالبي خدمات النقل الجوي ، رسالة ماجستير ، عين شمس ، مصر ، ٢٠٠٢.

16- An, M&Noh, Y.Airline customer satisfaction and loyalty :impact of in-flight service quality. Serve bus, 3(3). 2009.

17- Belina ,la mesure de la satis faction clienk dans les markes industrial mastere marketing ecole supereur de commerce de Toulouse ,2002.

18- Davis, Keith. Human relation at work- kogkusha-co.Ltd, Tokyo, second ed, New York.1966

19- Goleman ,D., Emotional intelligence , why it is matter more than IQ (London , Bloomsbury) , 1995.

20- john ,o.p., caspi,a., robins , r.w.,moffitl five - exploring the nomological network of the rive-fact . 1994.

21- kotler , philp dkeller, Kevin lane, _ marketing management ,12th edition , new lersey: pearson .2006

22- Kotler, Philip& Armstrong Gary& Saunders, J. & Woge, V., "Principles of Marketing", 2nd ed., European Edn., Practice-hill, New Jersey,1999.

23- Laird, D.A., Laird, E.C. and Fruehling, R.T. " psychology: Human relation and work adjustment , New York: McGraw–Hill.1975.

24- Lendrevie ,jack ,lindon , Denis , Mercator – edition d all 3 , few edition , France . 2003

25- Lendrevie ,jack ,lindon , Denis , Mercator – edition d all 3 , few edition , France . 2003

دراسة في العلاقات الدلالية بين الالفاظ في الحقل الدلالي الواحد في ضوء كتاب (الايضاح في شرح سقط الزند وضوئه للتبريزي)

د٠ابراهيم رحمن حميد الاركي د٠عثمان رحمن حميد الاركي د٠منى شفيق توفيق القيسي
جامعة ديالى / كلية التربية للعلوم الانسانيه
قسم اللغة العربية

الملخص :

فان البحث في كتاب (الايضاح في شرح سقط الزند) معني بالتعامل مع شعر شاعر ظهر الى الوجود يقول الشعر، وينظمه على السليقة والطبيعة وكأنه مخلوق لذلك ٠ فالمعري شاعر مجد مجتهد بارع تجري الالفاظ والتراكيب على لسانه ما لمح شيئا في ذهنه أو خطر في باله أو أبصره في عينه ، فيتفنن حيث تظهر الصور الفنية واضحة المعالم كأنها روضة غنّاء وارفة الظلال رطبة ينسل منها ثراء لغوي لا يخفى ضوؤه على كل دارس لجوانب اللغة ودلالاتها فقد تمثلت فيه الحقول الدلالية ، والزخارف الفنية ، والصور البلاغية التي بها حاجة الى بعث الروح فيها لتظهر الى الوجود فرحنا نديم النظر للبحث عن دلالة الالفاظ فيما سيقدمه التبريزي من شرح لها في كتابه الايضاح حتى استوى البحث على سوقه ، فقسم بحسب الظواهر اللغوية الواردة فيه من تضاد ، ومشترك لفظي ، وترادف ، اذ تمثل هذه علاقات دلالية بين الالفاظ فعي الحقل الدلالي الواحد ٠ وكان منهجنا في الدراسة قائما على اثبات نص التبريزي وتعقبه نصوص اللغويين من اصحاب المعجمات واللغة وكتب الغريبين وغيرها ٠

- **اضاءة**

إن لعلماء اللغة أثرا بارزا في مجال دراسة الكلمات وعلاقتها داخل الحقل الدلالي الواحد ، اذ تناولوا في مباحثهم اللغوية ظاهرة الاضداد والمشترك اللفظي ، والترادف ، وان هذه المظاهر اللغوية تمثل حقلا دلاليا ، إذ تدرس الكلمة فيها مع أخرى في حقل دلالي واحد ، فالأضداد عندهم مصطلح يطلق على كل لفظ ينصرف الى معنيين متضادين بمعنى اتحاد في اللفظ وافتراق في المعنى (الشيء وضده) ، نحو : الليل والنهار ، والطول والقصر ، والنور والظلام[1] ... وغير ذلك ((والاضداد جمع ضد ، وضد كل شيء ما نافاه نحو البياض والسواد والسخاء والبخل ، والشجاعة والجبن ، وليس كل ماخالف الشيء ضدا له ، الا ترى أن القوة والجهل مختلفان ، وليس ضدين ، وانما ضد القوة الضعف ، وضد الجهل العلم ، فالاختلاف اعم من التضاد ، اذ كان كل متضادين مختلفين ، وليس كل مختلفين ضدين))[2] .

واما المشترك اللفظي فانه اللفظ الدال على ((معنيين مختلفين دلاله على السواء عند أهل تلك اللغة))[3] ، وقد شاعت امثلته وتعددت في كتب اللغة، فمثلا : العين فانها تطلق على الحاسة الباصرة ، أوعلى الحارس ، أو على عينْ الماء ، وغير ذلك .

---

(1) ينظر : الاضداد في اللغة /١٠٠ ، وفقه اللغة (وافي)١/١٩٣ ، وفصول في فقه اللغة / ٣٣٦ .

(2) الاضداد في كلام العرب ١/١ ، وينظر: الاضداد لأبي حاتم/٥٧ .

(3) المزهر ١/٢٩٢ ، وينظر: التعريفات/٢١٠ .

وأما الترادف فهو اتحاد في المعنى من دون اتحاد اللفظ ، وسنذكر تعريفه مفصلا في موضعه من الدراسة ، مقتصرين هنا على ما ذكر الامام الغزالي رحمه الله تعالى بقوله : ((كل اسمين لمسمى واحد يتناوله احدهما من حيث يتناوله الآخر من غير فرق))[٤] ، اي اختلاف اللفظين والمعنى واحد .

ويبدو ان هذا التعريف الجامع المانع الذي ذكره الغزالي رحمه الله يكاد يقترب الى حد ما مما قاله علماء اللغة من غير العرب ، إذ عرفه بعضهم بأنه : ((الفاظ متعددة المعنى وقابله التبادل فيما بينها في أي سياق))[٥] ، وله أمثلة كثيرة في كتب اللغة نحو : جاء واتى وغير ذلك .

ولاشك في ان سيبويه كان من اوائل من اشار الى هذه المظاهر الدلالية ، إذ ذكرها في نص كتابه : ((واعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، واختلاف اللفظين والمعنى واحد ، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين))[٦]، وهذا النص غالب على ظن الغزالي انه أول من سمى هذه المظاهر وابتدعها [٧]، ويشهد لسيبويه هذه المستهل اثبات أهل اللغة وتاييدهم لما نص عليه سيبويه ، وان الذين جاؤوا من بعده توسعوا فيها ايما توسع .

وقد قوبلت هذه المظاهر بالرد والرفض الصارم ، ولكنهم قوبلوا بصحتها واثباتها في نصوص اصحاب كتب اللغة وفقهها .

---

[٤] المستصفى ٣١/١ .

[٥] دور الكلمة في اللغة/٩٨ .

[٦] الكتاب ٢٤/١ .

[٧] ينظر : المستصفى ٣١/١ .

وسنتناول في هذا البحث تلك التي ذكرناها من المظاهر الدلالية والتي تدرس الكلمات وعلاقتها داخل الحقل الدلالي الواحد ٠

١. الاضداد

الاضداد لغة : ((الضد كل شيء ضادّه شيئا ليغلبه ، والسواد ضد البياض ، والموت ضد الحياة ، والليل ضد النهار ، اذا جاء هذا ذهب ذاك))[٨] ٠

واما في الاصطلاح فقد ذكرنا من قبل تعريفا له من انه مصطلح يطلق على الالفاظ التي تدل على معنيين متضادّين ٠

ومما يستوقفنا من خلال استعراض كلام اللغويين في الاضداد ان ابن الانباري حاول ان يدرس الكلمة بعيدة عن السياق وقريبة منه إذ قال : ((إن كلام العرب يصحح بعضه بعضا ، ويرتبط اوله بآخره ، ولايوفي معنى الخطاب منه الا بستيفائه ، واستكمال جميع حروفه ، فجاز وقوع اللفظ على المعنيين المتضادين ، لانه يتقدمها وياتي بعدها ما يدل على خصوصية احد المعنيين من دون الاخر ، ولايراد بها في حال التهكم والاخبار الا معنى واحد[٩] ٠

ومن القدماء من جعل الاضداد ضربا من المشترك اللفظي ، قال قطرب : ((الوجه الثالث : ان يتفق اللفظ الواحد الذي يجيء على معنيين فصاعدا ٠٠٠ ومن هذا اللفظ الواحد الذي يجيء على معنيين ما يكون

---

[٨] تهذيب اللغة مادة (ضد) ٠

[٩] الاضداد لابن الانباري / ٢ ، وينظر : المزهر ٣٩٧/١ ٠

متضادا في الشيء وضده))[١٠] ، وايده بعض علماء اللغة المحدثين ، غير أن الواقع اللغوي يثبت ان ظاهرة التضاد من الظواهر الدلالية القائمة بحد ذاتها ، وليست ذات علاقة بظاهرة المشترك اللفظي ، ونحن نميل الى ما قاله الدكتور محمد حسين آل ياسين بان تدرس الظاهرتان منفردتين للوصول الى نتائج دقيقة ، إذ ان الاختلاف في المشترك اللفظي اختلاف تغاير ، والاختلاف في الاضداد اختلاف تضاد[١١] ، وقد افاض الدارسون في بيان هذه الظاهرة افاضة اغنت عن الحاجة الى التكرار ٠

والقارىء لشرح الايضاح (للتبريزي) يجده قد مال الى اثبات هذه الظاهرة ، وانها مستعملة عند ابي العلاء في شعره ٠

– الأسداف

قال الشارح (التبريزي) : ((والأسداف في لغة تميم : الاظلام ، وفي لغة قيس : الاضاءة والصبح في هذه اللفظة يقال له السدف ، ويقولون اسدف لي بالسراج ، أي : اضاء))[١٢] ، ذكر ذلك في معرض شرحه لقوله :

قدرين في الارداء بل مطرين   في الاجداء بل قمرين في الاسداف[١٣] ٠

وفي النص اشارة من التبريزي تلوح للقارىء المتمعن ان احدا من اسباب نشوء هذه الظاهرة اختلاف اللهجات ، فالمعنى عند تميم الظلام ، وعند قيس

---

(١٠) الاضداد ١ /٢٤٤ ٠

(١١) ينظر: الاضداد في اللغة /١٠٢

(١٢) الايضاح ٢/٧٠ ٠

(١٣) المصدر نفسه ٠

النور او الاضاءة وهما معنيان متضادان عاشا في ظل لفظ واحد وهو (الاسداف) .

واثبت التضاد في هذا اللفظ جمع من اللغويين اذ نصوا على انها من الاضداد ، جاء في التهذيب للازهري : ((الاسداف من الاضداد))[١٤] ، وهناك من جعل الاسداف نوعا من اختلاف الضوء والظلمة جميعا ، ومثل بالوقت ما بين الفجر والاسحار[١٥] ، وقيل انما هو ((شيء يرسل من الظلام في الضوء ، او شيء يرسل من الضوء في الظلام ، وذهب الخليل الى انه من قبيل ظلام الليل[١٦].

ونلخص مما اطلعنا عليه من مصادر معتمدة ان الاسداف من التضاد وهذا امر يكشف عن مدى اهتمام الشارح بهذه الظاهرة اللغوية .

- النِّهَال

قال ((والنِّهال العطاش وقد يكون ضده في غير هذا الموضع))[١٧] وذلك في معرض حديثه أو شرحه لقول الشاعر :

بمنتظر مراقبة السواري   يهش لبرتها عصب نهال[١٨]

---

[١٤] تهذيب اللغة٢/٢٥٦ ، وينظر: لسان العرب٩/١٤٧ .

[١٥] ينظر: المحكم والمحيط الاعظم٨/٤٥٧ .

[١٦] ينظر: لسان العرب٩/١٤٧ .

[١٧] الايضاح ٢ /٨٦٤ .

[١٨] المصدر نفسه ١ /٧٧ .

١. في هذه اللفظة نجد الشارح قد ربط بين النّهال الذي يعنى به العطاش والنهال في موضع آخر أو في سياق أخر (ضده) اي لمعنى الأرواء يفهم من ذلك ان السياق بالنسبة لهذا اللفظ يحكم على معناه فالداخل في سياق البيت بمعنى العطاش والاخر ضده بمعنى الارواء ٠

ولم يختلف احد في أن (النّهال) من الاضداد[١٩] ٠

– شريت

قال التبريزي ((وشريت عندهم من الاضداد ، يكون بمعنى بعت ، وبمعنى شريت))[٢٠] وذلك في معرض شرحه لقوله :

يبعن تراث اباء كرام   وشرين الحجول أو الحجالا[٢١] ٠

وقد ورد الشراء في جميع ما اطلعنا عليه من مصادر اللغة بمعنيين متضادين هما الشراء والبيع ، قال الخليل : ((وقد شريت الشيء فانا اشريه شريا وشراء اذا بعته ، واذا اشتريته ، قال الله عز وجل ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ البقرة : {٢٠٧} ، أي يبيعها ، وقال ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ يوسف : {٢٠} أي باعوه[٢٢] ، وفي موضع آخر قال : ((وقد

---

[١٩] ينظر: غريب الحديث لابن سلام ١ /٢٢٤ ، ولسان العرب ٦٨٢/١١ ٠

[٢٠] الايضاح ١ /٧٣ ٢١.

[٢١] المصدر نفسه .

[٢٢] العين ٨١/١ ٠

شريت اذا بعت وشريت اذا اشتريت)) [٢٣] ، والى هذين المعنيين المتضادين ذهب اغلب اهل اللغة[٢٤] .

– النقيض

قال الشارح : ((يقال هذا الأمر في طرفي نقيض اذا كان يجمع الشيء وضده ، أي يدل على حب وبغضة ، أو كثرة مال وقلة))[٢٥] في شرحه لقول الشاعر :

مقيم النصل في طرفي نقيض يكون تباين منه اشتكالا [٢٦]

وقد فسره بقوله : ((ان سيفك يشبه تارة بالماء ، وتارة بالنار ، وهما نقيضان ، وتباينهما تشابه في الحقيقة))[٢٧] فالتضاد عنده اذا كان النقيض مضافا اليه للفظ (طرفي) ، اذ ان الاصل في (نقض) انما يكون في ((إفساد ما ابرمت من عقد أو بناء والنقض اسم البناء المنقوض اذا هدم))[٢٨] ، واننا على كثرة ما اطلعنا عليه من هذا القبيل الذي ذكره التبريزي استشعرنا أنه من الاضداد وهذا محض اجتهاد ليس غير .

---

[٢٣] المصدر نفسه .

[٢٤] ينظر : اصلاح المنطق ٦٢/١-٨١ ، وغريب الحديث لابن قتيبة ٦٠/١ ، وترتيب اصلاح المنطق ٣٥/١ ، وصحاح اللغة ٣٥٥/١ ، ولسان العرب ٤٢٧/١٤ ، والمصباح النير/٧٧٠ .

[٢٥] الايضاح ٩٢/١٦ .

[٢٦] المصدر نفسه .

[٢٧] المصدر نفسه .

[٢٨] تهذيب اللغة ٨ /٢٦٩ .

- **المفازة**

ذكر التبريزي أن المفاوز جمع مفازة وهي المهلكة قالوا : انما قيل للمهلكة مفازة تفاؤلا لانَّ الفوز ضد الهلاك يقال فاز يفوز فوزا ، ويحتمل أن تكون المفازة سميت مفازة من الفوز وهو الهلاك يقال : فاز الرجل وفوز اذا مات ، واذا وجدنا الفوز بمعنى الهلاك حملنا المفازة على انها في الحقيقة مهلكة ، وبطل قول من قال : إنما سميت مفازة تفاؤلا))[٢٩] .

ويفهم من كلام الشارح أن المفازة لها احتمالان :

الاول : من الاضداد ، وهي من باب تسمية الشيء باسم ضده[٣٠] تفاؤلا بالنجاة ، والى ذلك ذهب جل علماء اللغة[٣١] .

الثاني : حملها على الحقيقة اخذا من قولهم فوّز الرجل اذا هلك ، فلا ضد لها على هذا الاحتمال .

والذي تكشف لنا ان المفازة من الاضداد تطلق على البيداء تفاؤلا

بالسلامة ، وقيل ان من قطعها فاز ونجا[٣٢] ، كما اطلقوا على الاسود (ابا البيضاء) تفاؤلا له ، وكذلك اللديغ سموه سليما تفاؤلا له بالسلامة[٣٣] ،

---

[٢٩] الايضاح ١ /٢٠٠ .

[٣٠] ينظر : الكليات ٢٤٣/١ .

[٣١] ينظر : غريب الحديث للخطابي ١ /٦٢٤ ، والزاهر ١ /٤٤٥ ، وعمدة القارىء ١٤ /٢١٧ .

[٣٢] ينظر: عمدة القارىء٢١٧/١٤ .

[٣٣] ينظر: الزاهر ٤٤٤/١ .

وقيل ((لانه اسلم الى ذلك الامر ، والاصل فيه مُسْلِم فصرف عن مُفْعل الى فعيل كما قالوا محكم وحكيم))[٣٤] .

والبيداء التي سميت (مفازة) اصل معناها الهلاك ماخوذة من قولهم باد يبيد بيدا أي هلك ومنه قوله تعالى ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً ﴾ الكهف : {٣٥}[٣٥] ، بمعنى ان تهلك . فاذا كان اصل الهلاك . فان الضد يكون الفوز (المفازة) .

- **متماثل**

من الالفاظ التي صرح التبريزي بها وقال انها من الاضداد قوله (متماثل) إذ قال : ((وقوله متماثل من الاضداد مثل (مثل) يقال : مَثَل مثولا اذا انتصب قائما ، ومَثَّل : اذا زال عن موضعه ، والمتماثل الذي اشفى على الموت والمتماثل الذي افاق من مرضه))[٣٦] ، ونصه هذا جاء شرحا لقوله :

ياغرة الحي الكثير شياته ما تامرين بمدنف متماثل[٣٧]

يظهر من خلال شرحه أن قوله (متماثل) له ضدان :

الأول : انتصب وضده زال

الثاني : اشفى على الموت وضده أفاق .

---

(٣٤) المصدر نفسه .

(٣٥) ينظر: طلبة الطلبة١/١٠٩ .

(٣٦) الايضاح١/٤١٥ .

(٣٧) ينظر: المصدر نفسه .

ولم نجد اشارة من معجمات اللغة وكتبها الى الاضداد في هذا اللفظ الا ما ذكره صاحب الفائق بقوله : ((المثول الانتصاب ومنه فلان متحامل ومتماسك بمعنى ومنه تماثل المريض ، وقالوا الماثل من الاضداد ويكون المنتصب واللاطيء بالارض ، ومنه قول الاعرابي ماثلت القوم في المجالس وانا غير مشته لمقاعدتهم))[٣٨] .

- بَسْل

قال الشارح التبريزي : (بسل) اي (حرام) وهو من الاضداد يستعمل في معنى الحرام والحلال ، ذكر هذا في معرض شرحه لقول الشاعر :

زعمت غوادي الطير أن لقاءها   بَسْل تنكر بعدنا معروفة[٣٩]

وعُد عامة اهل اللغة انه من الاضداد ، قال الخليل : ((بسل الحرام الذي لاتتاول حرمته ... والبسل الحلال))[٤٠] ويطلق على الواحد ، والجمع ، والمذكر والمؤنث ، فالبسل يكون للحلال والحرام فهو ضد[٤١] .

٢- **المشترك اللفظي**

المشترك لغة : اسم مفعول من الفعل (اشترك يشترك والمصدر منه اشتراك ، والمشترك بكسر الراء اسم فاعل[٤٢] .

---

(٣٨) الفائق في غريب الحديث ٣ /٣٤٥ .

(٣٩) الايضاح ٦١٠/١ .

(٤٠) العين ٢٦٤/٧ ، وينظر : النهاية في غريب الحديث والاثر ٣٣٠/١

(٤١) ينظر : صحاح اللغة ٤٣/١ ، والمزهر ٢٧١/١ ، وتاج العروس ٦٨٧٦/١ .

(٤٢) ينظر : لسان العرب

أما في الاصطلاح فقد تعاورت اقوال العلماء الاوائل في اعطاء حد خليق بالمشترك اللفظي ، وكل ماذكره علماؤنا ينبع من عين واحدة ، واقوالهم متحدة المعنى فكلهم أتٍ بتعريف يتفق مع الآخر من حيث المفهوم ، أما من حيث الدلالة فقد يتسع احدهم ويقتضب آخر ، ويسوق بعضهم أمثلة ليعطي دلالة اصطلاحية تفي بالغرض الذي يؤديه المشترك اللفظي ، وقد اشار الى هذه الظاهرة أول من أشار سيبويه إذ قال : ((واعلم أن من كلامهم اختلاف في اللفظين لاختلاف المعنيين ، واختلاف اللفظين والمعنى واحد ٠٠٠٠ واتفاق اللفظين والمعنى مختلف))[٤٣] ، وحده ابن فارس بأن يكون ((للفظة الواحدة معنيان أو أكثر))[٤٤] ، وللأصوليين مذهب في حد المشترك إذ انه ((اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فاكثر دلالة على السواء عند اهل تلك اللغة))[٤٥] ، وهناك من عد هذه الظاهرة الدلالية من مظاهر إعجاز القرآن الكريم إذ قال : ((كانت الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجها اكثر ، أو اقل ولا يوجد ذلك في كلام البشر))[٤٦] ، إيماء منه بان هذه الظاهرة المجازية مثبّة يفوق طابعها القرآني المقدس طابع اللغة العظيمة المستعملة في كلام العرب الأوائل ممن عاشوا في عصر الفصاحة بحسب ما وجد العلماء تلك العصور بزمن معين أو بمدة معينة ٠

---

[٤٣] الكتاب ١/٢٤ ٠

[٤٤] الصاحبي في فقه اللغة /٤٥٦ ، وينظر: المشترك اللفظي في اللغة العربية /٨٨ ٠

[٤٥] المزهر ١/٢٩٢ ، وينظر : التعريفات /٢١٠ ، والمستصفى ١ /٣١ ٠

[٤٦] الاتقان في علوم القرآن ٢/٨١ ٠

ويبدو ان شيخنا التبريزي في شرح الايضاح من المثبتين لهذه الظاهرة ، وذلك من خلال ما جاء في شرحه اذ طالعتنا مجموعة غير قليلة من مظاهر المشترك اللفظي من دون ان ينص عليها وسنقف عند اهم تلك المظاهر :

– **السّب**

يطلق على الخمار ، وقيل على العمامة[٤٧] ، ومنه قول الشاعر :

فهم اهلات حول قيس بن عاصم　　بحجون سِبَّ الزبرقان المزعفرا

ومنه ايضا السّبُّ الذي مسابك[٤٨] ومنه قوله :

لاتسبنني فلست بسِبِّي　　ان سِبِّي من الرجالِ الكريمُ[٤٩]

والسب الحبل في لغة هذيل[٥٠] قال الشاعر :

تدلى عليها بين سبٍ وخيطة　　بجرداء مثل الواكف ، يكبو غرابها[٥١]

وللسب دلالات متعددة ومتنوعة اذ ياتي بمعنى الحبل اوالوتد[٥٢] ، وعلى هذا المعنى جاء قوله تعالى ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ

---

(٤٧) الايضاح ٤٨/١ ·

(٤٨) المصدر نفسه ·

(٤٩) المصدر نفسه ·

(٥٠) المصدر نفسه ·

(٥١) المصدر نفسه ·

(٥٢) المصدر نفسه ·

مَا يَغِيظُ ﴾ الحج : {١٥} ، إذ فسر (السب) بالحبل والسماء السقف – أي فليمدد حبلا في سقفه[٥٣] .

وياتي السب بمعنى القطع اذ انه الاصل فيه ، ثم صار السب شتما لان السب خرقا للاعراض[٥٤] ، قال ابن فارس ((واكثر الباب موضوع عليه))[٥٥] .

وياتي بمعنى الشتم ((يقال سبه سببه سبا وسبابا قيل هذا محمول على من سب ، او قاتل مسلما من غير تاويل ، وقيل انما قال ذلك على وجه التغليظ))[٥٦] .

والدلالة التي اثبتها اهل اللغة هي ان السب بمعنى العمامة جاء في الخزانة : ((السب بكسر السين المهملة العمامة ، وقيل الشقة البيضاء[٥٧] ، ويعنى بها العمامة ايضا ، وقد كانت سادة العرب تصبغ العمائم بالزعفران))[٥٨] .

وهناك دلالة آخرى للسب فانه ياتي بمعنى الثوب الرقيق[٥٩] ، وقيل انه

---

[٥٣] ينظر : المحكم والمحيط الاعظم ٤٢٤/٨ .

[٥٤] ينظر : المصدر نفسه .

[٥٥] جمهرة اللغة٦٩/١ ، وينظر : المقاييس٦٣/٣ ، والمحكم والمحيط الاعظم٤٢٤/٨ .

[٥٦] المقاييس٦٣/٣ .

[٥٧] النهاية في غريب الحديث٣٣٠/٢ ، وينظر: غريب الحديث للخطابي٤٢٩/٢ .

[٥٨] الخزانة ٨ /١٠٠ .

[٥٩] ينظر : مشارق الانوار ٢٠٢/٢٠ .

ياتي بمعنى العقر : ((يقال سببت الناقة إذا عقرتها))[٦٠] ٠

ونلخص مما ذكرناه سابقا ان لفظ (السِّب) من المشترك اللفظي اذ جاء بدلالت متعددة ومتنوعة ، ذكر اغلبها الشارح التبريزي وهذا يكشف عن مدى اهتمام التبريزي بالدلالة اللغوية والمعجمية عند شرحه للالفاظ ٠

– الخَوَد

للخَوَد دلالتان عند التبريزي هما : المرأة الحسناء والحيية[٦١] الناعمة[٦٢] ، ذكر ذلك عند شرحه لقوله :

وكل ذؤابة في رأس خَود   تمنى ان تكون له شِكالا

ولم نجد في مصادر اللغة احدا يذكر غير هاتين الدلالتين فكل الذي ذكر يرجع في المعنى اليها فقد قالوا : الخَوَد بمعنى المرأة الشابة التي لم تصل الى النصف من عمرها ويجمع على خودات[٦٣]، وبمعنى المرأة الحسنة الخلق الشابة او الناعمة والجمع خودات ولا فعل له[٦٤] ٠

وقيل هو المرأة الناعمة الجسد ، وليس له فعل يتصرف ، وقد انفرد بهذا القول ابن دريد في الجمهرة[٦٥] ٠

---

[٦٠] المقاييس٣/٦٣.

[٦١] الايضاح ١ /٨٩ ٠

[٦٢] ينظر: العين٤/٢٩٤ ، وتهذيب اللغة٧/٢١١ ، والقاموس المحيط ١ /٣٥٨ ، ولسان العرب ٣ /٢٦٥ ، وكفاية المتحفظ ١ /٤٧ ٠

[٦٣] ينظر: المصادر انفسها ٠

[٦٤] ينظر: جمهرة اللغة١/٥٨ ٠

[٦٥] الايضاح١/١١٣ ، وينظر: التاج٣٣/٣٩٤ ٠

- اللأم

قال التبريزي : ((واللأم جمع لأمة وهي الدروع ويحتمل ... الشخص))[٦٦] ، في معرض حديثه عن قوله :

والقائديها مع الاضياف تتبعها   الافها ، والوف اللام والبِدَرِ

واللفظ ياتي لدلالات عديدة :

١. الشديد من كل شيء[٦٧] .

٢. مناع الرجل من الاشلة والولايا[٦٨] .

٣. الشيء الملتئم والسهم ريشه لؤام[٦٩] .

٤- المثل والصلح[٧٠] .

ومن هنا نجد ان التبريزي اقتص على دلالتين من دلالاتِ (اللأم) وربما يعود ذلك الى انه اقتصر على ما تدل عليه اللفظة في داخل السياق ، وما يحتمله معنى البيت من دلالات .

---

(٦٦) ينظر : لسان العرب١٢/٢٣٢ .

(٦٧) المصدر نفسه .

(٦٨) ينظر : التاج٣٣/٣٩٤ .

(٦٩) ينظر : اكمال الاعلام بتسلية الكلام٢/٥٥٧ .

(٧٠) الايضاح١/١٢١ ، وينظر : تهذيب اللغة٣٠/١١٦ ، وابن موسى١/١٠٠٤ ، والمحكم والمحيط الاعظم٢/٢٤٣ .

– اليراع

قال : ((اليراع القصب ، والمراد به ٠٠٠ القلم))[٧١] أي المراد في قول الشاعر الآتي :

دع اليراع لقوم يفخرون به   وبالطوال الردينيات فافتخر

((أي دع القلم لمن يفتخر به وافخر بالرماح))[٧٢]

فاليراع من المشترك وله دلالات اخرى غير ما ذكر التبريزي من انها بمعنى القصب والقلم ، فهي تأتي بمعنى الضعاف من الغنم وغيرها[٧٣] ، وبمعنى الذئاب[٧٤] ، والاحمق والجبان[٧٥] ، والفراشة التي اذا طارت في الليل تكون كالشررة الطائر من نار[٧٦] والذباب الذي يطير في الليل ، وقيل تاتي بمعنى الزمارة ، او هي القلم وقيل بريه[٧٧].

والاصل في اليراع لفظ موضوع لمعنى القصب ثم سمي به الجبان والضعيف[٧٨] ، ((لخلوه من الشدة واليأس))[٧٩] ، وكل ما ذكر من دلالات فان اللفظ يحتملها ٠

---

(٧١) الايضاح١/١٢١ ٠

(٧٢) ينظر: غريب الحديث لابن الجوزي٢/٥٣ ٠

(٧٣) ينظر: القاموس المحيط١/١٠٠٤ ٠

(٧٤) ينظر: المصدر نفسه ٠

(٧٥) ينظر: لسان العرب١/٩٧ ، والمصباح المنير٢/٦٨٠ ٠

(٧٦) ينظر: اللطائف في اللغة ١ /١٠٩ ٠

(٧٧) ينظر: النهاية في غريب الحديث ٥/٢٩٤ ٠

(٧٨) ينظر: المصباح ٢ /٦٨٠ ٠

(٧٩) الايضاح ١ /٣٣ ، وينظر: العين ٤ /٢٣١ ، والتبيان في تفسير القرآن ١ /٧٠ ٠

والذي نراه ان الجامع بين القصب والقلم هو ان الاصل في القلم القصب فانه مصنوع منه قديما ، فإذا ما فسرنا اليراع بمعنى القصب فاننا اصبنا الدلالة الاصلية له ، وان نحن فسرناه بالقلم فلا شك في اننا خصصنا استعمال الاصل بالقلم الذي يكتب به ٠

- الخلد

قال : ((والخُلْد : الجنة ههنا ، وقد تكون بمعنى الآخرة يقال دار الخلد : أي دار الآخرة))[80] ، فالمشترك عنده في لفظة الخلد انه يأتي بمعنى الجنة والآخرة ، وله دلالات عديدة فضلا عما ذكره التبريزي في معرض حديثه او شرحه لقول الشاعر :

ولو اني حييت الخلد فردا   لما احببت بالخلد انفرادا

ومن هذه الدلالات :

١- البقاء والدوام وذلك في دار لا يخرج منه كالخلود[81] ٠

٢- ضرب من الغبرة والفأرة العمياء[82] ٠

٣- وقيل دابة عمياء ، وهي ضرب من الجرذان تحت الارض ليس لها عيون ٠

٤- السوار والقرط[83] ٠

---

(80) ينظر : العين ٤/٢٣١ ، والكليات ١/٤٣٤ ، والقاموس المحيط ١/٣٥٧

(81) ينظر : تاج العروس٨/٦٢ ، وكفاية المتحفظ١/١٤٩ ٠

(82) ينظر : تهذيب اللغة٧/١٢٥ ، وتاج العروس٨/٦٢ ٠

(83) ينظر : مقاييس اللغة٢/٢٠٨ ٠

٥- قصر للمنصور يقع على شاطىء دجلة ، وكان موضع المارستان العضدي اليوم ، وبنيت حوله منازل[٨٤].

وكل ما ذكر من دلالات فان (الخلد) يحتملها فهو ذو دلالات متعددة وممكنة فيه ، غير أن التبريزي اقتصر على المعنيين المشهورين من معاني الخلد وهما الجنة والآخرة ، وجعل معنى البقاء والدوام صفة ملازمة لهما اذ ان من صفة الجنة والاخرة البقاء والخلود غير المنقطع وهذا امر معلوم بالبديهة .

- الغرب

قال التبريزي ((والغرب الحد والغرب الدلو والبيت يحتمل الوجهين))[٨٥] ، واللفظة هذه وردت في قوله :

مستق الكف من كليب زجاج يعرب اليراع ماء صداد

وقيل في معناها ان الغرب الدلو الكبير ، او العظيم ، فاذا زادت قليلا فهي السجيلة[٨٦] ، قال الشاعر :

خذها واعط عمك السجيلة ان لم يكن عمك ذا هيلة[٨٧] .

وهذا (الغرب) اعني الدلو تتخذ من جلد الثور[٨٨] ، فاذا فتحت الراء كانت تعني الماء السائل بين البئر والحوض[٨٩]

---

(٨٤) ينظر: تاج العروس٨/٦٢ ، ومعجم البلدان٢/٣٨٢ .

(٨٥) الايضاح١/٥٤٩ .

(٨٦) غريب الحديث للخطابي٢/٥٢٠ .

(٨٧) ينظر: المصدر نفسه .

(٨٨) ينظر: النهاية في غريب الاثر٣/٣٤٩ .

(٨٩) ينظر: المصدر نفسه .

ويرى آخرون ان (الغرب) ياتي بمعنى (البعد) ، ومنه قيل دار فلان غربه[٩٠] ، جاء في غريب الحديث لابن الجوزي ان سيدنا عمر (رضي الله عنه) قال لرجل ((هل من مغربة خبر ... واصله من الغرب وهو البعد يقال دار غربه ، ومنه قوله تغريب عام))[٩١] ، أي بمعنى الذهاب والتنحي من الناس[٩٢] .

وقد ياتي بمعنى القهقهة ايضا[٩٣] ، وقد ذكر صاحب القاموس للغرب اكثر من عشر دلالات قال : ((الغرب المغرب والذهاب والتنحي وأول الشيء وحده كغرابه والحدة والنشاط والتمادي والراوية والدلو العظيمة ، وعرق في العين يسقي ولاينقطع ، والدمع ومسيله او انهلاله من العين ، والفيضة من الخمر ومن الدمع ، وبثرة في العين وورم في المآقي ، وكثرة الريق وبلله ، ومنقطعة ، وشجرة حجازية ضخمة شاكة))[٩٤] .

ومن الملاحظ ان التبريزي لم يذكر من دلالات الغرب الا دلالتين ظاهرتين هما الحد والدلو وقيد ذلك كون البيت يحتمل الوجهين فاقتصر على الدلالتين التين يحتملهما البيت من دون الدلالات الاخرى ، ولهذا نجده يقتصر على ما يدل ، او ما تحتمله الالفاظ في البيت الشعري احيانا ، ويتسع فيذكر دلالات اخرى في احيان اخر .

---

(٩٠) ينظر : غريب الحديث لابن سلام٣/٢٧٩ .

(٩١) غريب الحديث لابن الجوزي٢/١٤٩ .

(٩٢) ينظر : المحكم والمحيط الاعظم٥/٥٠٦ .

(٩٣) ينظر : النهاية في غريب الاثر٣/٣٤٩ .

(٩٤) القاموس المحيط١/١٥٣ .

- **التفنيد**

قال ((التفنيد : التحميق ، يقال فنّد : اذا حمقه ، ومنه قوله تعالى : ((لولا ان تفندون)) ، والتفنيد ان يقال للأنسان رأيك فَنَدٌ ، أي قد ضعف واعتل ويقال للشيخ : قد أُفنِدَ : أي اختلط رايه ، وكل كلام لاينبغي ان يقال فهو فَنَد))[٩٥] ، وذلك من خلال شرحه لقوله :

وقد انست الى حلمي واوحشني   كثر العواذل تانيا وتفندا

وعلى المعنى الاخير في نص الشارح جاء قول النابغة :

الا سليمان اذ قال الاله له   قم في البرية فاحددها عن الفند[٩٦] .

وللتفنيد دلالات متعددة :

١- ضعف الراي عن كبر او غيره ، ويقال ذلك في الرجال من دون النساء ، إذ لايقال للانثى عجوز مفندة ((لانها لم تكن ذات راي في شبابها))[٩٧] ، وانما يقال شيخ مفند أي ضعيف الرآي .

٢- اللوم : ((لانه كلام يثقل على سامعه ويشتد))[٩٨]

٣- الكذب : ((وممكن ان يكون سمي كذلك لان صاحبه يفند أي يلام))[٩٩] .

---

[٩٥] الايضاح١/٦٠٣،٦٠٤ .

[٩٦] ديوانه/٢٠ .

[٩٧] لسان العرب٣/ ٣٣٨ ، وينظر: المقاييس٤/٤٥٣ ، والتعاريف١/١٩٤ .

[٩٨] المقاييس٤/٤٥٣ ، وينظر: لسان العرب٣/٣٣٨ .

[٩٩] المصدران انفسهما .

٤- شديد الاثم والوزر[١٠٠] .

٥- ويجوز على رآي الزمخشري ان يراد بالتفنيد ((التضمير من الفند وهو الغصن من اغصان الشجرة ، أي اضمرت حتى يصير في ضمرة كالعصى))[١٠١] ، وقيل هو الغصن المائل[١٠٢] .

٦- مشراخ الجبل ، وقيل ياتي بمعنى الجبل العظيم[١٠٣] .

وقد وردت دلالة التفنيد في القرآن الكريم بمعنى ضعف الراي والتعجيز قال تعالى ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾ يوسف: {٩٤} ، حكاية عن يعقوب عليه السلام ، وقد فسرها الفراء بقوله ((لولا ان تكذبوني وتعجزوني وتضعفوني))[١٠٤] .

ولفظ التفنيد وان تعددت دلالاتها اللغوية فان معنى عاما تلك الدلالات وهو الضعف والهوان والخفة الا ما ند من ذلك .

وتفسير التبريزي التفنيد بمعنى التحميق تفسير بليغ غاية البلاغة ، اذ انه جمع الكلم في كلمة واحدة فالحمق : عجز وضعف في الراي ، وميل عن الصواب ، وهذا يكشف بحق قدرة التبريزي على الايجاز البليغ والتماس الدلالة البليغة .

---

[١٠٠] المقاييس٤/٤٥٣ .

[١٠١] لسان العرب٣/٣٣٨ .

[١٠٢] ينظر: الفائق٣/١٤٣ .

[١٠٣] ينظر: المصدر نفسه .

[١٠٤] ينظر: لسان العرب٣/٣٣٨ .

- الأخِلّة

قال : ((الأخِلّة جفون السيف ، والأخلة جمع خليل وهو الصديق))[١٠٥] ، في شرحه لقول الشاعر :

لشرقت القوافي والمعاني بلفظك والاخلة والخليلا

والاخلة من المشترك اللفظي اذ هي ذات دلالات متعددة فضلا عما ذكر الشارح التبريزي ، فقد تطلق على السيور[١٠٦] ، وما يبقى بين الاسنان وعلى الطريقة من الرمل او السحاب[١٠٧] ، وقد تدل على السير ((الذي يكون في ظهر سبة القوس))[١٠٨] وتطلق على ((الخشاب الصغار التي يخل بها ما بين شقاق البيت))[١٠٩] ، وكذلك على العود الذي يجعل في لسان الفصيل كي لا يرضع[١١٠] .

نستنتج مما سبق ان الاخلة لفظ تشترك فيه دلالات متعددة هي جفون السيوف والصديق ، والسيور ، وما يبقى بين الاسنان ، والطريقة من الرمل او السحاب ، والسير في ظهر سِيّة القوس وعلى الخشاب الصغار ، وهي كذلك العود الذي يجعل في فم الفصيل ليمنعه من الرضاع .

---

(١٠٥) الايضاح ٢٦ /٧٥٣ ، وينظر : صحاح اللغة ١ /١٨٥ ، وتاج العروس ٧٠٣٦/١ .

(١٠٦) ينظر: الصحاح في اللغة١/١٨٥ .

(١٠٧) ينظر: المصدر نفسه .

(١٠٨) ينظر: المحكم والمحيط الاعظم٢/٢٦٩ .

(١٠٩) المصدر نفسه .

(١١٠) لسان العرب٤/٤٠٦ .

ولعل الشارح رحمه الله تعالى أتى بالدلالتين المذكورتين ، او اللتين اشار اليهما لتتناسب الاولى مع سياق البيت ، وأردف الثانية لما يحتمله اللفظ من دلالة قريبة من المعنى العام للبيت .

- **الأيّم**

قال الشارح : ((الأيم الحية ، والأيم التي لا زوج لها))[111] ، في معرض حديثه عن قول الشاعر :

كبردة الايم العروس ابتغى   بها هلال الحية الأيم

فالأيم مشترك لفظي كما ذكر التبريزي من انه يطلق على الحية وعلى االمرأة التي لازوج لها ، وقيل انه ضرب من الحيات العاضة[112] ، وان كل حية ايم ذكرا كانت او انثى سواء ، وقيل الأيم الأنثى والذكر ثعبان[113] ، وذكر بعضهم انها تطلق على اللون الابيض اللطيف[114]، وقد تطلق ايضا على الجان من الحيات ، جاء في المخصص : ((اهل الحجاز يسمون الجان من الحيات الأيم ، وبنو تميم يقولون الآين ، وهذيل يقولون الأيم مشددة))[115] ، ويراد بالأيم الرجل الذي لا امراة له[116] ، ويطلق على

---

(111) ينظر: المصدر نفسه .

(112) الايضاح

(113) ينظر: فقه اللغة وسر العربية/٣٧ ، وهو قول ابي عبيد ،وجمهرة اللغة١/٩٦ ، والفائق١/٨٠ .

(114) ينظر: المخصص٢/١٨٤ .

(115) ينظر: العين٨/٤٢٥ .

(116) المخصص٢/١٨٤ .

((المرأة التي تبقى في بيتها لا تخطب))[117] ، وذكر صاحب اللسان ان الأيم تطلق ايضا على الارض التي لانبات لها[118] .

ونلخص مما سبق الى القول بان الايم من الألفاظ المشتركة فانه يطلق على المراة التي لا زوج لها ، والرجل الذي لا امراة له ، والجنة والارض التي لا نبات لها .

- **الشأو**

قال الشارح : ((الشأو الطلق ، والشأو الهمة والبيت يحتملها جميعا ، ولين الهمزة من القافية))[119] ، وذلك في شرحه لقول الشاعر :

وذاك لباس ليس يجتابه الفتى فتختلف الاهواء في بعد شاوه

والشأو ياتي لدلالات متعددة فانه يطلق على الغاية والسبق[120] ، يقال شأوته أي سبقته[121] ، والشأو أيضا نزع التراب من البئر لتنقيتها[122] ، قال الاصمعي : ((أصل الشأو الزبيل من التراب يخرج من البئر))[123] ، وهو

---

(117) المصدر نفسه ، وينظر : القاموس المحيط٣/١٩٠ ، وترتيب اصلاح المنطق ١/٧٠ ، والمصباح المنير ١/١٨٩ .

(118) القاموس المحيط٣/١٩٠ .

(119) ينظر : لسان العرب٥/٣١٦ .

(120) الايضاح٢٢/٩٩٦ ، وينظر : التاج٣٨/٣٤٧

(121) ينظر : المقاييس٣/٢٣٨ ، وخزانة الادب٧/٥٠٨ .

(122) ينظر : المقاييس٣/٢٣٨ .

(123) ينظر : المحكم والمحيط الاعظم ٨ /١٣٦ ، والتاج ٣٨/٣٤٧ .

الغابة والاسد ، وزمام الناقة وبعرها . يقال شأو الناقة بعرها[١٢٤] ، وقيل الشاو البعيد[١٢٥] والشوط والمدى[١٢٦].

- **النقع**

قال الشارح : ((النقع الماء الذي ينقع ، أي يروي ، والنقع الغبار ، والنقع الصوت واختلاطه ، قال الشاعر :

فمتى ينقع صراح صادق   يجلبوها ذات فرس وزجل))[١٢٧] .

ويطلق النقع على الصباح والجبلة ، والتراب[١٢٨] وقد اتفق اصحاب المعجمات وأهل التفسير والغريب في بيان دلالات هذا اللفظ ، وقد جمع القرطبي اغلب دلالات لفظ (النقع) فذكر انه مكان مابين مزدلفة الى منى ، ونقل عن الصحاح انه الغبار ، وانه الماء ، او ما اجتمع في البئر من الماء ، والنقع ايضا الارض الحرة يستنقع فيها الماء والجمع نقاع ((وقد يكون رفع الصوت ومنه حديث عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه) حين قيل له : ان النساء قد اجتمعن يبكين على خالد بن الوليد ، فقال وما على نساء بني المغيرة ان يسفكن من دموعهن ، وهن جلوس على ابي سليمان ما لم يكن فقع ولا لقلقة ، قال ابو عبيدة يعني بالنقع رفع الصوت))[١٢٩] .

---

(١٢٤) ينظر : القاموس المحيط١/١٦٧٤ .

(١٢٥) ينظر : الفائق٢/٥١ ، ولسان العرب١٤/٤١٩

(١٢٦) ينظر : النهاية في غريب الاثر ٢/٤٣٧ .

(١٢٧) الايضاح٢/٩٦٩ .

(١٢٨) ينظر : جامع البيان٣٠/٢٧٦ ، والجامع لأحكام القرآن٢٠/١٥٩ ، وتفسير ابي السعود٩/١٩٠ ، وتفسير السمعاني٦/٢٧٠ ، والبحر المحيط ٨ /٤٩٩ .

(١٢٩) الجامع لأحكام القرآن٢٦/١٥٩ ، وينظر : غريب الحديث للخطابي١/١٠٨ ، وغريب الحديث لابن سلام٣/٢٧٥ ، وغريب الحديث لابن الجوزي ٢/٤٣٢ .

ويقول القرطبي تعقيبا على هذا القول : ((قال ابو عبيدة يعني بالنقع رفع الصوت على هذا رايت قول الاكثرين من اهل العلم ، ومنه قول لبيد :

فمتى ينقع صراخ صادق   يجلبوها ذات جرس وزجل

يقول : متى سمعوا صراخا اصلبوا الحرب أي جمعوا لها ، وقوله ينقع صراخ أي رفع الصوت))[١٣٠] .

وهناك من يرى ان النقع يطلق على القتل ((يقال نقعه نقعا اي قتله))[١٣١] ، وعلى صوت النعامة قال ابن دريد ((النقع صوت النعامة))[١٣٢] ، وكذلك يطلق على جمع الريق في الفم ، جاء في تاج العروس : ((وقيل النقع من الارض القاع كالنقعاء ، أي في معنى القاع))[١٣٣] .

وذهب الازهري الى ان للنقع دلالتين هما ، الغبار المرتفع والطرح المرتفع[١٣٤] ، وذهب بعضهم الى انه دواء ينقع (يشرب)[١٣٥] ، وكذلك ما سطع من حوافز الخيل قال السيوطي : ((اما سمعت قول حسان :

---

[١٣٠] المصدر نفسه ، وينظر: جمهرة اللغة١/٢٢٠

[١٣١] تاج العروس٢٢/٢٧١ .

[١٣٢] المصدر نفسه .

[١٣٣] تاج العروس٢٢/٢٧١ .

[١٣٤] ينظر: تهذيب اللغة١/١٧٥ .

[١٣٥] ينظر: المحكم والمحيط الاعظم١/٢٣١ .

عدينا خيلنا ان لم تروها تثير النقع موعدها دواء))[١٣٦]

ويبدو ان اغلب الدلالات المشتركة للفظ النقع تقع في سياق المشترك اللفظي الذي ذكره التبريزي ٠

- الآس

قال التبريزي : ((الآس : الرماد ، والآس ايضا : بقية العسل في موضع النحل))[١٣٧] ٠

ولـلاس في كتب اللغة دلالات متعددة فضلا عما ذكره التبريزي في الايضاح فانه يطلق على الشجر واحده (آسة) ، وهي شجرة معروفة[١٣٨] ، قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى (الآس) بأرض العرب كثير ينبت في السهل والجبل ، وخضرته دائمة ابدا ، وينمو حتى يكون شجرا عضيما ، وفي دوام خضرته يقول رؤبة : يخضر ماالخضر الألاء والآس))[١٣٩] ٠

وعده ابن دريد من الدخيل قال : ((الآس المشموم فاحسبه دخيلا على ان العرب قد تكلمت به ، وجاء في الشعر الفصيح))[١٤٠] ، وقيل انها شجرة

---

(١٣٦) ينظر : الأتقان في علوم القرآن١/٣٦٣ ٠

(١٣٧) الايضاح٢/٩٣٤ ، وينظر : العين٧/٣٣١ ، والقاموس المحيط١/٦٨٤ ٠

(١٣٨) ينظر : تاج العروس١/٣٨٤٧ ٠

(١٣٩) المصدر نفسه ٠

(١٤٠) جمهرة اللغة١/٥٧ ، وينظر : التاج١/٣٨٤٧ ٠

ذات عصر[١٤١] . وذكروا ان الآس يطلق على الغير والصاحب[١٤٢] ، وانكر الازهري مجيء الآس بمعنى العسل والغير والصاحب ، إذ قال : ((لا اعرف الآس بالمعاني الثلاثة في جهة تصلح او رواية عن الثقة))[١٤٣] .

وما احتج به الليث من شعر عده مصنوعا قال :

باتت سليمى فالفؤاد آس   اشكو كلوما مالهن آس

من اجل حوراء كطعم الآس   ريقتها كمثل طعم الآس

وما استانست بعدها من آس   ويلي فاني لاحق بالآس[١٤٤] .

وقيل انه يطلق على آثار الدار ، إذ يقال لها (آس) ((وما يعرف من علاماتها وكل اثر خفي))[١٤٥] .

ومما سبق يظهر لنا ان الآس من المشترك الذي يتعدى الى دلالات متنوعة فتارة يطلق على الرماد والشجر والعسل ، واخرى يطلق على الصاحب والغير ، وقيد الشارح الاشتراك فيه بالماء والعسل فحسب ، وان ما انكره الازهري في كونه لايعلم (الآس) بالمعاني الثلاثة السالفة فانه راي او قول لاينهض بدليل ولا يقوى على رد ما ذكر اصحاب المعجمات والمعاني ،

---

[١٤١] ينظر: المغرب في ترتيب المعرب١/٤٨ ، والمصباح المنير ١/٢١ .

[١٤٢] ينظر: القاموس المحيط١/٦٨٤ ، وتاج العروس ١/٣٨٤٧

[١٤٣] تهذيب اللغة١٣/٩٤-٩٥ ، وينظر: تاج العروس ١/٣٨٤٧ .

[١٤٤] ينظر: القاموس المحيط١/٦٨٤ .

[١٤٥] ينظر: المصدر نفسه .

اذ ان جل العلماء قالوا بهذه الدلالات المشتركة (للآس) ، ولم ينكر احدهم ما انكره الازهري ، فانه لو لم يكن واردا وشائعا في لسان العرب لما اثبته اولئك العلماء .

- النضي :

قال ((النضي عود السهم قبل ان يراش وينصل ، والنضي اعظم العنق يقال قوم طوال الانطية ، أي طوال الاعناق ، وربما قالوا لجردان الفرس : نطيٌ))[146] ، وشارحا قول الشاعر :

وقد ترجع السم الاصم نضيّة فينكص عنها بعدما همّ حابيا

وقد ورد النظي في كتب اللغة ومعجماتها بالدلالات التي ذكرها التبريزي[147] ، غير انهم اختلفوا : أيطلق على السهم أم على نصله فبعضهم اطلقه على السهم فحسب ، وآخر اطلقه على النصل ، وقيل هو السهم بلا نصل ولا ريش[148] ، قال ابو حنيفة ((هي نضيٌ ما لم يُنصّل، ويُريَّش ويُعقَّب))[149] .

وقيل : ((النضيُّ من الرمح ما فوق المقبض من صدره))[150] .

---

[146] الايضاح٢/١٠٠٠ .

[147] ينظر: تهذيب اللغة١٢/٥١،٥٢ ، وتاج العروس٤٠/٩٩ .

[148] ينظر: تاج العروس٤٠/٩٩ .

[149] المصدر نفسه .

[150] المصدر نفسه .

وقال آخرون إن النظيّ من يطلق على ذكر الرجل ((وقد يكون للحصان من الخيل وعم به بعضهم جميع الخيل ، وقد يقال ايضا للبعير ، وقال السيرافي هو ذكر الثعلب خاصة))[١٥١] .

– الاشاحة

قال : ((الاشاحة تستعمل بمعنى الجدّ وبمعنى الحذر ، وهنا يحتمل الوجهين))[١٥٢] ، وذكر ذلك في معرض شرحه لقوله :

اشخص وقد أقمن على وفاز ثلاث حنادس يَرْغَبن شيحا

وهذا ما ذكره جل علماء اللغة قال الازهري : ((انما هي كلمة جاءت بمعنيين ، وقال ابن الاعرابي اعرض بوجهه واشاح أي جدّ في الاعراض))[١٥٣] ، وتأتي أيضا بمعنى الحذر[١٥٤] ، قال الشاعر :

في حيث لا تنفع الاشاحة من امر لمن قد يحاول البدعا[١٥٥] .

ويذكر الازهري ان الاشاحة تطلق على الخوف أيضا قال : ((والاشاحة الحذر والخوف ... ولا يكون الحذر بغير جد مشيحا))[١٥٦] .

---

(١٥١) لسان العرب٥/٣٣١ .

(١٥٢) الايضاح١/١٧٩ .

(١٥٣) تهذيب اللغة٥/٩٦ ، وينظر : المقاييس٣/٢٣٣ ، وغريب الحديث لابن سلام١/١٣٤ .

(١٥٤) ينظر : المصدر نفسه .

(١٥٥) ينظر : المصدر نفسه .

(١٥٦) ينظر : المصدر نفسه .

ويطلق ايضا على الطويل[157] ، وجعل ابن فارس (السين والياء والحاء) اصلين متباينين يدل احدهما على جد وحذر والآخر على الاعراض[158] .

والذي افدناه من مطالعتنا لمصادر اللغة ومراجعها ان الاشاحة مشترك لفظي يطلق اكثر ما يطلق على الجد والحذر ، اما قد تكون بعض مشتقاته ذات دلالة اخرى فهذا أمر قد يبعدنا عمّا ينبغي الوصول اليه .

٣- الترادف

الترادف في اللغة : الردف ما تبع الشيء ، وكل شيء تبع شيئا فهو ردفه ، ((واذا تتابع شيء خلف شيء فهو الترادف والجمع الردافى)) [159].

ويقال : جاء القوم ردافى أي بعضهم يتبع بعضا[160] ، اما في الاصطلاح اللغوي فهو ((عبارة عن الاتحاد في المفهوم وقيل هو توالي الالفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد)) [161].

ولعل اول اشارة الى الترادف كانت في كتاب سيبويه (١٨٠ هـ) ، اذ يقول : ((اعلم ان من كلامهم ... اختلاف اللفظين والمعنى واحد)) [162].

---

(١٥٧) ينظر: المصدر نفسه .

(١٥٨) المقاييس٣/٢٣٣ .

(١٥٩) العين ٨/ ٢٢ .

(١٦٠) ينظر: لسان العرب ٩/ ١١٤ .

(١٦١) التعريفات ١/ ٧٧ .

(١٦٢) الكتاب ١/ ٧ .

وتابعه بعد ذلك فريق من اللغويين ، وفريق آخر وقف موقف المنكر لهذه الظاهرة ، سواء كان ذلك من القدماء او المحدثين ، وهذا موضوع اشبع بحثا ودراسة[١٦٣]، الامر الذي جعلنا غير عاكفين على الوقوف على الخلاف بين العلماء والدارسين في هذه الظاهرة ، ولان المقام لا يتسع للحديث هنا عن موقف اللغويين من الترادف ، الا فيما يخص عدد من الالفاظ بينها التبريزي وهو يشرح قصيد ابي العلاء المعري ، وعلى النحو الآتي :

(التسيل و النسال)

ذكر التبريزي ان (التسيل والنسال) بمعنى واحد ، وهو ما يسقط من ريش الطائر او وبر البعير ، وهو بذلك يفسر لفظة (نسالا) في بيت ابي العلاء المعري :

ترى اعطافها ترمي حميما

كأجنحة البزاة رمت نسالا[١٦٤]

((والنسالة شعر الدابة اذا سقط عن جسده ... وقد انسلت الابل حان لها ان تنسل وبرها))[١٦٥] .

---

[١٦٣] ينظر : فقه اللغة وخصائصها / ١٧٣ ، وفقه اللغة د. كاصد الزيدي / ١٦٨ ، والترادف في اللغة / ٣٦ ، وعلم الدلالة احمد مختار / ٢١٨ ، وفي اللهجات العربية / ١٧٥ .

[١٦٤] ينظر : الايضاح في شرح سقط السند وضوئه ١/ ٦٨ .

[١٦٥] مقاييس اللغة ٥/ ٤٢١ .

(الذام والذيم والذان والذين والذيب والذاب)

قال التبريزي : ((يقال : ذامه يذيمه اذا عابه ، والذام والذيم : العيب ، وكذلك الذان والذين والذيب والذاب)) [١٦٦].

وواضح من كلام التبريزي ان هذه الكلمات المتقدمة معناها واحد وهو العيب قال ابن السكيت (ت ٢٤٤هـ) : ((سمعت ابا عمرو يقول هو الذام والذاب والذيم والذين واحدة بالنون والاخرى بالميم)) [١٦٧].

وذكر صاحب كتاب (اللطائف في اللغة) ان الذيم والذام من اسماء العيب[١٦٨] ، وتكاد تجمع المصادر على ان هذه الالفاظ معناها واحد ، وهذا يدخل في باب الترادف الذين نص عليه اللغويون[١٦٩].

(الزئير والبغام)

اشار التبريزي الى ان (البغام والزئير) معناهما واحد وهو الصوت ، جاء ذلك في معرض كلامه وتعليقه على بيت ابي العلاء المعري :

فيثني عليه ضيغم بزئيره
ويثني عليه شادن ببغامه[١٧٠]

---

[١٦٦] الايضاح في شرح سقط السند وضوئه ١/ ٢٤٦ .

[١٦٧] اصلاح المنطق ١/ ٩٣ ، وينظر : تهذيب اللغة ١٥/ ١٧ .

[١٦٨] ينظر : جمهرة اللغة ٢/ ٧٠٣ ، و القاموس المحيط ١/ ١٤٣٤ ، ولسان العرب ١٣/ ١٧٥ .

[١٦٩] ينظر: اللطائف في اللغة (معجم اسماء الاشياء) ١/ ٢٢٣ .

[١٧٠] ينظر: الايضاح في شرح سقط السند وضوئه ١/ ٣٠٥- ٣٠٦ .

يقول التبريزي معلقا على البيت : ((الضيغم الاسد وزئيره صوته ...
يقال: زأر الاسد يزئر زأرا وزئيرا والشادن : ولد الظبية وبغامه : صوته)) [١٧١].

وواضح من نصوص اللغويين ممن وقفنا عندهم ، ان الزئير صوت مختص بالاسد والبغام صوت مختص بالابل ، يقال : ((بغمت الظبية تبغم ويغوما وهي بغوم صاحت بولدها بأرخم ما يكون من صوتها)) [١٧٢].

وجاء في الاثر ان المشركين اغاروا على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فذهبوا بالعضباء واسروا امرأة من المسلمين فنوموا ليلة فقامت المرأة فكانت اذا وضعت يديها على سنام بعير او عجزه رفع بغامه حتى انتهت الى ناقة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فكتمت بغامها فاستوت عليها ، والبغام هنا كما هو واضح يقصد به صوت الناقة[١٧٣] .

يقول الشاعر :

وهل تخفض الاسد الزئير بموطن

اذا لج فيه من كلاب عواؤها[١٧٤]

---

[١٧١] المصدر نفسه .

[١٧٢] المحكم والمحيط الاعظم ٥/ ٥٤٧ ، وينظر: المزهر في علوم اللغة ١/ ٤٤ ، وتاج العروس ٣١/ ٢٩٣ .

[١٧٣] ينظر : الفائق ٢/ ١٧٣، وغريب الحديث للخطابي ٤٩٣/١ ، والنهاية في غريب الاثر ١/ ١٤٣ .

[١٧٤] ديوان الابيوردي١/ ٤٤٥ .

ويقول الشريف الرضي :

اوفى الصباح فشق كل دجنة

وعلا الزئيرفغض كل نباح[١٧٥]

(الغبار والقتام)

ذكر التبريزي أن (الغبار والقتام) معناهما واحد ، وهو بذلك يشرح قول ابي العلاء المعري :

فلولاك بعد الله ما عرف الندى

ولا ثار بين الخافقين قتام[١٧٦]

فالقتام من اسماء الغبار التي ذكرها صاحب كتاب (اللطائف في اللغة) في عنوان سماه (معجم اسماء الاشياء) فضلا عن ذكره اسماء اخرى هي (القتر والقترة والغار ...)[١٧٧].

وقد نص عدد من اللغويين على ان القتام هو الغبار الاسود والقتماء تعني الغبراء وهي من القتام ايضا[١٧٨] ((وقتم النهار قتوما واقتم صار فيه القتام وقتم الغبار قتوما والطائر قتمه ضرب لونها الى السواد))[١٧٩].

---

[١٧٥] ديوان الشريف الرضي ١/ ٣٨٢ .

[١٧٦] ينظر : الايضاح في شرح سقط السقد وضوئه ١/ ٣٥٥، ٣٥٦ .

[١٧٧] ينظر : اللطائف في اللغة ١/ ٢٨٦ .

[١٧٨] ينظر : العين ٥/ ١٣٢ ، والكامل في التأريخ ٤/ ٣٤٩ ، وخزانة الادب ٧/ ٢٥٠ ، واساس البلاغة ١/ ٤٩٢ ، والنهاية في غريب الاثر ٤/ ١٥ .

[١٧٩] الافعال ٣/ ١٣٢ ، وينظر: تهذيب اللغة ٩/ ٧٠ .

يقول الشاعر :

وتطلع في ليل القتام كواكبا

وقد وردت نهر النهار مشاربا[١٨٠]

وصفوة القول في ذلك : ان اللفظتين (الغبار والقتام) وبقية الالفاظ التي ذكرها صاحب كتاب اللطائف هي من المترادف ، وهذا يدخل في باب ما اختلف لفظه واتفق معناه بحسب ما نص عليه اصحاب اللغة.

(الآسي والنطاسي)

يقول التبريزي : ((الآسي الطبيب والنطيس : الحاذق ومنه النطاسي : الطبيب)) [١٨١] وقوله هذا جاء في حديثه عن بيت ابي العلاء المعري :

كأن كل سنان صار عندهم

للنفع مبضع آس مشقف نطس

وتكاد تجمع المصادر على ان النطاسي هو العالم والماهر والحاذق في الطب ((ومنه قيل للمتطبب النطاسي والنطيس وذلك لدقة نظره في الطب))[١٨٢]

---

[١٨٠] ديوان ابن زمرك ١/ ٣١٧ .

[١٨١] الايضاح في شرح سقط السند وضوئه ١/ ٤٠٢.٤٠٣ .

[١٨٢] غريب الحديث لابن سلام ٣/ ٢٣٤ ، وينظر: المعجم الوسيط ٢/ ٩٣٠ ، ومعجم الافعال المتعدية بحرف ١/ ٣٨٨ .

وخلاصة القول ان الآسي يعني الطبيب و (النطاسي) بكسر النون وفتحها يعني الطبيب ايضا او الماهر في الطب[١٨٣] .

(الثرى والبرى)

يقول التبريزي مفسرا لفظة (الثرى) في قول ابي العلاء :

وحامل ثقل الثرى جيده

وكان يشكو الضعف عن عقده

((الثرى التراب وكذلك البرى)) [١٨٤] فاللفظتان معناهما واحد ، وقد أورد الخطابي (ت ٣٨٨ هـ) حديثا ينسب الى علي بن الحسين (رضي الله عنهما) انه كان يقول في دعائه اللهم صلّ على محمد عدد الثرى والبرى والورى[١٨٥] .

ومما استعملته العرب في الدعاء على انسان قولهم : بفيه البرى كما يقال : بفيه التراب[١٨٦] .

وقد اورد اهل التفسير كلاما يخص لفظة (البرى) وهم في سياق الحديث عن لفظة (البرية) في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ

---

[١٨٣] ينظر: اضواء البيان ٤/ ١٧٧ .

[١٨٤] الايضاح في شرح سقط الزند وضوئه ١/ ٥٦٦ .

[١٨٥] غريب الحديث ٣/ ٣٤ ، وينظر: الفائق ١/ ١٠٣ ، والنهاية في غريب الحديث ١/ ١٢٣ .

[١٨٦] ينظر: مقاييس اللغة ١/٢٣٥ ، و الامالي في لغة العرب ٢/ ٢٢٥ ، ولسان العرب ١٤/ ٧١ .

أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ البينة : {٦} فذكر الامام الطبري (ت ٣١٠هـ) ان البرية لم تهمز لانها على وزن (فعيلة) من البرى أي التراب[١٨٧] وذكر ابو البقاء العكبري (هـ٦١٦ ت) ايضا ان ((البرية غير مهموزة في اللغة الشائعة واصلها الهمز من برأ الله الخلق أي ابتداه وهي فعيلة أي التراب))[١٨٨] .

وذكر غيره ان ((البرية تهمز ولا تهمز فمن همزها اخذها من برأ الله الخلق ومن لم يهمزها قال هي مأخوذة من برأ الله الخلق مبنية على ترك الهمز ويجوز ان تكون مأخوذة من البرى وهو التراب)) [١٨٩]وفيها قراءة بالهمز وبتركه[١٩٠] . فالقراءة التي بغير الهمز تعني التراب ، وهذا ما نميل اليه .

(الوهن والموهن)

يقول التبريزي معلقا على لفظة الوهن في قول ابي العلاء المعري :

ضعفت عن الاصباح والليل ذاهب

كما فني المصباح في آخر الوهن

---

[١٨٧] ينظر: جامع البيان ١/ ٢٨٨ .

[١٨٨] التبيان في اعراب القرآن ٢/ ١٢٩٨ .

[١٨٩] الزاهر في معاني كلمات الناس ٢ / ١١٤ .

[١٩٠] ينظر: تفسير السمعاني ٦/ ٢٦٤ .

((الوهن : الوقت من الليل والموهن مثله)) [١٩١] جاء في كتاب (صبح الاعشى في صناعة الانشا) ما نصه : ((ووصفوا لكل ساعة من ساعات الليل فسموا الاولى منها الشاهد والثانية الغسق والثالثة العتمة والرابعة الفحمة والخامسة الموهن ...)) [١٩٢].

فالموهن ساعة تمضي من الليل وكذلك الوهن ، قيل هو نحو من نصف الليل ، وقيل هو بعد ساعة منه او عند ادبار الليل[١٩٣] ، والذي نراه انه ساعة تمضي من الليل سواء كان ذلك في بداية الليل او وسطه أو منتهاه.

(النآد وأم اللهيم)

ذكر التبريزي ان لفظتي (النآد وأم اللهيم) معناهما واحد ، وهما من اسماء الداهية[١٩٤] .

فاللفظتان معناهما واحد فـ (أم اللهيم) تعني الداهية او المنية ، وهي مشتقة من الالتهام وسميت كذلك لعظمها ، فهي تلهم كل ما تلقى ، ويقال في الامثال : أتت عليه أم الليهم بمعنى اهلكته الداهية[١٩٥] .

---

[١٩١] الايضاح في شرح سقط السند وضوئه ١/ ٥١٦ .

[١٩٢] صبح الاعشى ٢/ ٣٨٤ .

[١٩٣] ينظر: جامع الاحكام ٤/ ٢٣٠ . ولسان العرب ١٣/ ٤٥٥ .

[١٩٤] ينظر: الايضاح في شرح سقط السند وضوئه ١/ ٥٥٢ – ٥٥٣ .

[١٩٥] ينظر: خلاصة الاثر ٣/ ٢٧ ، وجمهرة الامثال ١/ ٤٧ ، ومجمع الامثال ١/ ٧٧ ، والمستقصى في امثال العرب ٣٧/١ .

اما النآد بالمد فتعني ايضا الداهية ، جاء في لسان العرب ما نصه : ((ناد النآد والنآدى الداهية وداهية نآد ونؤود ونآدى على فعالى ••• وقد نأدتهم الدواهي نأدا))[١٩٦] •

والنآد ايضا الدواهي وهي جمع نآدى ، قال ابو منصور الازهري (ت ٣٧٠ هـ) : ((وقال الليث هي النآد والنؤود وقد نأدته الدواهي وانشد :

أتاني ان داهية نآدا

أتاك بها من شحط ميون))[١٩٧]

وصفوة ما نخلصه من اقوال اللغويين وغيرهم في هاتين اللفظتين ان معناهما واحد فهما من المترادف الذي نص عليه اللغويون •

(الوغى والوعى والوهى)

اشار التبريزي الى ان (الوغى والوعى والوهى) هي الاصوات في الحرب ، جاء ذلك في سياق حديثه عن لفظة (الوغى) في قول ابي العلاء المعري :

ولولا الوغى في الحرب اسمع ربه

أليل المنايا في المثارِ من النقع[١٩٨]

جاء في لسان العرب لابن منظور (ت٧١١ هـ) : ((والوعى بالتحريك الجلبة والاصوات وقيل الاصوات الشديدة ••• وقيل الوْعى جلبة صوت

---

[١٩٦] لسان العرب ٣/ ٤١٣ •

[١٩٧] تهذيب اللغة ١٤/ ١٣٦ •

[١٩٨] الايضاح في شرح سقط السند وضوئه ٢/ ٧٣٦ •

الكلاب في الصيد ... والوعى والوغى كلها الصوت والواعية الصارخة... والوغى الاصوات في الحرب مثل الوعى ثم كثر ذلك حتى سموا الحرب وغى)) [١٩٩]. واصحاب اللغة متفقون على ما اوردناه وما صرح به التبريزي[٢٠٠] .

(التشميت والتسميت)

ذكر التبريزي ان (التشميت والتسميت) معناهما الدعاء ، وهو بذلك يفسر كلمة (تشميتا) في قول ابي العلاء المعري :

اذكت سرنديب اولاها وآخرها

وعونتها بنات القين تشميتا[٢٠١]

جاء في تاج العروس للزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) ما نصه : ((والتسميت الدعاء للعاطس وهو قولك يرحمك الله وقيل معناه هداك الله الى السمت وذلك لما في العاطس من الانزعاج والقلق... وقد سمته اذا عطس فقال يرحمك الله اخذ من السمت الى الطريق والقصد))[٢٠٢] .

---

[١٩٩] لسان العرب ١٥/ ٣٩٧ .

[٢٠٠] ينظر : الزاهر في معاني كلمات الناس ١/ ١٩٢ ، و النهاية في غريب الاثر ٥/٢٠٧ ، والمصباح المنير ٢ / ٦٦٦ .

[٢٠١] ينظر: الايضاح في شرح سقط السند وضوئه ٢ / ٨٢٠- ٨٢١ .

[٢٠٢] تاج العروس ٤/ ٥٦٨ .

وقال الزبيدي ايضا في موضع آ خر من كتابه((والتشميت التسميت وتشميت العاطس دعاء))[٢٠٣].

وذكر بعضهم ان التشميت (بالشين) معناه : بعد الله عنك الشماته، اما التسميت (بالسين) فمعناه جعلك الله على سمت حسن[٢٠٤] .

والذي نخلص اليه ، هو ان هاتين اللفظتين معناهما واحد وهو الدعاء ، وان اللفظة التي بالشين هي الاعلى والافشى[٢٠٥] ويبدو ان التسميت هنا جاء لغة في التشميت .

(تب وبتّ)

هاتان اللفظتان عند التبريزي معناهما واحد ، وهو (القطع) جاء ذلك في شرحه قول ابي العلاء المعري :

بت الزمان حيالى من حيالكم

اعزز عليّ يكون الوصل مبتوتا [٢٠٦]

قال الازهري : ((تب ، بت مستعملان)) [٢٠٧] ومعناهما القطع كما ذكر التبريزي ((وفي الحديث لا صيام لمن لم يبت الصوم معناه لاصيام لمن لم

---

[٢٠٣] المصدر نفسه ٤/ ٥٨٢ .

[٢٠٤] ينظر : كشف المشكل ١ / ٤٢١ .

[٢٠٥] ينظر : المصباح المنير ١/ ٢٨٧ ، ومفتاح دار السعادة ٢/ ٢٦٣ .

[٢٠٦] الايضاح في شرح سقط السند وضوئه ٢/ ٨٣٥ .

[٢٠٧] تهذيب اللغة ١٤ / ١٨٢ .

ينوه قبل الفجر فيقطعه من الوقت الذي لا صوم فيه واصله من البت وهو القطع)) [٢٠٨]. فاللفظتان معناهما واحد لان البت القطع[٢٠٩] .

(الأيد والآد)

ذكر التبريزي ان (الأيد والآد) معناهما : القوة ، وهو بذلك يشير الى لفظة (بأيدها) في قول ابي العلاء المعري :

اذا ما حملتك العيش اودى بأيدها

جلالك حتى ما تكاد به تخطوا[٢١٠]

قال الخليل بن احمد (ت ١٧٥ هـ) : ((الأيد القوة وبلغة تميم الآد ومنه آد فلان فلانا اذا اعانه وقواه)) [٢١١].

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ص: {١٧} أي ذا القوة على اداء الطاعة ، او القوي في الدين المضطلع بمشاقه وتكاليفه[٢١٢] فالأيد والآد بالمد القوة ((وتقول آد الرجل يئيد أيدا اذا اشتد وقوي)) [٢١٣].

---

[٢٠٨] المصدر نفسه ١٤ / ١٨٤ .

[٢٠٩] اضواء البيان ٩ / ١٤٣ .

[٢١٠] ينظر : الايضاح في شرح سقط السند وضوئه ٢ / ٨٤٥ .

[٢١١] العين ٨ / ٩٧ ، وينظر : جمهرة اللغة ٢ / ١٠٨٧ ، والمزهر ٢ / ٢٠٩ .

[٢١٢] ينظر: الكشاف ٤ / ٧٩ ، والتفسير الكبير ٢٦ / ١٦١ .

[٢١٣] جمهرة اللغة ٢ / ١٠٨٧ .

(النادي والنّديُّ والمنتدى)

هذه الالفاظ معناها واحد ، وهو مجلس القوم ومتحدثهم ، كما اشار الى ذلك التبريزي وهو يشرح قول ابي العلاء المعري:

كلما اخصب الربيـ ـع حللنا بنادي[٢١٤]

وفي حديث ابي سعيد يقول : كنا انداء فخرج علينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)[٢١٥] والانداء هنا جمع النادي وهم القوم المجتمعون[٢١٦] .

جاء في كتاب (مرقاة المفاتيح) ما نصه : ((والندي بالفتح ثم الكسر ثم التشديد هو النادي وهو المجلس المجتمع ، قيل الندي اصله المجلس ويقال للقوم ايضا))[٢١٧].

وقال احمد بن محمد الفيومي (ت ٧٧٠ هـ) : ((النادي وهو مجلس القوم ومتحدثهم والندي مثقل والمنتدى مثله ولا يقال فيه ذلك الا والقوم مجتمعون فيه فاذا تفرقوا زال عنه هذه الاسماء والندوة المرة من الفعل ومنه سميت دار الندوة بمكة التي بناها قصي لانهم كانوا يندون فيها أي يجتمعون))[٢١٨].

---

[٢١٤] ينظر: الايضاح في شرح سقط السند وضوئه ٢ / ٩٥٦ .

[٢١٥] النهاية في غريب الاثر ٥/ ٣٦ .

[٢١٦] المصدر نفسه .

[٢١٧] مرقاة المفاتيح ٥ / ٣٢٠ ، وينظر : عون المعبود ١٣ / ٢٦٨ .

[٢١٨] المصباح المنير ٢/ ٥٩٨ ، وينظر : معجم البلدان ٥/ ٢٧٩ .

وتكاد تجمع المصادر على ان هذه الالفاظ المذكورة الفاظ معناها واحد وهو مجلس القوم ومتحدثهم كما مر بنا[٢١٩] .

(الصبيب والكتم)

ذكر التبريزي ان لفظتي (الصبيب والكتم) هما شيء من النبت يصبغ به الشيب وهو بذلك يشير الى قول ابي العلاء المعري :

فاعجب لرؤياك غير ناسكة

قد غيرت بالصبيب والكتم[٢٢٠]

جاء في لسان العرب ما نصه : ((الصبيب شجر يشبه السذاب يختضب به والصبيب السناء الذي يختضب به اللحاء كاالحناء)) [٢٢١].

وقيل فيه . اعني . الصبيب انه ماء ورق السمسم وقيل هو عصارة الحناء[٢٢٢] ، اما الكتم بفتحتين فهو ((نبت فيه حمرة يخلط بالوسمة ويختضب به للسواد)) [٢٢٣].

وجاء في كتاب (المغرب في ترتيب المعرب) ما نصه : ((الكتم بفتحتين من شجر الجبال ورقه كورق الآس)) [٢٢٤] ، وفي الحديث ان ابا بكر (رضي الله عنه) كان يصبغ بالحناء والكتم ((ويشبه ان يراد به

---

[٢١٩] ينظر : كشف المشكل ٤/ ٣٠٢ ، ومغني المحتاج ٢/ ٣٦٣ .

[٢٢٠] ينظر: الايضاح في شرح سقط السند وضوئه ٢/ ٩٦٣ - ٩٦٤ .

[٢٢١] لسان العرب ١/ ٥١٨ .

[٢٢٢] مقاييس اللغة ٣/ ٢٨٠ .

[٢٢٣] شرح الزرقاني ٣/ ٣٩٤ ، وينظر: المصباح المنير ٢/ ٥٢٥ .

[٢٢٤] المغرب في ترتيب المعرب ٢/ ٢٠٧ .

استعمال الكتم مفردا عن الحناء فان الحناء اذا خضب به مع الكتم جاء اسود)) [٢٢٥].

وعلى اية حال فان اللفظتين (الصبيب والكتم) معناهما لا يكاد يختلف والذي نراه ان المعنى العام لهما هو ما اشار اليه التبريزي في بداية الكلام وهو شيء من النبت يصبغ به الشيب .

(داثر ودارس)

ذكر التبريزي ان لفظتي (داثر ودارس) بمعنى واحد[٢٢٦] جاء في معجم العين ما نصه : ((ودثر أي درس فهو دارس وروي عن الحسن انه قال حادثوا هذه القلوب بذكر الله فانها سريعة الدثور ، والدثار من فعل المتدثر)) [٢٢٧].

ويقال للمنزل دارس او داثر وذلك علامة على زواله ، يقول الشاعر[٢٢٨] :

ابشر فانت مجدد الملك الذي

لولاك اصبح وهو رسم داثر

فداثر هنا زائل ودارس كذلك .

---

[٢٢٥] النهاية في غريب الاثر ٤/ ١٥٠

[٢٢٦] الايضاح في شرح سقط السند وضوئه ٢/ ١٠٩٦ .

[٢٢٧] العين ٨/ ١٨ .

[٢٢٨] ديوان لسان الدين الخطيب ١/ ٤٤٥ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- الإتقان في علوم القرآن ، تأليف : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، دار النشر : دار الفكر - لبنان - ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : سعيد المندوب .

٢- اساس البلاغة ، تأليف : أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري ، دار النشر : دار الفكر - ١٣٩٩هـ ١٩٧٩ .

٣- اصلاح المنطق ، تأليف : أبو يوسف يعقوب بن إسحق بن السكيت ، دار النشر : دار المعارف - القاهرة ، الطبعة : الرابعة ، تحقيق : أحمد محمد شاكر / وعبد السلام .

٤- الاضداد ، لابن الانباري ، محمد بن القاسم (ت ٣٢٨هـ) ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط١، ٢٠٠٦م .

٥- الاضداد ، لابي حاتم محمد بن سهيل السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) مطبوع ضمن كتاب : ثلاثة كتب في الاضداد ، تحقيق : هفنر، دار الكتب العلمية ، بيروت (د.ت) .

٦- الاضداد في كلام العرب ، ابو الطيب عبد الواحد اسماعيل اللغوي الحلبي (ت٣٥١هـ) تحقيق : عزة حسن ، دمشق ١٩٦٣م .

٧- الاضداد في اللغة ، الدكتور محمد حسين آل ياسين ، مطبعة دار المعارف ، ط١ ، بغداد ١٩٧٤م .

٨- اضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، تأليف : محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي . ، دار النشر : دار الفكر للطباعة والنشر . – بيروت . – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م . ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات .

٩- الأفعال ، تأليف : أبو القاسم علي بن جعفر السعدي ، دار النشر : عالم الكتب – بيروت – ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م ، الطبعة : الأولى .

١٠- اكمال الأعلام بتثليث الكلام ، تأليف : محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني ، دار النشر : جامعة أم القرى – مكة المكرمة – المملكة السعودية – ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : سعد بن حمدان الغامدي .

١١- الأمالي في لغة العرب ، تأليف : أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م

١٢- الايضاح في شرح سقط الزند وضوئه . للخطيب التبريزي ، تحقيق : الدكتور فخر الدين قباوة ، ط١ منشورات دار القلم العربي ، سوريا . حلب ، ١٩٩٩م .

١٣- تاج العروس من جواهر القاموس ، تأليف : محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، دار النشر : دار الهداية ، تحقيق : مجموعة من المحققين .

١٤- التبيان في إعراب القرآن ، تأليف : أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري ، دار النشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه ، تحقيق : علي محمد البجاوي .
١٥- التبيان في تفسير غريب القرآن ، تأليف : شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري ، دار النشر : دار الصحابة للتراث بطنطا - مصر - ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : فتحي أنور الدابلوي .
١٦- الترادف في اللغة ، حاكم مالك لعيبي الزيادي ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، دار الحرية للطباعة والنشر ١٩٨٠م .
١٧- ترتيب اصلاح المنطق المولف : الشيخ محمد حسن بكائي ، نشر : مجمع البحوث الاسلامية ايران - مشهد ، ط١ ، مؤسسة الطبع والنشر في الاستانة الرضوية المقدسة حقوق الطبع والترجمة محفوظة ، ١٤١٢هـ .
١٨- التعريفات ، علي بن محمد الجرجاني ، دار احياء التراث العربي، ط ١ بيروت ٢٠٠٣ م .
١٩- تفسير ابي السعود(إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) ، تأليف : أبي السعود محمد بن محمد العمادي ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت .
٢٠- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، تأليف : فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، الطبعة : الأولى.

٢١- تفسير القرآن ، تأليف : أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني ، دار النشر : دار الوطن - الرياض - السعودية - ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم •

٢٢- تهذيب اللغة ، تأليف : أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت - ٢٠٠١م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد عوض مرعب •

٢٣- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تأليف : محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر ، دار النشر : دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥ •

٢٤- الجامع لأحكام القرآن ، تأليف : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار النشر : دار الشعب - القاهرة •

٢٥- جمهرة اللغة ، دار النشر : دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٨٧م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : رمزي منير بعلبكي •

٢٦- جمهرة الأمثال ، تأليف : الشيخ الأديب أبو هلال العسكري ، دار النشر : دار الفكر - بيروت - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٧- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تأليف : عبد القادر بن عمر البغدادي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٨م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد نبيل طريفي/ اميل بديع اليعقوب •

٢٨- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، تأليف : المحبي ، دار النشر: دار صادر - بيروت .
٢٩- دور الكلمة في اللغة ، ستيفين اولمان ، ترجمة وتقديم الدكتور كمال محمد بشر ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ط١٠ ، ١٩٨٦م .
٣٠- ديوان ابن زمرك ،
٣١- ديوان الابيوردي ،
٣٢- ديوان الشريف الرضي ،
٣٣- ديوان لسان الدين الخطيب ،
٣٤- الزاهر في معاني كلمات الناس ، تأليف : أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الدكتور حاتم صالح الضامن .
٣٥- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ، تأليف : محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١، الطبعة : الأولى .
٣٦- الصاحبي في فقه اللغة .
٣٧- صبح الأعشى في كتابة الإنشا ، تأليف : القلقشندي أحمد بن علي بن أحمد الفزاري ، دار النشر: وزارة الثقافة - دمشق - ١٩٨١ ، تحقيق : عبد القادر زكار .

٣٨- صحاح اللغة وتاج العربية ، الشيخ اسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ) ، تحقيق : احمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين ، بيروت .

٣٩- طلبة الطلبة في الإصطلاحات الفقهية ، تأليف : نجم الدين أبي حفص عمر ابن محمد النسفي ، دار النشر : دار النفائس – عمان – ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م. ، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك .

٤٠- علم الدلالة ، احمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط٢٠٠٦ م .

٤١- عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، تأليف : بدر الدين محمود بن أحمد العيني ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٤٢- عون المعبود شرح سنن أبي داود ، تأليف : محمد شمس الحق العظيم آبادي ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٩٥م ، الطبعة : الثانية .

٤٣- العين ٨ مجلدات ، تأليف : الخليل بن أحمد الفراهيدي ، دار النشر: دار ومكتبة الهلال ، تحقيق : الدكتور مهدي المخزومي / الدكتور إبراهيم السامرائي .

٤٤- غريب الحديث ، تأليف : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ابن الجوزي ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ١٤٠٥ – ١٩٨٥، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي .

٤٥- غريب الحديث ، تأليف : أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي أبو سليمان ، دار النشر : جامعة أم القرى - مكة المكرمة - ١٤٠٢، تحقيق : عبد الكريم إبراهيم العزباوي ٠

٤٦- غريب الحديث ، تأليف : القاسم بن سلام الهروي أبو عبيد ، دار النشر: دار الكتاب العربي - بيروت - ١٣٩٦، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الدكتور محمد عبد المعيد خان ٠

٤٧- الفائق في غريب الحديث ، تأليف : محمود بن عمر الزمخشري ، دار النشر : دار المعرفة - لبنان ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم ٠

٤٨- فصول في فقه اللغة ، الدكتور رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٧ ٠

٤٩- فقه اللغة ، علي عبد الواحد وافي ، مطابع الهيأة المصرية العامة ، القاهرة ، ط٦ ، ١٩٧٢م .

٥٠- فقه اللغة العربية ، كاصد ياسر الزيدي ، جامعة الموصل ، ١٩٨٧م ٠

٥١- فقه اللغة وخصائصها ، اميل بديع يعقوب ، ط٢، دار الكتب بغداد ١٩٩٩ م ٠

٥٢- فقه اللغة واسرار العربية ، ابو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) تحقيق ومراجعة عبد الرزاق المهدي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط١، ٢٠٠٢م ٠

٥٣- في اللهجات العربية ، ابراهيم انيس ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٧٣م ٠

٥٤- القاموس المحيط، تأليف : محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، دار النشر : مؤسسة الرسالة – بيروت ٠

٥٥- الكامل في التاريخ ، تأليف : أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ ، الطبعة : ط٢، تحقيق : عبد الله القاضي ٠

٥٦- الكتاب ، لسيبويه ابو بشر عمرو بن عثمان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار القلم ، القاهرة ١٩٦٦ م ٠

٥٧- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تأليف : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ٠

٥٨- كشف المشكل من حديث الصحيحين ، تأليف : أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ، دار النشر: دار الوطن – الرياض – ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م. ، تحقيق : علي حسين البواب ٠

٥٩- كفاية المتحفظ في اللغة ، تأليف : أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله الطرابلسي ، دار النشر: دار اقرأ للطباعة والنشر والترجمة – طرابلس – الجماهيرية الليبية ، تحقيق : السائح علي حسين ٠

٦٠- الكليات ، ابو البقاء الحسين الكفوي (ت ١٠٩٤هـ) اعداد : عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٩٨م ٠

٦١- لسان العرب ، تأليف : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، دار النشر: دار صادر – بيروت ، الطبعة : الأولى ٠

٦٢- اللطائف في اللغة (معجم أسماء الأشياء) ، تأليف : أحمد بن مصطفى الدمشقي ، دار النشر: دار الفضيلة – القاهرة ٠

٦٣- مجمع الأمثال ، تأليف : أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري ، دار النشر : دار المعرفة – بيروت ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد

٦٤- المحكم والمحيط الأعظم ، تأليف : أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ٢٠٠٠م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ٠

٦٥- المخصص ، ابو الحسن علي بن اسماعيل المعروف بابن سيده (ت ٤٥٨هـ) دار الفكر، بيروت ، ١٩٦٥ ٠

٦٦- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، تأليف : علي بن سلطان محمد القاري ، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : جمال عيتاني ٠

٦٧- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، تأليف : جلال الدين السيوطي ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٨هـ ١٩٩٨م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : فؤاد علي منصور ٠

٦٨- المستقصى في أمثال العرب ، تأليف : أبي القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٨٧م ، الطبعة : الثانية .
٦٩- المستصفى في علم الاصول ، ابو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) تحقيق : نخبة من العلماء ، دار احياء التراث العربي ، ط١، (د.ت) .
٧٠- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، تأليف : القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي ، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث .
٧١- المشترك اللفظي في اللغة العربية ،
٧٢- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، تأليف : أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، دار النشر: المكتبة العلمية - بيروت .
٧٣- معجم الأفعال المتعدية بحرف ، تأليف : موسى بن محمد بن الملياني الأحمدي .
٧٤- معجم البلدان ، تأليف : ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله ، دار النشر : دار الفكر - بيروت .
٧٥- المغرب في ترتيب المعرب ، ابو الفتح ناصر بن عبد السيد بن علي المطرزي (ت ٦١٦هـ) دار الكتاب العربي ، بيروت .

٧٦- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، تأليف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت

٧٧- معجم مقاييس اللغة ، تأليف : أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، دار النشر : دار الجيل - بيروت - لبنان - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون .

٧٨- النهاية في غريب الحديث والأثر ، تأليف : أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، دار النشر : المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي .

Management of The Emotions of The Tourist's Guide and Their Impact on The Tourist's Satisfaction

Khulood Waleed Jasim
College of Administration and Economy- University of Almustansiriyah

Abstract:

Modern tourism organizations tend to keep up to date with the rapid changes in the business- paced organizations and the global competition to research, study and seeking to entrench, consolidate the management of emotions and their objectives, functions and concepts to enable human resources to be successful and outstanding.

A Reading of (Taeyeon Poets)

Dr. Abdul Lateef Hamoodi Altaee
College of Arts - University of Baghdad

Abstract:

The book of (Taeyeon Poets) has been collected by Mr. Abdul Ameer Mahdi Al-Taee, and has published it in the first edition in the year 1411H – 1990, a significant effort by Al-Taee in exploration about poetry in the books and different sources: literary, linguistic, historical and days of the Arab and all the things related to the old Arabic poetry.

He has succeeded in presenting this original Arabic heritage to his readers, as he was a man loyal to his tribe. So he contributed to record its values in this book and this allowed thanks, appreciation and praise for his work.

The book in fact is a booklet that does not exceed one hundred pages in which he stated twelve poets. And however excellent the author was, and made every effort, but he failed to include all that it involves. And when reading it, the researcher found some errors and illusions in it. This provoked him to write this paper to raise the value of the booklet to the readers. He tackled the subject in three themes.

Ibn Jubayr

The Traveler and Andalusian Arab Poet

Dr. Nada Abdul Razak M. Aljilawi
Ministry of Education

Abstract:

The research is about Ibn Jubayr – the traveler and Andalusian Arab poet in his personal and scientific biography, and also the foundations of the historical research at Ibn Jubayr in terms of his approach and style, including three trips that he carried out were the first and third were motivated by religion, a pilgrimage to the House of God, while the second trip was for a political motive. And between the first trips and the written ones and the importance and popularity of this trip and its position in the geographical literature, and the most important in its historical value that attracted the Arab and orientalists geographers and historians with the trip of Ibn Jubayr and adopting from him what enriches their material, whether the historical ones or the geographical. And the important information about the historical era that Ibn Jubayr has spent wandering between the orient countries during the rule of the Ayyubid state and the Crusader invasion of Egypt and the Levant (Bilad Alsham), and the relations between Muslims and Christians, and the conditions of the Muslims in the Normandy era in Sicily.

The Introduction of the Poem in The Pre-Islamic Poetry

("Mulaqat Zuhair" As a Model)

Dr. Latifa Abdallah Ahmed Al-Hammadi
College of Islamic and Arabic Studies, Dubai

Abstract:

The introduction of the Pre- Islamic poem received serious studies that has aroused the attention of critics and scholars, ancient and contemporary, Arab and orientalists; so they piled on them, arguing, analyzing and studying, and researches and books were written, but some studies are still describing the introduction as traditional, or it came similar and identical with the pre-Islamic poets, and the views were different about the relation between the introduction and the subject. Some of them says that the introduction of the poem is separate from the subject; others find that there is a relation between the introduction and the subject of the poem. So the researcher tried, with analytical vision, to answer questions, most notably are:

- Did the introduction's image come as stereotyped and similar or different and various?

- Whether the introduction of the poem in the pre-Islamic poetry was an artistic tradition or a response to the psychological and emotional poet's experience?

- How far is the link between the introduction and the poem's subject?

This research has been devoted to study the introduction of the poem through the following themes:

1-Types of introduction, 2- The terms for introduction (ancient standards), 3- The opinion of the ancient and modern critics in the introduction to the poem, 4- Study the introduction of Zuhair Bin Abi Salma.

The End of History
A Critical and Analytical Study of Fukuyama Thesis

Waleed Khalid Ahmed

Abstract

The research is a critical and analytical study of the theory of (The End of History); it has adopted an analytical, critical and deductive approach, with the presentation of the writer's visions and his positions from the current time issues.

The paper ends up with some conclusions by which the researcher tried to provide a critical and modest approach to (The End of History) thesis.

The Habilitation of The Iraqi Manuscripts in The Digital Era

Yusra Sadiq Jalal
Institute of Administration / Al-Russafa

Abstract

The manuscripts (in addition to its archaeological value) are considered the following source, after birth, after the mud tablets, stones, papyrus, leathers, etc... The Muslims were able to occupy Samarqand on 751, they discovered the way of making papers, which was made at Baghdad by then.

Manuscript manufactory has developed as an Islamic art by its delicate art and wonderful plates, with beautiful script and nice colors. The papers' writers made copies of manuscripts, which they act like printing press at the current time.

The manuscripts survived through time; our manuscripts are the huge written heritage known by humanity for the era more than eleven centuries starting

from Arab discovering books till the day of using printing at the end of the eighteen century.

The growth of libraries and the expanding of their collections necessitated putting it in special stores, which demanded arranging it by indexes, to enable the researchers to use the collection. The Iraqi Manuscript Center owned a big collection besides the private manuscripts and masajids.

The researcher showed the importance of renewing the work on managing the Iraqi manuscripts through the Digital Era.

(The Animal's Natures) Book of Sharaf Alzaman Tahir Al-Marwazi
A Reading of a Writer and a Book
(A Preview and Study)

Dr. Ahmed Al-Hasnawi
Iraqi Academy of Sciences

Abstract

This study includes a manuscript (The Animal's Natures) of Sharaf Alzaman Tahir Al-Marwazi (one of the twelfth century scientists), the essence of the Zoology book, as well as the precious sections that deal with the geographical and human behavior.

The book is relatively large, it is smaller than (Alhaywan Book of Al-Jahidh), and largest than (The Animal's Big Life) book of Al-Demeiri. And that Al-Marwazi surpasses Al-Jahidh and Al-Demeiri by the value of his information and its accuracy.

The real importance of the book is talking about the Far East- India, Tibet, China and the countries of the Turks- as well as keeping a large number of Aljehani's

novels. As a starting point the details of the situation of Muslims in China and some facts about China's customs, foreign colonies in the Chinese ports and cities, the names of the cities that the Arab geographers' sources lacked that were vague in Abu Dalaf's trip, and the reasons for Ibn Fadlan's trip that is unknown to us, the Islam of Russians and the most important novels ever are the migrations of the people of Central Asia which Aloufi has borrowed.

Journal
Of the
ACADEMY OF SCIENCES

Quarterly Journal – Established on 1369H- 1950

E-mail: iraqacademy@yahoo.com

journalacademy@yahoo.com

Annual Subscription : In Iraq (20000) I.D.

Outside Iraq (100 Dollars)

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٩٧٦ لسنة ٢٠١٦م



Journal
Of the
ACADEMY OF SCIENCES

Quarterly Journal – Established on 1369H- 1950

No.3 **Vo. 63**

1437H - 2016